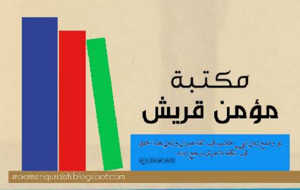




الدكتـور علي عبود المحمداوي

خطاب الهويات الحضارية من الصدام إلى التسامح

دراسة مقارنة بين المنجز الغربي والمنجز الإسلامي



ابن النديم للنشر والتوزيع
دار الروافد الثقافية - ناشرون

خطاب الهويات الحضارية

دار ابن النديم للنشر والتوزيع   دار الروافد الثقافية- ناشرون

خطاب الهويات الحضارية
من الصدام إلى التسامح

دراسة مقارنة بين المنجز الغربي والمنجز الإسلامي

الدكتور علي عبود المحمداوي

الكتاب:

خطاب الهويات الحضارية من الصدام إلى التسامح

(دراسة مقارنة بين المنجز الغربي والمنجز الإسلامي)

المؤلف:

الدكتور علي عبود المحمداوي

الغلاف:

تصميم الفنان العراقي/ الدكتور محمد الكناني

الطبعة:

الأولى، 2012

عدد الصفحات: 176

القياس: 17x 24

الترقيم الدولي

ISBN: 978-9931-9025-5-3

الناشر:

ابن النديم للنشر والتوزيع

51 وهران شارع نهار بلبعد قويدر

ص ب 375 السانيا زرباني محمد

الجزائر - حي رابية الطاهر - باب الزوار

تلفاكس: 2132124689729 +

هاتف نقال (خليوي): 213771906505 + - 213661207603 +

Email:ibnadimedition@yahoo.fr

دار الروافد الثقافية - ناشرون

هاتف:204180 (9671)

ص.ب: 6085 - 113 الحمراء

بيروت - لبنان

Email: Rw.culture@yahoo.com

الإهداء...

إلى أبي

المحتويـــــات

المقدمة : 9

الفصل الأول : الحضارة تعريفها وفلسفتها: من التداخل المفاهيمي إلى الحضارة كهوية عليا

تمهيد 13

أولاً: مفاهيم الحضارة والثقافة والمدنية: التداخل المغلوط والتمييز المطلوب 13

ثانياً: الثقافة 26

ثالثاً: المدنية 33

الفصل الثاني : نظريات في التعامل بين الحضارات

تمهيد 39

أولاً: صراع أو صدام الحضارات (Clash of Civilization) 50

ثانياً: حوار الحضارات (Dialogue of Civilizations) المنطلقات والعقبات 81

ثالثاً: نظريات أخرى في التعامل بين الحضارات ... 97

الفصل الثالث : تعارف الحضارات (البديل الإسلامي): الفكر الإسلامي والأطروحة البديل

تمهيد 109

أولاً: تعارف الحضارات (Acquaintance Of Civilizations) (أصالة النظرية وتأصيلها الديني الإسلامي) 110
ثانياً: العولمة وأثرها في تعارف الحضارات 145
ثالثاً: التسامح: (محور لتعارف الحضارات):
مفهوم التسامح (Tolerance) (المعنى والدلالة) 160

خاتمة : 171

المقدمة

يحاول هذا الكتاب أن يقدم قراءة جديدة لفكرة وواقع العلاقة بين الهوية الحضارية الغربية والشرقية، أو الإسلام والغرب أو الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، وبمختلف تلك التسميات في ما بينها، إذ نسعى إلى تبيان أهم ملامح تلك العلاقة وآليتها، وما هي النظريات التي طرحت لتصفها أو تستشرف مستقبلها، وماهية الخطاب الذي يحكم الهويات المتكونة بعناوينها الآنفة الذكر، وكيف كان لفكرة الحضارة المركز أن تكون محوراً لتفسير العلاقة بين الطرفين (الشرق والغرب). ويمكن تعليل الحضور لمفهوم الحضارة لأسباب عدة منها: لأغراض حداثة الدراسات المنظوية تحت هذا العنوان، إضافة إلى ما تمثله لفظة الحضارة - كما نرى- من تمثيل لهوية شعوب ومجتمعات ممكن أن يتم التعامل من خلالها مع الآخر، وحاولنا جاهدين أن نبين أهم مرتكزات النظريات المطروحة في قراءة وتفسير واستشراف العلاقة بين الحضارات، وكانت محور تلك النظريات فكرة **صراع** أو **صدام الحضارات** والتي كانت لها جذور تاريخية تمتد مع توينبي، واستجد الحديث عنها في الفترة المعاصرة لما أعاده لها هانتنغتون من صبغة تحديث ومعاصرة؛ والآلية والمنهجية والعرض والأسلوب الذي قدمت فيه فكرة الصراع بين الحضارات من جديد. هذا ولا يخفى على القارئ أن فكرة الحوار كانت أولى تلك الاستجابات لفكرة الصراع وتزامن ذلك من غارودي ودعوته إلى الحوار في العديد من كتبه ولاسيما **من أجل حوار بين**

الحضارات، وبين دعوات الصراع التي يراها البعض متشائمة ويراها آخرون قراءة واقعية تراتبية لحوادث تاريخية، ويراها الغير بأنها لم تتجاوز فكرة الحلقة التكميلية لمشروع الغربنة ورفض التنوع الحضاري والثقافي والدعوة إلى الحضارة المنتصرة كأيديولوجيا أخيرة -كما مع فرانسيس فوكوياما- ودعوات الحوار كرد فعل أو كإعادة قراءة للسلوك الغربي والتعامل الحضاري الغربي مع الآخر الإسلامي؛ فقراءة للنقد من الغرب كان رائدها غارودي، وقراءة للنقد من الإسلام كان من روادها البارزين خاتمي، ولكن هاتين الدعوتين لا تمثلان نهاية التنظير بشأن العلاقة ووصفها وهويتها بين الطرفين (الغرب والإسلام)، إذ تعد محاولة زكي الميلاد، محاولة رائدة في هذا المجال، مجال إخراج الثنائية العلاقاتية والثنائية التفسيرية من دائرتي الحوار والصراع بين الغرب و الإسلام، إلى حقل تنظيري ومعرفي آخر هو فكر تعارف الحضارات التي أعدها نتاج للعصف الإبداعي الإسلامي الذي قام بدوره المفكر السعودي زكي الميلاد لإخراج صورة نمطية معرفية متماسكة إلى حد بعيد، تصف وتستشرف شكل العلاقة بين الطرفين وتحت العنوان والمحور الرئيس ذاته الذي هو الحضارة. وبيّنا أهم ما ارتكزت عليه هذه النظرية والأطروحة الجديدة في هذا المجال، ثم وفي قراءة إجمالية للنظريات المركزية الثلاث، إضافة إلى نظريات ثانوية أو لنقل نظريات لم تجد صداها في مجال التداول الثقافي والمعرفي من قبيل نظريات (سباق أو تفاعل أو تحالف الحضارات أو المصالح بين الحضارات أو صدام الهمجيات)، كل تلك كانت عناوين لرؤى أخرى مغايرة طرحت لتصف شكل العلاقة قيد البحث (بين الغرب والإسلام)، وحاولت ساعياً أن أوضح أهم ملامح النظرية البديل للأطروحات المتداولة أو المعروفة في تفسير العلاقة، وهي نظرية التعارف، إلا إننا توصلنا في نهاية البحث والكتاب إلى نتائج عدة كانت أهمها: دوام واستمرارية إشكالية هوية العلاقة وآليتها والتساؤل عن إمكانية أن تفسر العلاقة بأي من الأطروحات الثلاث؟

الفصل الأول

الحضارة تعريفها وفلسفتها:

من التداخل المفاهيمي إلى الحضارة كهوية عليا

تمهيد

الكلام عن الحضارة، والبحث في تعريفها وفلسفتها، وما يطرح في هذا المجال من نظريات في نشوء الحضارات وانهيارها، والمراحل التي تمر بها، والنظرة العامة للعلاقة بين فلسفة التاريخ والحضارة، ليس بقليل الأهمية؛ لما له من أهمية على مستوى العقلنة الإنسانية المتوخاة، ولما له من أثر في تنمية الفكر الإسلامي والعربي وتطويره في سبيل تأسيس نظرية في علم المستقبليات والتعامل الحضاري مع الآخر، وما لذلك من أثر في تحفيز الفكر الإسلامي أو العربي لتقديم إنجاز فكري مهم يضاهي ما ينجز على الساحة الفكرية عند الآخر الغربي أو اللاإسلامي عموماً وما يطرح من نظريات، وفي سبيل عمل وتبني مشروع حضاري يعد في حقل المحاولات التي تسعى إلى أن تدعم الفكر الإسلامي وتطرح نفسها كمحفز فكري لمشاريع نهضوية حضارية أخرى، أبحث عن وجهة نظر جديدة أو معالجة لمسألة نظرية الحضارة ومراحلها وفلسفتها والعلاقات الحضارية وأساليبها.

أولاً: مفاهيم الحضارة والثقافة والمدنية: التداخل المغلوط والتمييز المطلوب

في خطوة لتحديد وتعريف ودراسة المفهوم الأساسي والمركزي في فلسفة الحضارة والتاريخ وعلم المستقبليات الذي هو الحضارة، يتوجب علينا البحث في مرادفات هذا المفهوم والمصطلح من مفاهيم أخرى تلابست في المعنى معه، أو اشتركت في الدلالة أو عبرت عنه في بعض الأحيان. إذ يتداخل مفهوم الحضارة مع مفهومي (الثقافة والمدنية) لما لهما من دلالة مشتركة يجب تمييزها لتوضيح معنى الخطابة والفكرة في البحث وما هو معنى الحضارة المعتمد في الكتاب والتنظير للعلاقات الحضارية وما لكل ذلك من أثر في منهجية البحث والتأسيس لنظرية الحضارة، وسينحو منهجنا، في التعريف، منحىً جديداً (نوعاً ما) ساعياً إلى أن يخضع اللفظ لثلاثية تعريفية في سبيل تحديده الدقيق، وهي: (المعنى اللغوي، المعنى الاصطلاحي،

المعنى التداولي) والمعنى الثالث، والأخير الذي أسميناه بـ التداولي هو منهج التعريف، يعرف اللفظ بمعناه التداولي وبحسب الاستعمال المعاصر له، عكس ما يندرج تحت المسمى اللغوي أو الاصطلاحي التاريخي اللذان ينطويان تحت عنوان (الإيتيمولوجيا) والتي تعني تحليل لأصول الكلمة ودراسة أصلها وتاريخها[1] والبحث عن الجذور والتسلسل النسبي لمعنى اللفظ.

1 ـ الحضارة

أ ـ الحضارة: المعنى اللغوي

جاء في **المعجم الوسيط**؛ حضارة: أقام في الحضر، وتحضر: تخلق بأخلاق أهل الحضر وعاداتهم. وقد عرفها المجمع العلمي المصري على أنها «مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني أو مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي في الحضر»[2].

ب ـ الحضارة: المعنى الاصطلاحي

إن أغلب التشابك والالتباس في مفهوم الحضارة إنما هو في هذا النمط من التعريف. إذ إن المعنى اللغوي هو معنى اشتقاقي تأصيلي يبحث عن أصل اللفظ العربي في قواميس ومفردات العرب، وكذلك فإن كل مدرسة أو منظومة فكرية أو فيلسوف معين أو حتى أي مفكر يحاول أن يصوغ تعريفاً، فإن تعريفه سيكون نسبياً (نسبة إليه)، ومن ثم فإن المفهوم سيؤدي إلى التشابك في المعاني والدلالات، وعليه سنعرض جملة من التعريفات لمفهوم الحضارة على شكل جمع المشتركات أو المحاور الرئيسة للتعاريف تحت عنوان واسع يمثل فكرة الحضارة عند كل من يقول بمحتوى العنوان كتعريف للحضارة ونبدأها بـ:

---

(1) البعلبكي، منير: قاموس **المورد**، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ص 322.

(2) مجموعة من الكتاب: **المعجم الوسيط**،، مادة حضر، دار الدعوة، تركيا - اسطنبول، الطبعة الثانية، 1989، ص181.

(1) الحضارة بالمعنى الإنساني والأخلاقي

عمل ألبرت شفايتزر (Albert Schweitzer) على صياغة معنى أخلاقي لمفهوم الحضارة. إذ عبر عنها في كتابه **فلسفة الحضارة** (The Philosophy of Civilization)، بأنها التقدم الروحي أو الأخلاقي والمادي للمجتمع أو الفرد[3]، وفي نص آخر له نجده يصبغها بصبغة إنسانية حين يقول «إن معناها بكل بساطة بذل المجهود بوصفنا كائنات إنسانية من أجل تكميل النوع الإنساني وتحقيق التقدم من أي نوع كان في أحوال الإنسانية»[4]، وفي محاولة منه لاحتواء المعنى العملي للحضارة داخل التعريف، حاول صياغة تعريف آخر يقول فيه «إنها - الحضارة- جماع كل تقدم حققه الناس وكل فرد في كل مجال من مجالات العمل من حيث كون هذا التقدم يساعد الكمال الروحي للأفراد»[5].

لكنه لم يستطع أن يضمّن المعنى العملي أو العمراني أو الصناعي وحتى حينما يقول ما حققه الناس ويتبادر إلى ذهننا الجانب العملي في الحضارة، نجده يعود ليعقب في كتابه قائلاً: «ومن هنا - أي من الإنجازات التي تدفع إلى الكمال الروحي - ينشأ الأمل والإرادة .. وهذا يفضي إلى سيادة الروح على قوى الطبيعة والى تكميل الاجتماع الإنساني من النواحي الدينية والاجتماعية والاقتصادية والعملية، وإلى الكمال الروحي للأفراد والجماعات»[6]، ومن ثم فإن شفايتزر، يسخّر الجانب العملي في الحضارة (على حد قوله) من أجل الرقي والكمال الروحي، فيصبح معنى الحضارة عنده (التطور الذي يفضي إلى الكمال الروحي والأخلاقي للفرد والمجتمع).

---

(3) شفايتزر، ألبرت: **فلسفة الحضارة**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، زكي نجيب محمود، وزارة الثقافة والإرشاد القومي المصرية، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر، آذار/مارس 1963، ص 34.

(4) المصدر نفسه، ص 5.

(5) المصدر نفسه، ص 113

(6) المصدر نفسه، ص113.

(2) الحضارة بمعنى التقدم المعنوي والمادي

يرى «جميل صليبا»، في **معجمه**، أن الحضارة تمثل: «مظاهر التقدم العقلي والمادي معاً، وهي ذات طابع اجتماعي»[7]، ويؤيد هذا الرأي البعض من الكتاب والمفكرين حينما عُرفت الحضارة على أنها: «مجموع المعارف العلمية والتشاريع والنظم والعادات والآداب التي تمثل الحالة الفكرية والاقتصادية والخلقية والسياسية والفنية وسائر مظاهر الحياة المادية والمعنوية»[8]؛ ورأى «معن زيادة»، في **موسوعته**، أن الحضارة هي الآراء والأعراف التي تنتج من تفاعل الحرف والصناعة مع المعتقدات والآثار الجميلة والعلوم؛ ويقول «وفقاً لتعريفنا هذا للحضارة فإن التفرقة بين المادي والعقلي تزول لمصلحة هذا المفهوم الأوسع للحضارة»[9]؛ فيما عرفها «حسين مؤنس» بأنها: «ثمرة أي مجهود يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته على وجه الأرض مادياً أو معنوياً؛ وإذاً فمقياس الحضارة هو مدى التحسن مادياً ومعنوياً»[10] وفي السياق نفسه كتب محمد تقي المدرسي قائلاً «إن الحضارة هي حضور الإنسان عند الإنسان وتعاونه وتفاعله معه ابتداءً من الحضور المادي وانتهاءً بالتفاعل المعنوي ومروراً بالتعاون العملي»[11].

والحضارة كما يعرفها علي شريعتي «هي عبارة عن مجموعة من البناءات والعطاءات والذخائر المادية والمعنوية للمجتمع الإنساني، نقول البناءات

---

(7) صليبا، جميل: **المعجم الفلسفي**، منشورات ذوي القربى، الطبعة الأولى، قم - إيران (1385 ــ تاريخ فارسي، ص 477.

(8) الخالدي، محمود: **الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية**، ج أ - المدخل إلى الثقافة الإسلامية .، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، 1983، ص61.

(9) معن زيادة: الحضارة، **الموسوعة الفلسفية**، تحرير معن زيادة وآخرون، معهد الإنماء العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1986، المجلد الأول،، ص 374.

(10) مؤنس، حسين: **الحضارة - دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، سلسلة عالم المعرفة**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، 1978، ص 48.

(11) المدرسي، محمد تقي: **معالم الحضارة الإسلامية**، دار محبي الحسين، طهران - إيران، ص 32.

الإنسانية ونعني تلك الأمور غير الموجودة في الطبيعة في الحالات الاعتيادية، بل إن الإنسان بتدخله وسعيه هو الذي يوجدها. أما الذخائر المعنوية أو الإنسانية، فهي عبارة عن مجموعة من التجارب والعطاءات والمعلومات والمعاهدات والاكتشافات الإنسانية التي حدثت في الماضي والتي خلفها لنا الآخرون ..»[12] .

(3) الحضارة بمعنى الرقي والتطور المادي فحسب

حدد بعضهم مفهوم الحضارة بمعنى التطور والتقدم في مظاهر الحياة المادية فحسب، وهذا ما رآه توماس مان*، إذ إن الحضارة هي ما «يتعلق بالنماذج المادية للحياة كالملبس والمأكل والمشرب والمواصلات، كما تتعلق بالنماذج العلمية أي نماذج العلوم التي تعالج المادة الطبيعية»[13] .

(4) الحضارة بمعنى الرقي والتقدم العقلي والمعنوي فحسب

إذ أورد «جميل صليبا»، أن معنى الحضارة يطلق على المظاهر العقلية والأدبية، أي مستوى التقدم الفكري والمعنوي[14].

(5) الحضارة كمفهومٍ اجتماعي

يعد تعريف توينبي أحد التعاريف التي تنطوي تحت هذا العنوان؛ فهو يعرف الحضارة على أنها : «كيان اجتماعي موحد قابل للفهم بمعزل عن

---

(12) شريعتي، علي: **تاريخ الحضارة**، ج أ، مؤسسة الآداب الشرقية، الطبعة الأولى- 2006، النجف الأشرف- العراق، ص19-20.

* توماس مان: (Thomas Man) : 1875- 1955 . ولد في مدينة لوبيك شمالي ألمانيا من أب تاجر أصبح قنصلاً ثم عضواً في مجلس الرايخ الألماني وهو من رواد الأدب الألماني.

(13) عبد عوض، قاسم: **فلسفة التاريخ في الفكر الغربي**، أطروحة دكتوراه، تقدم بها إلى قسم الفلسفة في كلية الآداب جامعة بغداد عام 2004، بإشراف الأستاذ الدكتور مدني صالح، ص 18.

(14) صليبا، جميل: **المعجم الفلسفي**، ص477.

جميع الظواهر الاجتماعية التي قد تبرز في بعض أجزاء هذا الكل الاجتماعي العضوي؛ فهي وحدة حضارية تهيئ للدارس أن يفهمها فهماً يعبر منه إلى تعيين وتحديد عوامل نشوء هذا الكل وعوامل اندثاره أيضاً»[15]. وعرفها آخرون على أنها «تعبر عن النظم التي يضعها المجتمع لدعم كيانه الاجتماعي وتحقيق أهدافه في سهولة ويسر»[16].

وفي النطاق نفسه، جاء لالاند ليضع تعريفاً يجعل الحضارة تتصف بصفات اجتماعية حينما يحددها بكونها: «مجموعة ظواهر اجتماعية مركبة ذات طبيعة قابلة للتناقل تتسم بسمة دينية أخلاقية، جمالية فنية، تقنية أو علمية، ومشتركة بين كل الأجزاء في مجتمع عريض أو عدة مجتمعات مترابطة»[17].

(6) الحضارة بمعنى الانهيار والتدهور

إن أبرز القائلين بهذا المعنى هو «ابن خلدون» إذ رأى في **مقدمته**، ولاسيما في **الفصل الرابع عشر** «في أن الدولة لها أعمار طبيعية كما للأشخاص». إن الدولة تمر بثلاثة أطوار هي: البداوة والتحضر والتدهور، وكل منها متواصل مع الآخر، وبإفراط الملك والسيطرة التي كان يطمح لها البدو بصفتهم القبلية والعصبية، وهذا الملك والحكم بطبيعته يستدعي الترف والدعة، وبالترف ستكون الدولة في طور الحضارة وذلك الترف هو ما يجعلها آيلة إلى الانهيار والسقوط.[18]

---

(15) إسماعيل، محيي الدين: **توينبي - منهج التاريخ وفلسفة التاريخ**، مؤسسة إيف للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، 1982، ص 136-137.

(16) الخالدي، محمود: **الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية**، ج أ - المدخل إلى الثقافة الإسلامية، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، 1983، ص 55.

(17) لالاند، اندريه: ال**موسوعة الفلسفية**، نقله إلى العربية خليل أحمد خليل وتعهده وأشرف عليه أحمد عويدات، منشورات عويدات، بيروت - باريس، الطبعة الأولى 1996، ج1، ص 172.

(18) ابن خلدون: **المقدمة**: **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ج1، ص170-171.

لكن ما يفهم من «ابن خلدون» هو الإفراط في الترف وليس بداية الترف الذي برأيه يزيد الدولة قوة إلى قوتها.

ومن نظرتنا في مقولات ابن خلدون في **مقدمته**، نراه يجعل من طور التحضر سبباً في الانهيار إذ يقول «والجيل الثاني تتحول حالهم بالملك والترفه من البداوة إلى الحضارة .. ومن عز الاستطالة إلى ذل الاستكانة .. وتؤنس منهم المهانة والخضوع ..»[19]، كما يقول «إن الحضارة نهاية العمران وخروجه إلى الفساد ونهاية الشر والبعد عن الخير»[20].

الحقيقة أن «ابن خلدون» لم يكن ينظر إلى طور الحضارة بوصفها درجة بل إلى دركة، أي نحو الانحطاط لا التطور؛ فالحضارة عنده تعني الدور الذي تمر به الدولة كمرحلة من الترف الذي بازدياده الحتمي سيتحقق الانهيار والتدهور. وأقول ازدياده الحتمي لاعتقاد ابن خلدون بالحتمية التاريخية لتعاقب الأطوار للدولة.

وبقي علينا أن نذكر بان الكاتب الغربي أوزفلد شبنغلر (Oswald Spengler)، رأى أن الحضارة هي عين التدهور والانحطاط وليس من مسبباته أو إحدى الخطوات المؤدية إليه فحسب؛ ويعد الغرب قد دخل في مرحلة الحضارة، وبذلك فإن الغرب دخل مرحلة التدهور والانحطاط بحسب تحليله[21].

(7) الحضارة بمعنى سيطرة الطبقة الحاكمة

يعرف توماس باترسون الحضارة على أنها « كل أكبر من مجموع.. أجزائه تراتبية تضم طبقات ومجتمعات وثقافات متمايزة ومرتبطة ببعضها البعض وتنظمها مؤسسات وممارسات هياكل الدولة والطبقات»[22]، وفي كتابه

---

(19) المصدر نفسه.

(20) المصدر نفسه، 123.

(21) حوار مع زكي الميلاد، الثقافة والحضارة وقضايا المستقبل الإسلامي، مجلة **النبأ**، شهرية ثقافية، العدد 81، آذار/مارس 2006، نسخة إلكترونية.

(22) باترسون، توماس: **الحضارة الغربية - الفكرة والتاريخ**، ترجمة شوقي جلال، مطابع=

الحضارة الغربية، يرى باترسون أن فكرة الحضارة هي نتاج لرؤى طبقية حيث أسس المفهوم على أنه التهذيب أو الشخص المهذب أو من على شاكلة الطبقة الحاكمة في بداية القرن السادس عشر[23]، ويرى أن هذا التمييز الطبقي استمر ودفع الغرب لأن يرى نفسه المتحضر الأوحد. ويذكر «باترسون» في كتابه **الحضارة الغربية**، سلسلة من الأمثلة على القمع الذي كان يمارس باسم التحضر والطبقية على حد سواء. ويساند هذا الرأي كافيين رايلي، إذ يرى «أن الفروق الطبقية من الأسباب الجذرية التي أدت إلى عملية التحضر...وأنها كانت من نتاج مصالح الطبقة العليا»[24].

(8) الحضارة بمعنى احتواءها للثقافة

أما صاموئيل هانتنغتون، فقد عرّف الحضارة على أنها «أعلى تجمع ثقافي للبشر وأوسع مستوى من الهوية الثقافية يكاد يكون شعب ما قد وصل إليها والتي تميز بني البشر عن الأنواع الأخرى»[25]، وهو بهذا التعريف يضع الحضارة موضع التعريف الذي يشمل الثقافة كجزء منها. إذ إن الثقافة التي يتصف بها مجتمع ما والهوية الثقافية بأوسع مستوياته تساوي الحضارة لذلك المجتمع، وعليه «فالحضارات هي كيانات ثقافية ذات معنى ليس لها حدود قاطعة أو بدايات ونهايات دقيقة، والحضارات تبقى وتتغلب على التقلبات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، بل حتى الأيديولوجية»[26].

=الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2004، ص 105.

(23) المصدر نفسه، ص 26.

(24) رايلي، كافيين: **الغرب والعالم، القسم الأول: تاريخ الحضارة من خلال موضوعات**، ترجمة عبد الوهاب محمد وهدى عبد السميع ومراجعة فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص 73.

(25) هانتنغتون، صاموئيل: **صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي**، ترجمة د.مالك عبيد أبو شهيوة و د. محمود محمد خلف.، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ليبيا، الطبعة الأولى، ص 106.

(26) عماد، عبد الغني: **سوسيولجيا الثقافة: المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 2006، ص36-37.

(9) الحضارة بمعنى قوة التاريخ التنظيمية

وهذا رأي «مدني صالح»، إذ عرّفها بأنها «قوة التاريخ التنظيمية في السياسة والتشريع والأخلاق»[27].

والقصد من التعريف، أن الصفة العامة للحضارة إنها تشرع وتنظم حياة الإنسان. والقصد من القوة التنظيمية في الدين والأخلاق والسياسة هو المعيارية التنظيمية على أساس حاكم أو منظم أو مشرِّع يجعل من الثواب والعقاب والرذيلة والفضيلة والحلال والحرام أو الممنوع والمسموح به، معايير للحكم والتمييز والمجموعة البشرية التي تمتلك هذه القوة هي مجموعة متحضرة وتمتلك حضارة.

(10) الحضارة بمعنى التراث والموروث

عرّف «مطاع صفدي»، الحضارة على أنها «اللفظة المخففة التي تطلق على خانة الشعوب التي ما تزال أسيرة لثقافتها المتوارثة والمتشبثة بطقسنة هوية ثبوتية من طبيعة مرآوية تعكس وجه الماضي وتدير ظهرها للآتي»* [28].

وهذا التعريف وإن تضمن مجموعة مركزة من الألفاظ الغزيرة المعنى مثل: الطقسنة والهوية الثبوتية أو الطبيعة المرآوية، إلا أنه لم يكن دقيقاً من ناحية دلالة لفظ الحضارة على المعنى المراد من تعريفه للحضاري؛ فمعنى كون(الحضارة = التراث) هو معنى مغلوط؛ فالتراث بمعنى» الموروث الثقافي والفكري والديني والأدبي والفني»[29] لا يعطي معنى الحضارة التي محورها الرئيس هو التغير والتطور حيث الحداثة والتجديد، حتى عند من كان ينظر

---

(27) صالح، مدني: في مهب عواصف التاريخ، مجلة **الموقف الثقافي**، عدد 40 لسنة 2002، ص8.

* وإن كان قد أورد التعريف للحضاري، لا للفظ الحضارة إلا انه جامع للمعنيين.

(28) صفدي، مطاع: **ماذا يعني أن نفكر اليوم - فلسفة الحداثة السياسية- نقد الاستراتيجية الحضارية**، مركز الإنماء القومي، 2002، الطبعة الأولى بيروت - لبنان،ص 370.

(29) الجابري، محمد عابد: **التراث والحداثة: دراسات ومناقشات**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، 1999 الطبعة الثانية، ص 32.

إلى الحضارة نظرة سلبية وتشاؤمية.

وخلاصة تعريف «مطاع صفدي»، أن المجتمع الحضاري هو مجتمع حبيس تراثه وموروثاته الثقافية.

(11) الحضارة بوصفها نظاماً (الشمولية للتعاريف السابقة)

عرف وِيل دورانت (Will Durant)، الحضارة على أنها : « نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي وإنما تتألف الحضارة من عناصر أربعة : الموارد الاقتصادية، النظم السياسية، التقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون. وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق، لأنه متى ما آمن الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء وبعدئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها»[30].

وهذا التعريف يعد نوعاً ما، جامعاً لمعنى التعاريف السابقة؛ إذ إنه دل على الجانب الاجتماعي من جهة، وتضمن الحضارة للثقافة من جهة أخرى، وكذلك لم يغفل تعريف الحضارة بكونها تتضمن مجموعة من التشريعات. والجديد أنه تطرق إلى موردين مهمين هما الجانب الاقتصادي والأمني، وهما ركيزة كل مجتمع أكان الحضري منه أم غيره، وكذلك هو من أسس المدنية التي سنتكلم عنها.

قال تعالى:﴿**الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف**﴾[31]

فأساس الحضارة والمدنية وقيام كل مجتمع هما العامل الأمني والعامل الاقتصادي. والواقع أن أي تجربة بشرية يمكن إطلاق لفظ حضارة عليها ما دامت تتوافر فيها الأبعاد الآتية:

---

(30) ديورانت، وِيل: **قصة الحضارة**، المجلد الأول، ترجمة زكي نجيب محمود ومحمد بدران، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر، سنة 2001، ص 3.

(31) **القرآن الكريم**، سورة قريش، الآية رقم 4.

(أ) وجود نسق عقدي يحدد طبيعة العلاقة مع عالم الغيب ومفهوم الإله.

(ب) وجود بناء فكري سلوكي في المجتمع يشكل نمط القيم السائدة وهي الأخلاقيات العامة والأعراف .

(ج) وجود نمط مادي يشمل جميع الأبعاد المادية في الحياة .

(د) تحديد نمط العلاقة مع الكون ومسخّراته وعالم أشيائه .

(هـ) تحديد نمط العلاقة مع الآخر، أي المجتمعات الإنسانية الأخرى وأسلوب إقناعها بهذا النموذج والهدف من ذلك الإقناع[32].

(12) الحضارة بمعنى الحضور

الحضارة بمعنى الحضور أو القدرة على صنع الحضور، وفي هذا الشأن يورد «زكي الميلاد» خمسة معانٍ للحضور الذي يتضمنه مفهوم الحضارة:

(أ) الحضارة بمعنى القدرة على الحضور، وهذه القدرة من شروطها التطور المستدام والتجديد المتواصل حتى يمكِّن لأمة من أن يكون لها حضورها في كل مرحلة وكل زمن وكل عصر.

(ب) الحضور بمعنى مواكبة المتغيرات والتحولات على الأصعدة المختلفة، الداخلية والخارجية، الإسلامية والعالمية، وهذا يعني أن يكون الإنسان والأمة في مستوى العصر وما وصل إليه من تطور وتقدم، الذي يعطي معنى الحضور دلالته الفعلية.

(ج) الحضور بمعنى الانفتاح والتفاعل والتواصل، فالحضارات لا تبنى في ظروف الانغلاق أو الجمود أو الانكماش.

(د) الحضور بمعنى المسؤولية وتحملها على مستوى العصر ومقتضياته ومتطلباته، وهذا مصداق قوله تعالى:﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ**

---

(32) عارف، نصر محمد: **الحضارة، الثقافة، المدنية**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية، 1994، ص61.

وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[33]. وقوله تعالى:﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾**[34].

(هـ) الحضور بمعنى المشاركة والتعاون في كل ما يرتبط بشؤون العصر من قضايا وأحداث ومواقف وتطورات[35].

ومن الجدير بالذكر هنا أن الميلاد حاول ساعياً أن يجعل معنى الحضور يخرج من بوتقة المعنى اللغوي المنحصر في القواميس والمعاجم، إلى معاصرة الاستخدام والمعنى. إذ حاول تسليطه على الحضور بمعنى التطور أو المشاركة أو مواكبة المتغيرات أو الانفتاح أو التعاون.

(13) الحضارة قوة الصناعة وصناعة القوة

الحضارة بمعنى قوة الصناعة وصناعة القوة. هذا ما يراه «إدريس هاني»، حيث يناقش مفهوم الحضارة من معنى الحضور وربطه بالاستقرار والرسوخ ويتمسك بهذا المعنى (الرسوخ) ليستخدمه في تعريفه السابق، إذ يعتقد إن الحضارة رسوخ في الصناعة ورسوخ في القوة، وإن الحضارة هي نمط في العمران يقوم على مبدأ القوة، ومصاديقها، قوة الصنائع، وهي قوة تستند إلى ديناميتها وتجددها وتعقدها، إن القوة ليست بمعنى القوة العسكرية فحسب، بل القوة توجد في كل مظاهر الحياة الحضارية[36].

---

(33) **القرآن الكريم**، سورة آل عمران، الآية رقم 104.

(34) المصدر نفسه، سورة البقرة، الآية رقم 143.

(35) الميلاد، زكي: المسألة الحضارية، **كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير**، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 1999 ص 93 - 94.

(36) هاني: إدريس: **تعدد الثقافات وآفاق الحوار الحضاري**، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد - العراق، 2005، ص 155.

2 ـ الحضارة: المعنى التداولي (بالضد من الجينيالوجي)*

ويقصد من منهج التعريف هذا أنه يعرِّف اللفظ بالمعنى الاصطلاحي التداولي، وليس ما تداول سابقاً أو في مدة ما أو المعنى اللغوي الذي تواضع عليه فحسب، بل يتناول تعريف المفهوم على أساس المعاصرة والتداول الآني؛ لأن ما يفهم من معنى المصطلح عموماً هو فهم خاضع لظروف عدة منها الواقع والظرف التاريخي الذي يعيشه قارئ المفهوم والنص عموماً، لذلك فإن الخوض أو الاعتماد على تفسير أو تعريف للنص المعاصر أو المفهوم المتداول حالياً بلغة وعقل ما قبل المعاصرة والتداول الآني، يؤدي إلى لبسٍ في تحديد المعاني واختلاط وغموض في ربط المفهوم واستخدامه بنص من النصوص، أو قراءته وتفسيره ضمن تلك النصوص ومنها، وإذ نعتقد بصلاحية هذا المنهج للتعريف، فإن مفهوم الحضارة هو «مفهوم آني تداولي يعبر عن لحظة تداولية ما، ومن ثم فهو مفهوم مفتوح على التطورات والاحتمالات»[37].

---

* جينيالوجيا (GENEALOGY): بمعنى السلالة أو سلسلة النسب أو الأصل أو علم الأنساب (المورد **القريب**، ص173)، وهو نفسه ما يقصد منه بالتشجير النسبي الذي يهدف إلى ربط السيرورة بالأصل المطلق كما يعرّفه إدريس هاني في كتابه **تعدد الثقافات وآفاق الحوار الحضاري**، ص155، أي التغير الذي يلحق اللفظ تداولياً وإعادته وربطه بالأصل اللغوي أو التواضعي الأصلي أو الذي تواضع من أجله. وهنا المعنى المراد منه هو المعنى اللغوي الذي تجاوزنا الكلام فيه في تعريفنا للحضارة، وحينما نختلف مع الأستاذ إدريس هاني، إنما نختلف في تسميته لهذا المنهج الجديد، أي المنهج التداولي بالمنهج الجينيالوجي، في حين كان الأحرى به أن يسميه بـاللاجينيالوجي لأنه يعرفه بـ «المعنى النقيض الذي تجتث فيه شجرة المفاهيم كما يصبح المعنى أكثر التصاقاً بالخبرة التداولية» (المصدر السابق ـ، ومنه نرى أنه يقرر النقيض في المحتوى للتعريف من دون أن يغير الاسم الذي أسميناه في دراستنا بالمنهج التداولي، كما إنني أعتقد أن ما يراه إدريس هاني في نحته للمفهوم بهذا المعنى أن المراد كان تعريف المفهوم بحسب الأصل الاصطلاحي (التواضعي الأصلي)، في حين نرى أنه حتى الأصل الاصطلاحي يجب أن يخضع لطريقة المنهج التداولي بحيث يصبح التعريف الاصطلاحي مجمد التأثير فكرياً إذا لم يحقق المعنى المطلوب طبقاً للنموذج الفكري السائد أو المتعارف أو التداولي.

(37) هاني: إدريس: **تعدد الثقافات وآفاق الحوار الحضاري**، ص 144.

وبنظرة سريعة لكل الآراء والتعاريف، ابتداءً من المعنى اللغوي ومروراً بالمعنى الاصطلاحي واستقراراً على المعنى التداولي، يتبين أن معنى الحضارة يمكن أن يصاغ من قبل التوليف لأغلب الآراء السابقة في التعريف فنقول:«إن الحضارة هي أوسع مستويات الهوية الدينية والثقافية والجغرافية والاجتماعية»، وهي بذلك تعبير عن الهوية الأوسع والتمثيل الأكبر بالمشتركات الأكثر والمشكلات الأصغر.

فتكون الحضارة متكونة من (الدين أو المعتقد أو الأيديولوجيا) و (الثقافة أو المعارف والعلوم والفنون الخاصة بأي أمة أو شعب) و (الأرض أو الجغرافيا أو الوطن) و (الإنسان أو المجتمع أو العلاقات الاجتماعية بين أبناء المجتمع الواحد).

والقصد من التعريف الأخير، أن الحضارة لا تنشأ أو لا تكون من غير فكر مقدس أو أيديولوجيا تنظيمية كتشريع وقانون، فضلاً على وجود ثقافة أو معارف وعلوم تمثل اللغة والمستوى العلمي، ووطن أو أرض تمثل الاستقرار الذي به تنشأ الحضارة وإنسان أو مجتمع يمثل العنصر المحور للدين أو الثقافة أو الأرض، وإثبات أن فكرة الحضارة (بحسب تعريفنا) خضعت لمنهج التداول، وهي أن الانتماء هو المحرك الأساس لكل التعاملات الحضارية، وأن الكلام عن أي حضارة يدعو إلى تصنيف الإنسانية إلى مجاميع تنتمي بحسب ضوابط مخصصة ومعينة - كما بيناها آنفاً -.

ثانياً: الثقافة

1 ـ الثقافة: المعنى اللغوي

جاء في **المعجم الوسيط**:«ثقف الرجل ثقفاً: صار حاذقاً فطناً وثقف العلم والصناعة: حذقهما، وثقف الرجل الشيء: ظفر به، وجاء فيه أيضاً: ثقف فلان ثقافة: صار حاذقاً فطناً. وثقف الشيء أقام المعوج منه وسوّاه، وثقف الإنسان: أدبه وهذبه وعلمه»[38].

---

(38) **المعجم الوسيط**، مجموعة من المؤلفين، مادة **ثقف**، ط2 ص98.

فتكون الثقافة بثلاثة معانٍ[39] هي :

أ ـ **الحذق والمهارة.**

ب ـ **الفطنة والذكاء.**

ج ـ **التهذيب وتقويم الاعوجاج.**

2 ـ الثقافة: المعنى الاصطلاحي

أ ـ الثقافة بمعنى الجانب النظري والفكري

تتماشى التعاريف بحسب هذا التصنيف بتأكيدها الوجه النظري فحسب، دونما ربط للثقافة بأي تجسدٍ مادي؛ فالثقافة هي «الجانب النظري لأسلوب الحياة السائد في مجتمع ما»[40]، وكذلك نجد أستاذنا «مدني صالح»، قد عدها بمثابة «قوة التاريخ الإبداعية في العلم والفن والأدب»[41]، وهي بذلك تمثل الجانب النظري والإبداعي الفكري لدى الإنسان والمجتمع. أيضاً، فإن اللفظ أصبح يطلق على الأدب والفنون ابتداءً من عصر النهضة أو معه.[42]

وكذلك عد «جميل صليبا» القائل في **معجمه**، إنه من الأولى أن يطلق لفظ الثقافة على مظاهر التقدم العقلي وحده[43]، والذي يعني فكرة التطور المعنوي فحسب.

وعرَّف إدوارد تايلور (Edward Taylor)* الثقافة على أنها «ذلك الكل

---

(39) الميلاد، زكي: **المسألة الثقافية**، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 2005، ص235 - 239.

(40) عبد الأمير، كاظم: جدلية النص والعقل في الثقافة العربية الإسلامية، مجلة **دراسات فلسفية**، العدد الثالث، بيت الحكمة، ص 18.

(41) صالح، مدني: في مهب عواصف التاريخ، مجلة **الموقف الثقافي**، العدد 40 لسنة 2002، ص 8.

(42) محمود الخالدي: **المدخل إلى الفلسفة الإسلامية**، ص 71.

(43) صليبا، جميل: **المعجم الفلسفي**، ص 79.

* تايلور: (Taylor) . إدوارد برنت تايلور (1832-1917) عالم أنثروبولوجيا بريطاني أصبح=

المركب الذي يتضمن المعارف والعقائد والفنون والأخلاق والقوانين»[44].

وفي السياق نفسه، جاءت العديد من التعريفات للثقافة على أنها: مطلق العلم أو التحصيل المعرفي والروحي الذي ينتهي بالفرد والجماعة البشرية إلى تحقيق الكمال على مستويات العلم والفلسفة والأدب والفن والتفكير والحكم والإرادة والتدبير والفهم والوجدان والشعور والتصور والإدراك، أي على مستوى كل ما يتصل بالحياة والسلوك من مظاهر وقوى وحالات ومعارف وعقائد وفنون وقيم وقوانين وأخلاق وعادات[45].

ب ـ الثقافة بمعنى التطور والتراقي الفكري

وعرفها ماتيو أرنولد (**Matthew Arnold**)* على أنها «عملية تراقٍ نحو الكمال الإنساني تتم بتمثل أفضل الأفكار التي عرفها العالم وبتطوير الخصائص الإنسانية المميزة»[46].

=أستاذاً لعلم الإنسان في جامعة أكسفورد منذ عام 1896، وظل بها حتى تقاعده في عام 1913. أسهم إسهاماً كبيراً في دراسة الثقافة وكان أحد رواد الاتجاه التطوري، وقال بالنظرية البيولوجية، وأسهم في تطوير الدراسات المقارنة للأديان. يرى تايلور أن الثقافة تطورت من الشكل غير المعقد إلى الأشكال المعقدة، مبدياً اتفاقه مع مورغان بشأن مراحل التتابع الثقافي من الوحشية إلى البربرية فالمدنية. وكان كتابه **أبحاث في التاريخ المبكر للبشرية وتطور المدنية**، في عام 1869، والذي أعقبه كتاب **المجتمع البدائي** في عام 1871، قد انطلقا من وجهة نظر تطويرية (المصدر: مجلة **الأنثروبولوجيا**، الاتجاهات النظرية في الأنثروبولوجيا، أسامة عبد الرحمن النور وأبو بكر يوسف شلابي، السودان، العدد الثاني، شباط/ فبراير،2002 نسخة إلكترونية).

(44) إبراهيم سمعان، وهيب: **الثقافة والتربية في العصور القديمة**، دار المعارف بمصر، سنة 1961، ص 13.

(45) مبارك، محمد: **مقاربات في العقل والثقافة**، دائر الشؤون الثقافية العامة، بغداد - العراق الطبعة الأولى 2004، ص 74.

* ماتيو أرنولد: (Matthew Arnold) . 1822-1888 . شاعر وناقد إنكليزي .**المورد**، الملحق، ص 9).

(46) رشيد مسعود: **الثقافة - الموسوعة الفلسفية**، تحرير معن زيادة وآخرون، معهد الإنماء العربي، الطبعة الأولى، 1986، المجلد الأول، ص 312

ج ـ الثقافة بوصفها فكرة دينية

فيما ربط البعض الثقافة بالإطار الديني المنتج لها، فعرفوها على أنها ذلك «الكل الذي يعبر عن العناصر الأساسية للشخصية الفردية والاجتماعية والتي تتكون كما نعتقد من مثلث العلاقات الذي يتفاعل ويلخص النظرة إلى الله (العقيدة والدين) والى الآخر (الكون والطبيعة والمجتمع) والى الذات (الرغبات والغرائز)»[47]؛ وفي السبيل نفسه جاءت لتدل على «ذخيرة مشتركة لأمة من الأمم تجمعت لها وانتقلت من جيل إلى جيل خلال تاريخ طويل وتغلب عليها بوجه عام عقيدة دينية هي جزء من تلك الذخيرة المشتركة»[48].

د ـ الثقافة بمعنى التطور والتدرب أو التعلم

وهذا الرأي ما عمد إلى اعتناقه لالاند في **موسوعته** حيث عرّف الثقافة على أنها : «بالمعنى الأضيق والأقرب من المعنى المادي- هي- تطور أو نتيجة تطور بعض الملكات، ملكات العقل والجسد. وبالنحو العام، **أولاً**، ميزة شخص متعلم وكان قد طور بهذا التعلم ذوقه وحسه النقدي، **ثانياً**، تربية يترتب عليها توليد هذه الميزة»[49].

هـ ـ الثقافة باعتبارها فكرة خلقية ومنظمة للسلوك

عرّف مالك بن نبي الثقافة على أنها «مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لاشعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه»[50]؛ ويقول هنري لاوست، إن الثقافة «هي مجموعة الأفكار والعادات الموروثة التي يتكون فيها

---

(47) عتريسي، طلال: ندوة: "الإسلام والتحديات الثقافية المعاصرة"، مجلة **المنهاج**، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، العدد الثامن، السنة الثانية، شتاء 1997، ص 274.

(48) محمود الخالدي: **مدخل إلى الثقافة الإسلامية**، ص 71.

(49) لالاند: **الموسوعة الفلسفية**، ج1، ص 240 -241.

(50) بن نبي، مالك: **مشكلة الثقافة**، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق - سوريا، 2005، ص 74.

مبدأ خلقي ما ويؤمن أصحابها بصحتها وتنشأ عنها عقلية خاصة بتلك الأمة تمتاز عن سواها»[51]؛ وعرفها نيتون بأنها « تنظيم للسلوك المكتسب ولنتائج ذلك السلوك»[52]؛ أما لسلي وايت، فقد عرفها كونها «تنظيم لأنماط السلوك والأدوات والأفكار والمشاعر..»[53]؛ ورأى المدرسي، «أن الثقافة تعني «الأفكار المؤثرة في السلوك وفي مسيرة الإنسان اليومية»[54]؛ ونحى المنحى ذاته محمد رحيم عيوضي، قائلاً إن الثقافة هي :«مركب مترابط من القيم والاعتقادات والآداب والسنن .. والعناصر البناءة التي تدخل في تكوين شخصية أي قوم وأخلاقهم وسلوكهم»[55].

و ـ ما بين الثقافة والفقه

حاول «الميلاد» أن يلفت النظر إلى ما بين الثقافة والفقه من علاقة. إذ يرى إنه «يمكن القول إن كلمة الفقه هي الكلمة التي أخذت مكان الثقافة في المنظومة الإسلامية وكان بإمكان كلمة الفقه أن تصبح الكلمة التي تعادل كلمة الثقافة عند الأوروبيين .. وجاء اختيار كلمة الفقه باعتبار أن الإسلام جعل من الدين محور الحركة ـ الإنسان في هذه الحياة.. وبين الفقه والثقافة توافقات من جهة الدلالات اللغوية، فهما يأتيان بمعنى الفهم والفطنة ولعل تحول الفقه إلى علم يُعنى بالأحكام الشرعية العملية المستنبطة من الأدلة التفصيلية، أوقف إمكانية أن تتطور كلمة الفقه خارج نطاق هذا العلم ... ولكن هذا لا يمنعنا من أن نوسع دائرة النظر حول كلمة الفقه واختبار فكرة الثقافة في إطار هذه العلاقة»[56].

---

(51) محمود الخالدي: **مدخل إلى الثقافة الإسلامية**، ص 71.

(52) إبراهيم سمعان، وهيب: **الثقافة والتربية في العصور القديمة**، دار المعارف بمصر، 1961، ص 13.

(53) المصدر نفسه.

(54) عباس، عبد الغني: **تطلع أمة، قراءة في أفكار آية الله السيد محمد تقي المدرسي**، دار محبي الحسين، طهران - إيران، ص 69.

(55) عيوضي، محمد رحيم: الغزو الثقافي وحوار الحضارات، مجلة **المنهاج**، عدد 22، السنة السادسة، 2001، ص 318.

(56) الميلاد، زكي: **المسألة الثقافية**، المركز الثقافي العربي، بيروت،الطبعة الأولى،2005، ص 244.

ز ـ مفردة الثقافة في «مقدمة» ابن خلدون

على الرغم من قول بعض المفكرين العرب إن لفظ الثقافة، لفظ حديث وإنه مستورد من المنظومة الفكرية الغربية كترجمة لـ (Culture)، إلا أن الباحث المتقصي للحقيقة، يجد أن اللفظ كان جزءاً من المنظومة الفكرية العربية الإسلامية على خلاف ما نادى به مالك بن نبي وكرره في مواضع عدة من كتابه **مشكلة الثقافة**[57]، **إلا أنه قد التفت «زكي الميلاد» بتحليل وافر إلى أن اللفظ قد كان جزءاً من مقدمة** (ابن خلدون)؛ فبعد أن تتبع كلمة الثقافة في **مقدمة** ابن خلدون، نجده في كتابه **المسألة الثقافية**، يحدد عدة معانٍ لهذه الكلمة بحسب استعمالات ابن خلدون لها في كتابه **المقدمة**، وهي:

(1) «الثقافة - بفتح الثاء وشدها - : وجاءت في سياق حديث ابن خلدون عن الانفراد بالمجد والملك وإذا أقبلت الدولة على الهرم (.. فلا يفرق بينهم وبين السوقة من الحضر إلا في الثقافة والشارة ..).

(2) الثقافة -بكسر الثاء مع الشدة - : وفي نص ابن خلدون (... ويلبسون على الناس في الشارة والزي وركوب الخيل وحسن الثقافة يموهون بها ...).

(3) **بصيغة (الثقاف) - بكسر الثاء -** : وجاء نص ابن خلدون في رسالة عبد الحميد الكاتب التي نشرها في **مقدمته** (... وتفقهوا في الدين وابدأ بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العربية فأنها ثقاف ألسنتكم) .

(4) بصيغة ثقافته - بكسر الثاء - : في نص **المقدمة** (... وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته...)

(5) صيغة (تثقيف) : وجاء في سياق الحديث عن التفارق في مراتب السيف

---

(57) مشكلة الثقافة، ص 25، كرر بن نبي الفكرة ثلاث مرات في الصفحة نفسها. وفي ص 26 أعاد الفكرة وشرحها، وإن كان في كتاب آخر يعترف بوجود لفظة الثقافة في **مقدمة** ابن خلدون، إذ يقول:«إن كلمة الثقافة نفسها وردت في **مقدمة** ابن خلدون مرتين أو ثلاثاً في فصول موزعة من **المقدمة** من دون أن يكون لمدلول الكلمة ضبطاً يحمل إلينا معنى الثقافة كما نفهمه أو نحاول أن ندركه اليوم». انظر: بن نبي، مالك: **مجالس دمشق**، دار الفكر، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى 2005، ص94. ولم يشر بن نبي أنه خالف هذا الكلام في كتب سابقة له وبخاصة في كتابه المركزي **مشكلة الثقافة**.

إذ يقول (... لأنه حينئذ آلته التي بها يستظهر على تحصيل تراث ملكه والنظر إلى أعطافه وتثقيف أطرافه ..) .

(6) بصيغة (تثقيفاً): وجاء في سياق الحديث عن صناعة النظم والنثر: «... فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم أحسن ديباجة.. وأعدل تثقيفاً بما استعادوه من الكلام العالي ..»[58].

والإفادة من هذه الاستعمالات لكلمة الثقافة هو أن ابن خلدون تعامل مع اللفظة باعتبارها مفردة لغوية وتعامل معها كجزء متعارف عليه في مفردات قاموس اللغة العربية. والثقافة في الاستعمال **الأول**، بمعنى الحذق والفطن. وفي الاستعمال **الثاني**، بكسر الثاء كانت بمعنى الملاعبة بالسيف وإظهار الحذق والمهارة. وفي الاستعمال **الثالث** (الثقاف)، بكسر الثاء كانت بمعنى الاستواء والتهذيب. وفي صيغة (ثقافته) في الاستعمال **الرابع**، كانت بمعنى الظفر والحذق. وفي الاستعمال **الخامس**، كانت بمعنى التعديل والتقويم. و(تثقيفاً) بتسكين الثاء في الاستعمال **السادس**، كان بمعنى التقويم والتهذيب[59]. وما نستفاد منه من البحث أعلاه، هو إشارة لإثبات أن لفظة الثقافة كانت ضمن المنظومة العربية الإسلامية وأنها ليست مستوردة كما رأى «بن نبي».

3 ـ الثقافة بالمعنى التداولي

الثقافة، هي ما يملكه الفرد أو المجتمع من معارف وعلوم وفنون، وهي بذلك صياغة وتنظيم أو أدلجة لسلوك الأفراد وبناء شخصياتهم من جهة، ومن جهة أخرى، أداة للتعامل مع الآخر على السبيل الفردي أو المجتمعي أو الحضاري، فيكون هذا التعريف من الشمولية اللائقة بأن تكون مميزة بجمع التعاريف السابقة الذكر آنفاً. وما يدل على انطباق المنهج التداولي على التعريف، هو إن لفظة المثقف اليوم تطلق على من يمتلك مجموعة من

(58) الميلاد، زكي: **المسألة الثقافية**، ص 23.

(59) المصدر نفسه: ص 23 - 26.

المعارف والفنون والعلوم التي تمكنه من أن ينّظر وينظم سلوكاً وأسلوباً تعاملياً يهدف إلى إيصال صفة المتكلم وما يمتلكه من خزين معرفي عام أو خاص.

ثالثاً: المدنية

1 ـ المدنية: المعنى اللغوي

مدن فلان يمدن: أتى المدينة. وتمدن عاش عيشة أهل المدن، وأخذ بأسباب الحضارة. وتمدّن: عاش عيشة أهل المدن وتنعّم. والمدنية: الحضارة واتساع العمران[60].

2 ـ المدنية: المعنى الاصطلاحي

أ ـ المدنية بمعنى التطور على المستوى النظري والعملي

تعرّف المدنية على أنها: «مرتبة سامية وتطور راقٍ، إذ تتجمع ظواهر وخصائص وكفاءات في المدن قل أن توجد في حياة الحضر وفي القرية، وفي المدينة تبدو مظاهر التقدم العلمي والفني والفكري والأدبي والتقني والآلي وغيرها..»[61].

وفي التعريف السابق أمور عدة ينبغي الالتفات إليها. هي أولاً أن المدنية ليست ثبات أو استقرار بل حالة صيرورة وتطور، وأنه ميّز بين وجود ثلاثة مجتمعات هي الحضر والقرى والمدن، وعد أن المدنية هي أعلى شأناً من الحضارة.

ب ـ المدنية بمعنى وجود التشريع أو القضاء

وقد أشار البحث في أصل كلمة المدنية «إلى أن الكلمة مدينة ترجع

---

(60) مجموعة مؤلفين: **المعجم الوسيط**، مادة **مدن**، ص859.

(61) الظاهر، نعيم: **الحضارة العربية الإسلامية**، دار اليازوري العلمية، الطبعة الأولى، 2001، عمّان - الأردن، ص 10.

أصلاً إلى كلمة دين وأن لهذه الكلمة بهذا المعنى أصلاً في الآرامية والعبرية، أي إنها ذات أصل سامٍ وعرفت المدينة عند الإكديين والآشوريين بالدين أي القانون، كما إن الديان يقصد بها في اللغة الآرامية والعبرية (القاضي) .. وتوافق هذه التفسيرات ما ورد في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وما أشار إليه بعض معاجم اللغة العربية؛ فقد وضح من التفسير القرآني أن كل المواضع التي أطلق عليها لفظ مدينة كان عليها حكام وملوك وفيها على وجه التحقيق الصيغة القضائية والدينية والإدارية والسياسية»(62).

ج ـ المدنية باعتبارها زراعة وصناعة وعمران

وهو ما وصف به مدني صالح، المدنية إذا عدها «بضاعة سلعية»(63)، ولهذا الرأي وجه كبير من الصحة. إذ إن الإنسان قد عاش «خلال معظم فترات التاريخ في تجمعات ذات طابع ريفي يعتمد على الجمع والالتقاط أو الصيد أو القنص أو الرعي والزراعة المتنقلة، وذلك قبل أن يظهر أسلوب الحياة الذي يقوم على ممارسة الزراعة الكثيفة المستقرة التي تتطلب الارتباط بالأرض بصفة دائمة .. وتعتبر هذه المرحلة الأخيرة خطوة ممهدة لظهور المدن والمجتمعات الحضرية... والتي بلغت ذروة التماسك والتعقيد بالتحول إلى صناعة»(64). وارتبطت المدنية بفكرة العمران. إذ يعبر العمران «على الإنشاءات العينية والإنجازات التي تحدثها المدنية كشبكات الطرق والمباني ووسائل الاتصال والمصانع والمزارع والمختبرات والمشافي والمدارس»(65).

---

(62) عبد الستار، محمد: **المدينة الإسلامية**، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1988، ص15.

(63) صالح مدني: مجلة **الموقف الثقافي**، "في مهب عواصف التاريخ"، العدد 40، سنة 2002، ص 8.

(64) أبو زيد، أحمد: الاتجاه نحو التحضر، مجلة **العربي**، تصدر عن وزارة الإعلام الكويتية، العدد 555، شباط/ فبراير - 2005، ص 20.

(65) رشيد مسعود: **المدنية - الموسوعة الفلسفية**، تحرير معن زيادة وآخرون، معهد الإنماء العربي، الطبعة الأولى، 1986، المجلد الأول، ص 738.

د ـ تشابك مفهوم المدنية مع الحضارة

ومن يطلع على ما قيل حول تعريف مصطلح المدنية، يجد تشابكاً كبيراً بينه وبين مصطلح الحضارة؛ فمنهم من عد المدنية أحد عناصر الحضارة، وجعلها تحوي العمران والتشريعات والقوانين[66]؛ ومنهم من عد أن التقدم الحضاري ينتهي إلى مستوى المدني، فتكون المدنية أعظم شأناً وأرقى درجة من الحضارة[67].

وساوى بين المفهومين الكثير من الباحثين، كما ساوت الكثير من التراجم بينهما، حيث ترجمت لفظة (Civilization)، على أنها الحضارة والمدنية، وأكد هذا الرأي ألبرت شفايتزر بقوله : «.. لكننا لا نستطيع التفرقة بين الحضارة والمدنية».[68]

3 ـ المدنية: المعنى التداولي

بغض النظر عن السلسلة النسبية لمفهوم المدنية، يتبين أن اللفظ أصبح يطلق على الدلالات المادية والعمرانية للحضارة من جهة، ومن جهة أخرى، فإن المدنية تعنى بالزراعة والصناعة والتقنية والآلات، والتي تمثل الجانب المادي التجاري والسلعي للحضارة، وحتى ما يسمى اليوم بـ ثورة المعلومات والتكنولوجيا (التي هي المحور الأساس للمدنيات في العالم)، إذ تنضوي تحت هذا العنوان؛ ومن ثم فإن المدنية هي اقتصاد وعمران وتكنولوجيا حضارة أو دولة ما أو أي مجتمع كان أو أمة، وانطباق المنهج التداولي على التعريف يتضح من خلال انطباق فكرة المدنيات اليوم على معنى التطور المادي والذي يعكس بقدر الإمكان مدى التطور العمراني والاقتصادي لأي بلد ما، وعليه فإن الكلام عن مدنيات لحضارات أمر صعب جداً، والأحرى أن يكون المعنى مقترناً بدول أو مدن معينة؛ فكل دولة فضلاً على الحضارة،

---

(66) المصدر نفسه.

(67) توينبي، أرنولد: **تاريخ البشرية**، ترجمة نقولا زيادة، الأهلية للنشر والتوزيع بيروت - لبنان، 1982، ج2، ص 9.

(68) شفايتزر، ألبرت: **فلسفة الحضارة**، ص37.

تحتوي داخلها القرى والأرياف وأسلوباً بدائياً في الحياة مع وجود العكس من المدنيات كذلك.

4 ـ الحضارة والثقافة والمدنية، كمفهوم ومصطلح معتمد

الحضارة؛ هي أوسع مستويات الهوية والانتماء الديني والثقافي والاجتماعي والجغرافي، وهي بذلك تمثل الكل الذي يتضمن العملية المتفاعلة من العوامل الأربعة السابقة، والتي تحكم على أساس تشريعي وقانوني تنظيمي، تارة باسم الدين، وتارة أخرى على أساس القوانين الوضعية الإنسانية، ومحورها الإنسان والمجتمع، ولغة تعاملها مع الآخر هو ثقافتها، وتجمعها أرض تمثل الاستقرار الذي هو أساس كل حضارة.

الثقافة؛ هي ما يملكه الفرد أو المجتمع من معارف وعلوم وفنون، وهي بذلك تنظيم وأدلجة لسلوك الأفراد وبناء شخصياتهم من جهة، ومن جهة أخرى أداة للتعامل مع الآخر على السبيل الفردي أو المجتمعي أو الحضاري.

المدنية؛ هي مستوى العمران والاقتصاد الذي يمثل الحضارة أو البلد أو حتى أي مجتمع صغير يمتلك هذه العوامل. مع إضافة عامل ثورة المعلومات وتكنولوجيتها الذي أصبح رمزاً آخر من رموز المدنية المرتبط بالعمران والاقتصاد.

والتلازم الحاصل بين المفاهيم الثلاثة، يمكن أن يتصور أو يؤخذ على أن الحضارة هي الكل الذي تتضمن فيه الثقافة من جهة المحتوى والمدنية، ومن جهة الهيئة والصورة. وهذا وإن كان فيه من الصحة الشيء الكبير، إلا أنه لا تلازم حتمياً حدياً بين هذا التشكل الصوري للأطراف الثلاثة.

الفصل الثاني
نظريات في التعامل بين الحضارات

تمهيد

بعد أن بيّنا أهم المفاهيم الأساسية والرئيسة في البحث، وهو مفهوم الحضارة ورديفيه من الثقافة والمدنية وتحديدهما كأدوات بحث، يبقى لدينا مبحث مهم حول تبرير اختيار الحضارة كتفسير أو محور لتفسير العلاقة بين الغرب والإسلام أو الشرق والغرب، وفي إجابة عن التساؤلات التي من شأنها أن تتناول موضوع سبب اختيار عنوان الحضارة كأساس لتصنيف سبل التعامل البشري بشتى أشكاله، ولاسيما الكلام عن صيغة التعامل الحضاري، والعلاقة بين الحضارات، ومعنى ودلالة مفهوم الحضارات على عناوينها، فإنه يجب أن نؤطر هذه التساؤلات في محاور عدة هي :

الأول، ما مبررات اختيار الحضارة كأساس لتصنيف نوع التعامل بين التجمعات البشرية ؟

الثاني، ما أسس كل من الحضارة الإسلامية والغربية لكي نؤسس أو نفسر نوع العلاقة الحاصلة بينهما ؟

الثالث، أي إسلام هو المقصود في صيغ التعامل سواء التفسيرية منها أو الإنشائية ؟

وفي ما يخص التساؤل الأول حاول هانتنغتون، الإجابة عنه بمقالة تحت عنوان «إذا لم تكن الحضارة فماذا يكون؟». إذ رأى أن القضايا المثارة في ما بين الحضارات تحل بصورة متزايدة محل القضايا التي كانت مثارة في ما بين الدولتين العظيمتين[1]، «وأن النهج الحضاري يفسر الكثير، وهذا هو السبب في أنه استحوذ على مثل هذا القدر من الاهتمام وأثار مثل هذا القدر من

---

(1) عنوان مقالة هانتنغتون التي نشرت رداً على الردود التي قدمت بشأن مقالته في **صدام الحضارات** بالنقد والتحليل وطبعت في كتاب بعنوان **صدام الحضارات** لمجموعة مؤلفين من ضمنهم هانتنغتون، صدر عن مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق في بيروت - لبنان، عام 1995، ص 75.

الجدل عبر العالم»، فهل يستطيع أي نموذج آخر أن يحقق ما هو أفضل من اعتماد الحضارات كمحور للبحث؟ «إن الردود على مقالتي لم تقدم أي صورة بديلة مقنعة للعالم، وهي في أفضل الأحوال تقترح بديلاً زائفاً وبديلاً غير واقعي»[2].

ويرى هانتنغتون، يجعل من ذاته غير ذي معنى، لأن أن الاعتراض (على نظرية **الصراع بين الحضارات**)، يجعل من ذاته غير ذي معنى، لأن الدول هي المسيطرة على الحضارات لا الحضارات هي التي تسيطر على الدول[3]، أنه ليس من معنى للحديث عن الدول ومثلما كانت الدول تنتمي بصفة عامة إلى واحد من العوالم الثلاثة في الحرب الباردة، فإنها أيضاً تنتمي إلى الحضارات. ومع اختفاء العوالم الثلاثة، فإن الدول تحدد هويتها ومصالحها بمقاييس حضارية على نحو متزايد، وإننا لا نعيش في عالم من البلدان التي تتسم بعزلة الدول من دون صلات بينها، بل إن عالمنا هو عالم التجمعات المتداخلة.. عالم من الدول التي يجمع بينها بدرجات متفاوتة التاريخ والثقافة والدين واللغة والموقع والمؤسسات، وعلى المستوى الأوسع، فإن هذه التجمعات هي حضارات وإنكار وجودها إنكار للحقائق الأساسية للوجود الإنساني[4]، وهذا أساس ما قلنا به في تعريفنا للحضارة على أساس الانتماء؛ فالانتماء وتحديد الهوية على أسس الدين والموقع والثقافة والمجتمع وغيرها، تؤسس معنى الحضارة، الذي يحكم أصول التعامل البشري ولا نقصد من تعامل الحضارات بمختلف الأساليب والمناهج بين تفوق وتخلف صناعي أو تطور وتدهور عمراني، وإنما الأساس هو في التمييز الهوياتي والانتماء الحضاري القائم على الأسس الآنفة الذكر. وذلك التمييز عبر مفهوم الهوية هو الذي يحرك الصراعات، وهو الذي يحرك مختلف أساليب التعامل الأخرى مع الآخر المختلف في الهوية الحضارية.

---

(2) المصدر نفسه، ص 83.

(3) عجمي، فؤاد: مقالة الاستدعاء، كتاب **الصدام بين الحضارات** لمجموعة مؤلفين، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت - لبنان، 1995، ص 53.

(4) هانتنغتون، صاموئيل: مقالة «إذا لم تكن الحضارات فماذا يكون؟»، ص 83-84.

أما الإجابة عن التساؤل الآخر في تحديد معالم كل من الحضارتين الإسلامية والغربية، فإنه يمكن تحديد وتمييز **الحضارة الإسلامية،** بصفات أساسية هي انتمائها ثقافياً إلى النصوص المعصومة (القرآن والسنة)* التي تحدد مسار السلوك والعمل بل الحياة كلها، حيث الإسلام هو ثقافة الحياة كما يرى بعض المفكرين**، وعلى المستوى آخر فهي تعتمد أيضاً على الموروثات الاجتماعية والثقافية التي تمثل المعارف والآداب والفنون الموروثة من تراث الحضارات التي انطوت في يوم من الأيام تحت لواء الحضارة الإسلامية، أو دخلت بعض شعوبها في الدين الإسلامي، وجغرافياً تنتمي (واقعاً) إلى الشرق الأوسط، وتمتد بوجود أفراد أو مؤسسات في الغرب (أوروبا وأمريكا)؛ وبالرغم من عالميته بوصفه رسالة سماوية، والدين هو ما ميز اسم الحضارة وعنوانها وهو الدين الإسلامي على مختلف مذاهبه، «فليس للإسلام كانتماء حضاري علاقة... بالاختلافات المذهبية أو الطائفية»[5]، وتكمن الحاجة إلى الدين كمركز انتماء عام تزداد في المجتمعات بقدر تزايد الانتماءات العصبية الجزئية والتجزيئية فيها، ويتحول الانتماء الديني إلى وسيلة لتجاوز التفتت العام[6]، ويعني ذلك أن تحديد المرتكزات الأساسية للثقافة والدين والوطن هي أساس الهوية التي تتحقق على شكل حضارة تمثل المجتمعات الإسلامية ككل.

وأما ما يخص تحديد معالم الغرب أو **الحضارة الغربية،** فإنه على الرغم مما يحمله مصطلح الغرب من إشكالات وتساؤلات واستفهامات على أسباب تصنيف الفكر على أساس جغرافي، أو الحضارة التي هي نتاج انتماءات، تشكل الثقافة والفكر أساساً لا يستهان به منها، غير أنها عنونت بالإطار

---

* على اختلاف بين المذاهب الإسلامية.

** كتاب **الإسلام ثقافة الحياة**: المؤلف محمد تقي المدرسي، دار المدرسي للطباعة والنشر، طهران - إيران.

(5) غليون، برهان: **نقد السياسة - الدولة والدين**، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة سنة 2004، ص 244.

(6) المصدر نفسه، ص 256.

المكاني الجغرافي، ويرى البعض أن صورة الغرب قد تغيرت اليوم، فالغرب الذي كان ينظر إليه ضمن كيان جغرافي هو أوروبا، وضمن ديانة هي المسيحية، وضمن فلسفة هي التنوير، وضمن عرق هو العرق الأبيض، وضمن نظام اقتصادي هو الرأسمالية، كل ذلك تغير إذ إن اختزال الغرب اليوم في دين معين أو أيديولوجيا معينة أو تحت عنوان الرأسمالية لا يعني جوهر الغرب إنما مظهر من مظاهره وهو الآن وحدة تركيبية من تلك التجليات المتباينة وأصبح كياناً ثقافياً وظاهرة حضارية[7]، وعلى الرغم من كل ذلك، فلا يمكن تصور الغرب منفكاً عن صورة حضارة قائمة على الأساس الليبرالي كنظام اجتماعي والرأسمالية كنظام اقتصادي ودين من الغالبية المسيحية والتمركز الأمريكي كإدارة سياسية وكمحور قيادي لعنوان الغرب ككل وتبعية أوروبا واليابان والدول المحتذية بالأنموذج الغربي، وحاول آخرون أن يؤسسوا لفكرة انتهاء إشكالية الإسلام والغرب، أو الثنائية العلاقاتية التي تحكي أحداث ووقائع وماضي وحاضر ومستقبل ينظر إليه بين كل من الطرفين (الإسلام والغرب). إذ يقوم اعتراض هشام جعيط، على أن الإسلام لم يعد واحداً، كما إن الغرب أصبح مزيجاً مركباً ومن ثم فلا داعي للبحث في ماهية العلاقة بين الكيانين الحضاريين عموماً.[8] ولكن هذا الكلام لا يمكن أن يكون واقعياً لأن العالم مازال بأسره يعتقد بوجود هذه الثنائية ويتعامل على أساسها، وأن الانتماء لأفراد الحضارتين والمجتمعين أخذ بالتفاقم تحت عنوان أحد الطرفين، والأمر الآخر هو أن الطرفين لم ينفكا عن تسمية كل منهما بالآخر وما زالت كتابات وبحوث ودراسات كلا الطرفين تتحدث عن المعية مع الآخر الغربي أو الإسلامي، وأن أي خطر يحسه أبناء أي من الحضارتين فإنه يلملم ذلك الشتات وذلك التفرق تحت عنوان موحد كبير همه الأول الهوية الكبرى (الحضارة).

---

(7) الميلاد، زكي: **نحن والعالم - من اجل تحديد رؤيتنا إلى العالم**، ص 120-121.

(8) جعيط، هشام: **أوروبا والإسلام صدام الثقافة والحداثة**، سلسلة السياسة والمجتمع، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1995 ص 123.

وفي إجابة عن التساؤل الثالث الذي استفهم عن أي إسلام هو المقصود في صيغ التعامل سواء التفسيرية منها أو الإنشائية ؟*، فإن الجواب هو أن النظرية المؤسسة تصور العلاقة مع الإسلام والحضارة الإسلامية على أساس الإسلام المتطرف والأصولية (Fundamentalism) - التي تسمي نفسها - بالإسلامية، وتتجلى هذه التصورات في أسلوب التعامل «الصدامي» و«التصارعي» وعدم الاعتراف من الآخر وعده خطراً على وجود أي من الطرفين وأنه تهديد يجب التخلص منه، ومع الوجه الثاني والحقيقي للحضارة الإسلامية والذي يمثل الإسلام المعتدل، تطفو على السطح دعوات النظريات الاستشرافية التي تدعو إلى الحوار والتعارف والاحترام والتعاون والمشاركة والتعايش، حتى أن البعض من رجال الدين المسلمين وجدوا أن التطرف والأصولية لا تمثلان الدين الإسلامي بل تعارضانه، ويتخذ «إسلام عبد الله»، مدير الجمعية الإسلامية في ولاية نيفادا في أمريكا، موقفاً يناقض فيه جميع دعوات العنف التي تحرك القاعدة وبن لادن والأصولية المتطرفة في تعاملها مع الآخر فيقول: (مخاطباً بعض نماذج التطرف من القاعدة) « أنتم لستم منا، إنكم لا تنتمون إلى نفس الدين، الذي يحاول أتباعه أن يعيشوا حياة يعمها السلام لأنفسهم وللآخرين الذين يخدمون الطبيعة السماوية بحسب مفهومهم، وفي مفهومنا للدين تبدون مناهضين للإنسانية ومناهضين للطبيعة الإلهية، ونحن نرفضكم اليوم كما رفضناكم بالأمس، ليس هناك ما يجمع بيننا، إننا نؤيد الحياة، وانتم تقضون عليها.. إننا ندعم الحرية والتحرر والعدالة، وانتم تروجون للتعصب الأعمى والقتل والكبت»[9]، وبين جدلية الاعتدال والتطرف

---

* نظرية التعامل الحضاري التفسيرية: هي التي تفسر الواقع على أساس معطيات ووقائع وأحداث تاريخية من الماضي والحاضر المعاصر. (مثال: نظرية صدام الحضارات - ستتناولها في البحث ـونظرية التعامل الحضاري الإنشائية أو الاستشرافية: تنطلق من رؤية الواقع إلى العمل من أجل التغيير وطرح البديل وصياغة مشروع يؤسس لأسلوب ومنهج جديد في تعامل الحضارات. (مثال: نظرية تعارف الحضارات التي ستتناولها في البحث).

(9) عبد الله، إسلام: مقالة اقتلونا نحن أيضاً - نحن أيضاً أمريكيون، نشرة واشنطن 13 تشرين الأول/أكتوبر 2006، مكتب الإعلام الخارجي في وزارة الخارجية الأمريكية عبر موقعها على الانترنت

ومعنى هذه المعادلة الثنائية الوجه في التعامل مع الآخر (بل والتعامل مع الأنا والداخل)، جعل من الصعوبة تحديد المعالم الرئيسة والأساس في صياغة منهج حضاري معين أوحد يمثل الإسلام، وعليه سيكون منهجنا في البحث هو في تبني وجه الإسلام المعتدل المتسامح الذي يقبل الآخر شريكاً له في الحياة وأن له ما للآخر من حقوق في الحياة والتعايش والكرامة والاحترام*.

ومن خلال ما سبق، يجب تحديد الرؤية في تصوراتنا حول التعامل الحضاري والنظريات المطروحة تحت هذا العنوان، ومن أبرزها نظريتي **صدام الحضارات وحوار الحضارات**، وسنحاول التطرق إليهما بالتحليل والنقد والتقويم والتقييم ونبحث في النظريات الأخرى المطروحة تارة كبديل وأخرى كنظرية منفصلة ومستقلة.

وسنركز على ما يطرحه الفكر الإسلامي- المعتدل- من نظريات في هذا الشأن ولاسيما نظرية «تعارف الحضارات» التي هي «محور» بحثنا والتي عدت مؤخراً موازية معرفياً لصدام وحوار الحضارات.

1 ـ نظرة كل من الطرفين إلى الآخر (الإسلام والغرب)

قبل التطرق لنماذج من نظريات التعامل الحضاري، أود أن اعرض نصين لمثقفين من الطرفين الإسلامي والغربي (كنموذج)وذلك بعد أحداث 11 أيلول/ سبتمبر 2001، وذلك من أجل إيضاح آخر للتصورات المعاصرة من قبل مثقفي الطرفين الغربي والإسلامي بنموذجين يمكن أن يسميا (بحسب هانتنغتون) بالدول الأساسية في الحضارتين كل منهما إلى الآخر وهما:

أ ـ من بيان المثقفين الأمريكيين (على أي أساس نتقاتل ؟)

في بعض الأحيان يكون على الوطن أن يدافع عن نفسه باستخدام القوة المسلحة والحرب، وهو أمر خطير يقتضي التضحية بالأنفس النفيسة من كلا الطرفين، ولذلك يتطلب الجانب الأخلاقي من الذين يقومون بالحرب أن

---

* تتمثل جذور التعصب والتطرف في مذاهب معينة تتمركز حول إلغاء الآخر وعدم الاعتراف به وعدم الإيمان بالتعددية الدينية.

يصرحوا بالناحية الأخلاقية وراء أفعالهم، لكي يوضح بعضهم لبعض وللعالم كله المبادئ التي يدافعون عنها، ونحن نؤكد الحقائق الخمس الأساسية المتعلقة بجميع البشر من دون تمييز:

(1) يولد جميع الناس على الحرية والمساواة في الاحترام والحقوق.

(2) العنصر الأساسي للمجتمع هو الإنسان نفسه ودور الحكومة الشرعي هو الحماية والمساعدة في تطوير الازدهار البشري .

(3) من طبيعة البشر الرغبة في البحث عن الحقيقة في مقصد الحيلة ومصيرها.

(4) حرية الاعتقاد والحرية الدينية والحقوق غير قابلة للانتقاص لجميع البشر.

(5) القتل باسم الله مخالف للإيمان بالله وهو أعظم غدر لشمولية معنى الإيمان لدى البشر، نحن نقاتل للدفاع عن أنفسنا وعن هذه المبادئ العالمية[10].

ب ـ من بيان المثقفين السعوديين (على أي أساس نتعايش؟)

نحن نرحب بالحوار والمراجعة؛ فالحوار من حيث المبدأ خطوة نبيلة لإعادة طرح الأسس الأخلاقية والتداول حولها من أجل إقامة علاقات أكثر عدلاً وإنصافاً بين الأمم والشعوب، ومن هذا المنطلق، نقدم هذه الورقة من أرض الحرمين كوجهة نظر بديلة متطلعين لتأسيس أجواء تفاهم مشترك تتبناها الحكومات والمؤسسات.

(1) الإنسان من حيث كينونته مخلوق مكرم، فلا يجوز أن يُتعدى عليه مهما كان لونه أو عرقه أو دينه. قال تعالى:﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**﴾[11].

---

(10) نقلاً عن: الجهماني، يوسف إبراهيم: الإسلام والغرب - العلاقات السعودية الأمريكية نموذجاً 11 أيلول/ سبتمبر، **الملحق رقم 10**، بيان المثقفين الأمريكيين (على أي أساس نتقاتل؟)، دار حوران للطباعة والنشر، دمشق -سوريا، الطبعة الأولى 2003، ص 179-187.

(11) **القرآن الكريم**، سورة الإسراء، الآية رقم 70.

(2) تحريم قتل النفس الإنسانية بغير حق وقتل نفس واحدة عند الله كقتل الناس جميعاً. قال تعالى :﴿**أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ**﴾[12].

(3) لا يجوز إكراه أحد في دينه، قال تعالى:﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾ [13]، بل إن الإسلام نفسه لا يصح بالإكراه.

(4) إقامة العلاقات الإنسانية على الأخلاق الكريمة هي الأساس في رسالة الإسلام .

(5) كل ما في الأرض من خيرات ظاهرة وباطنة إنما خلقت من أجل الإنسان وهي إنما خلقت لأجل أن يكون استثمارها في حدود الحق والعدل والإصلاح .

(6) الحوار والدعوة بالحسنى:﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[14] [15].

ويعترض بعض المفكرين على مسألة دعم الحرب وتبريره في خطاب المثقفين الأمريكيين، وينقد بعض الظواهر التي تنتمي إلى العالم الإسلامي والتي تتشكل بصور الإرهاب ويبحث سبل معالجتها فيقول :«مهمتنا الأولى نحن العاملين في ميادين المعرفة ليست تسويغ الحرب، ولا تبرير الإرهاب، بل العمل على تحليل الظواهر وصوغ المشكلات أو تفكيك الأزمات وفهم

---

(12) المصدر نفسه، سورة المائدة، الآية رقم 32.

(13) المصدر نفسه، سورة البقرة، الآية رقم 256.

(14) المصدر نفسه، سورة النحل، الآية رقم 125.

(15) الجهماني، يوسف إبراهيم: الإسلام والغرب - العلاقات السعودية الأمريكية نموذجاً 11 أيلول/ سبتمبر، **الملحق رقم 11**، بيان المثقفين السعوديين (على أي أساس نتعايش؟)، ص 188-190.

المآزق، بابتكار أفكار وإنتاج معارف توسع مفهومنا للحق بقدر ما تغني مفهوم الشخصية البشرية، بذلك نمتلك قدرات أكبر وأفعل لمواجهة الإرهاب عبر التداول مع أصحاب القرار السياسي والشأن الأمني سواء من الناحية السلبية أو الايجابية»[16].

ويبحث «علي حرب»، في أسباب الإرهاب وسبل معالجته، ويرى أن الحل يتجلى بشقين **السلبي** منه، أنه يجب مجابهة الإرهاب ولكن ليس بالحرب مهما كانت أثمانها، بل يجب استخدام الحد الأدنى من القوة العسكرية ويجب أن تكون تلك القوة خاضعة للشرعية والقانون وحقوق الإنسان والحرب مع كل ذلك ليست عادلة مهما كانت موجباتها، وإنما هي عمل مكروه يلجأ إليه عند الضرورة. و**إيجابياً**، يجب العمل على إيجاد مخارج وحلول للنزعات الإرهابية من خلال ابتكار القيم والأساليب والإجراءات التي تساعد في تشكيل بيئة سليمة تخلق فرصاً جديدة أمام العمل الحضاري والتنمية البشرية.[17]

ومن كلا البيانين، يتبين لنا مدى فهم كل من الطرفين لمنظور العلاقة مع الآخر، ومدى قبوله أو رفضه له، والنصان السابقان لا يعنيان التوجه الأوحد لكل من الطرفين (لكنه الفهم العام والأغلب)؛ فهنالك المغاير لهما ومن داخل حضارة كل واحد منهما؛ فهنالك متشددون رفضوا ما صرح به مثقفو السعودية وأصدروا بياناً مخالفاً لبيانهم[18]، كما إن هنالك من الغربيين من يدعو إلى الحوار وتجنب الحرب والصراع، ولكن الفهم العام للغرب حول الإسلام بأنه خطر يهدد الوجود الغربي، يقول جون إسبيزيتو : «يشكل الإسلام والحركات الإسلامية بديلاً أو تحدياً دينياً وأيديولوجياً، وفي بعض الحالات خطراً كامناً على المسيحية والغرب، مع هذا يجب التمييز بين الوهم والواقع؛

---

(16) حرب، علي: **العالم ومأزقه - منطق الصدام ولغة التداول**، المركز الثقافي العربي، بيروت -لبنان، الطبعة الأولى، سنة 2002، ص 101-102.

(17) المصدر نفسه.

(18) الجهماني، يوسف إبراهيم: الإسلام والغرب - العلاقات السعودية الأمريكية نموذجاً 11 أيلول/ سبتمبر، 190، **الملحق رقم 13**، ص 208.

بين أعمال العنف التي يقوم بها بعضهم والطموحات والسياسات المشروعة للكثيرين، للأسف لقد برهن صانعو السياسة الأمريكيون، شأنهم في ذلك شأن وسائل الإعلام، على قصر نظرهم بصورة غير متوقعة غالباً، بنظرهم إلى العالم الإسلامي والحركات الإسلامية بصفتهما قائمين على مبدأ الحزب الواحد، ورؤيتهم لهما بمنظار التطرف والإرهاب وحسب»[19].

2 ـ فكرة الخطر الإسلامي

ومما سبق، نرى أن العلاقة وفهمها مشوشة بين كل من الطرفين، فما يراه البعض ينقده الآخر من داخل الحضارة نفسها التي ينتمي إليها كل من الطرفين، لكن النظرة العامة الغربية (أو نظرة أصحاب القرار الغربي ولاسيما الأمريكي)، ترى في الإسلام عدواً أو مقابلاً حضارياً يوحي بالخطر (بالرغم من رأي البعض المخالف في مستقبل الإسلام السياسي)[20] وذلك على أسس عدة منها :

(1) تاريخ النزاع بين عالم الغرب والإسلام، إذ يمتد إلى أكثر من ألف عام، الحروب الصليبية من جهة، والنزاعات مع الإمبراطورية العثمانية - حينها - من جهة أخرى، وحروب وغزوات متفرقة بين الطرفين تارة تبدأ من هذا وأخرى من الآخر.

(2) وتلقى قضية (التخوف والقلق من الإسلام وعده خطراً على الغرب) الدعم من مصدر آخر هو انتهاء الحرب الباردة؛ فهنالك من يزعم أن انتهاء الحرب الباردة، قد استدعى خلق أو بعث النزاع القديم المفترض بين الغرب المسيحي والعالم الإسلامي .

(3) ومن العناصر الأخرى لحجة الخطر (خرافة العدو الضروري) ومن

---

(19) اسبيزيتو، جون: **الخطر الإسلامي بين الوهم والواقع**، ترجمة هيثم بركات، دار الحوار، اللاذقية - سوريا، الطبعة الأولى 2002، ص9.

(20) انظر كتاب: **مستقبل الإسلام السياسي**، مجموعة باحثين أمريكيين، إعداد أحمد يوسف، تقديم زكي الميلاد، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 2001.

ناحية الغرب، فإنه خطأ كبير وعميق - وإن كان واسع الانتشار * - الاعتقاد أن الغرب بمعنى عام يحتاج إلى عدو.[21]

ومشكلة اقتران الإسلام بالعنف أو الخطر لدى الفهم الغربي يعود إلى أسباب عدة منها: إعطاء صبغة التقديس لنموذج سياسي أو ديني محدد، كقراءة أوحدية لرؤية الإسلام في نمط التجربة الاجتماعية والسياسية واعتباره الوجه الحقيقي للإسلام والمسلمين؛ عدم الاعتراف بالقراءات الفكرية الدينية الأخرى التي تحاول حل الأزمة الاجتماعية والسياسية والحضارية وفق مضامين تلتقي كلياً مع الدين وتتخذ من فكرة ومبدأ التسامح محوراً وأساساً لانطلاقها في التعامل مع الآخر؛ عدم التفريق بين الدين والتجارب الإنسانية المؤسسة على أساسه واعتبار تجربة إنسانية محددة كمرجع في تحديد الموقف من الدين أو الآخر عموماً من دون الرجوع إلى الدين نفسه. هذا كله ينتج نمطاً سلوكياً تعاملياً متشدداً مع الآخر، يشوبه العداء والصراع.[22]

وعليه سيكون عملنا في هذه الفصل، جاهداً في سبيل عرض وتحليل ومناقشة أغلب نظريات التعامل الحضاري ولاسيما بين الطرفين (الإسلام والغرب) مع التنظير للعلاقة مع الآخر عموماً، وسنتناول بدايةً نظرية العلاقة بين الحضارات القائمة على أساس وقاعدة رؤية الإسلام كخطر يهدد الغرب، والتي سمّاها هانتنغتون بـ **صدام الحضارات**.

---

* رأي هانتنغتون، في كتابه **من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية**، ترجمة حسام الدين خضور، دار الرأي للنشر، دمشق - سوريا، 2005، ص359، والنص هو:«عندما هاجم أسامة بن لادن أمريكا وقتل آلاف من الناس، فعل شيئين آخرين أيضاً، ملأ الفراغ الذي أحدثه غورباتشوف بعدو جديد خطير بلا شك، وحدد هوية أمريكا بدقة كأمة مسيحية».

(21) هاليداي، فريد: **الإسلام وخرافة المواجهة - الدين والسياسة في الشرق الأوسط**، مكتبة مدبولي، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى 1997، ص 129-135.

(22) العادلي، حسين: **الإسلام والتعايش السلمي بين الأديان والقوميات المختلفة، أحداث الحادي عشر من سبتمبر كما يراها مفكرون وكتاب عرب**، إعداد احمد أبو مطر، دار الكرمل، عمان - الأردن، الطبعة الأولى، 2007، ص 188.

أولاً: صراع أو صدام الحضارات (Clash of Civilizations)*

استجابة لما دعا إليه أرنولد ج. توينبي (Arnold J.Toynbee) في كتابه الحضارة في الميزان[23]. (*Civilization In The Balance*) ، وفي تنبؤه لماهية الحادثة الكبرى في المستقبل (كما ذكرنا آنفاً) على «أنها لن تكون إحدى

---

* هنالك من ميز بين لفظي **الصراع والصدام** على الرغم من التداول المعرفي المرادف عند أغلب إن لم يكن كل من تناول النظرية بالبحث أو النقد أو التحليل؛ فيرى محمد ياسر شرف (وهو مفكر أردني معني بقضايا الثقافة المقارنة) أن هنالك تميزاً بين كل من لفظ الصراع والصدام، فـ **الصدام** (Clash)! يعني حالة التأثير الحاصل بين شيئين متجانسين أو غير متجانسين لدى التقاءهما في زمان أو مكان معينين، إذا أعاق أحدهما انتشار الآخر أو منعه أو دعاه إلى التراجع، وهذا يعني أن فكرة معينة يمكن أن تلتقي مع فكرة أخرى= =تختلف عنها قليلاً أو كثيراً ولا تصلان إلى مرحلة التناقض، وأما **الصراع** (Conflict)! فيعني حالة التأثير الفاعل المتبادل بين شيئين أو أمرين غير متجانسين، لدى التقائهما في زمان ومكان معينين حامل ينتشر أحدهما باتجاه الآخر، لأن اجتماعهما غير ممكن بسبب اللاتجانس؛ إذ يشكل كل من الطرفين قوة طاردة لنقيضها (الخصم). انظر: (شرف، محمد ياسر: **إعادة تنظيم العالم**، منشورات دار الثقافة في الجمهورية السورية، دمشق 2004، ص 376)؛ وذلك إن وضح شيء فإنما هو لأجل تخفيف معنى الصدام واعتباره أخف وطأة من الصراع ومعناه وأثره المعرفي والواقعي. ويرى آخرون خلاف ما قال به محمد ياسر، إذ إن مبدأ الصراع، الذي يؤسس عليه هانتنغتون مجمل نظريته، هو مبدأ جوهري في الوجود، سواء في الطبيعة أو في المجتمع البشري، كذلك ليس بالأمر الجديد أن يتخذ الصراع (Conflict) بعداً تفاقمياً ويصل إلى حدِّ الصدام (Clash)! أو التنازع الحاد، والصراع أو الصدام كلاهما ظاهرة قديمة في المجتمع الإنساني على مدى التاريخ البشري، إذ عدّ مبدأ الصدام مرحلة متقدمة من الصراع. انظر: (رسول محمد رسو: مقالة "من صدام الحضارات إلى حوار الحضارات، قراءة نقدية في مقولة هانتنغتون"، مجلة **الكلمة**،، ص84)؛ لكن ما يتبادر إلى الذهن وما يفهم من مختلف القراءات هو أن اللفظين مترادفان بالمعنى أو أنهما متقاربين وعلى هذا الأساس سيجري التعامل في البحث.

(23) توينبي، أرنولد:**الحضارة في الميزان**، ترجمة أمين محمود الشريف ومراجعة محمد بدران، سلسلة آفاق ثقافية، وزارة الثقافة السورية، 2006، ص 248.

الحوادث السياسية والاقتصادية المثيرة أو المفجعة التي تشغل عناوين الصحف وتحتل مكانة الصدارة في أذهاننا.. ولكنها ستكون من الحوادث التي لا نكاد نشعر بها. .. أظن أن مؤرخي المستقبل سيقولون إن الحادثة الكبرى في القرن العشرين، هي اصطدام الحضارة الغربية بسائر المجتمعات الأخرى القائمة في العالم إبان ذلك العصر»[24]، كتب صاموئيل هانتنغتون(Samuel Huntington) *، مقالة بعنوان «صراع الحضارات» في مجلة أمريكية اسمها **شؤون خارجية** أو أجنبية (**Foreign Affairs**)، وذلك في صيف عام 1993، وطورها في ما بعد إلى كتاب اسماه بـ **صدام الحضارات**، وأعاد صياغة النظام العالمي، والنظرية وإن لم تكن جديدة، إذ إن البداية كانت مع توينبي، وهنالك بعض الآراء ترى أن أصل النظرية تأريخياً يعود إلى برنارد لويس وأن هانتنغتون قد استقاها منه[25]، ورأى آخرون أن فكرة صدام الحضارات كان لها أصول مع مهدي المنجرة الكاتب العربي المغربي وذلك مع صدور كتابه **الحرب الحضارية الأولى**، وأن الكلام عن الصدام الحضاري ليس بالجديد لأننا كنا ننعت مواجهتنا ضد الغرب على أنها مواجهة حضارية[26].

سواء اطلع هانتنغتون على ما صاغه «توفلر» وأسس له - بما يخص مفهوم صدام الحضارات- أم لا[27]، فإن هناك إبداعاً فكرياً لهانتنغتون في

---

(24) المصدر نفسه، ص247-248.

* صاموئيل هانتنغتون ! (Samuel.Huntington) مفكر أمريكي من أصل يهودي، متخصص في الإدارة العامة ومدير معهد جون أولاين للدراسات الاستراتيجية بجامعة هارفارد، وقد كرس حياته لموضوع الاستراتيجية العسكرية بحثا وتدريساً، واهتم بصورة مباشرة بالدراسة المقارنة في مجال السياسة الأمريكية وسياسات دول العالم الثالث، وقد أسندت إليه ما بين عامي 1977 و1978، مسؤولية قسم الاستشراف بمجلس الأمن القومي الأمريكي.

(25) الميلاد، زكي: **نحن والعالم**، ص 10، وخليل الصغير في مقالة «برنارد لويس بطريرك الاستشراق»، **مدارات غربية**، العدد الرابع، 2004.

(26) هاني، إدريس: **المفارقة والمعانقة**، ص173.

(27) حيث فسر توفلر، أو وصف الحضارة بـ الموجة، وذلك على اعتبار أن الموجات=

صياغة النظرية وهو «في المنهجية التي أخرج فيها هذه المقولة، ووضع لها بنية من المعارف التاريخية على قدر من المنهجية، فالجديد ليس في المقولة، وإنما في الافتراضات التي تخرج بها ومن التحليل التاريخي والربط المتماسك لأجزاء متناثرة من الأحداث والوقائع التاريخية والمعاصرة»[28].

كما وإن الجدة في النظرية تتركز في «بنيتها الفكرية الجديدة التي صاغها هانتنغتون وحساسية الوقت الذي جاءت فيه فضلاً على نوعية المصدر والجهة التي عبرت عن هذه الفكرة»[29]؛ فهي من جانب:

ـ **حساسية الوقت**؛ فقد ظهرت النظرية في وقت كانت أمريكا تتطلع إلى لعب دور عالمي ومتعاظم بحسب رؤيتها للانفراد بإدارة النظام العالمي وبداية مدة انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفياتي وبيان معالم التفرد الأمريكي في قيادة العالم[30].

ـ **نوعية المصدر**؛ صاموئيل هانتنغتون - منصباً وهويةً - هو مسؤول عن بعض الدراسات الإستراتيجية والعسكرية الأمريكية ذات الهوية والأصل اليهودي، «ومن المعروف أن هانتنغتون مؤلف كتاب **صدام الحضارات**، قريب من مراكز القرار الأمريكي، وقد عمل من قبل في إدارة الرئيس الديمقراطي السابق (جيمي كارتر) كمسؤول عن التخطيط في مجلس الأمن القومي، كما

=متحركة ديناميكية وإذا اصطدمت ينتج من اصطدامها التيارات المتعارضة القوية. ويتوقع توفلر حروباً ذات مواصفات مختلفة تستهدف الحفاظ على مكتسبات أصحاب المصالح من الموجة الثانية (الموجة **الأولى**، الزراعية. الموجة **الثانية**، الصناعية. الموجة **الثالثة**، المعلوماتية). وفي هذا السياق، يتخذ لديه مفهوم "صدام الحضارات" الذي سبق استخدامه من قبل هانتنغتون. انظر بهذا الصدد: (عبد الغني عماد: **سوسيولوجيا الثقافة**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 2006، ص 247).

(28) الميلاد، زكي: **المسألة الحضارية**، ص 63.

(29) الميلاد، زكي: **الإسلام والمدنية**، ص 42.

(30) المصدر نفسه، ص 42.

إنه رئيس الجمعية الأمريكية للعلوم السياسية وعضو في تحرير مجلة **السياسة الخارجية**»[31].

- **ومن الجانب الآخر، فإن الجهة التي عبرت عن الفكرة ونشرتها هي مجلة الشؤون الخارجية الأمريكية**، المجلة المعتمدة لدى صناع القرار الأمريكي والمتضمنة الكتابات المستشرفة والإستراتيجية المتخصصة بشؤون العلاقات الأمريكية مع الآخر .

1 ـ عرض نظرية صدام الحضارات وتحليلها ونقدها

يؤسس هانتنغتون لنظرية صراع أو صدام الحضارات على عدة محاور وأسس (مفترضة)، حاول جاهداً أن يثبتها من خلال كتابه **صدام الحضارات**، وهي الآتية:

(أ) إن التكتل والتمزق أو الصدام سيكون أساسه الانتماء الحضاري؛ فيقول «إن الثقافة أو الهوية الثقافية والتي هي في أوسع معانيها الهوية الحضارية هي التي تشكل نماذج التماسك والتفكك والصراع، في ما بعد الحرب الباردة»[32].

(ب) إن هنالك عدة حضارات نعتها هانتنغتون بالكبرى، وهي سبع يقينية وواحدة محتملة كالآتي : الحضارة الصينية، الحضارة اليابانية، الحضارة الهندوكية أو الهندية، الحضارة الإسلامية، الحضارة الأورثوذوكسية، الحضارة اللاتينية، والحضارة الأفريقية المحتملة[33].

(ج) ويعد هانتنغتون مسألة الدين هي المحور الأساس للتمييز بين الحضارات فيقول: «إن الديانة خاصية أساسية في التعريف بالحضارات»[34].

---

(31) ولد أباه، السيد: **اتجاهات العولمة - إشكالات الألفية الجديدة**، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 2001، ص 95.

(32) هانتنغتون: **صدام الحضارات**، ص 71.

(33) المصدر نفسه، ص 109-113.

(34) المصدر نفسه، ص 114.

(د) تميز وفرادة الحضارة الغربية بحسب هانتنغتون، إذ يرى أن الحضارة الغربية هي الوحيدة من بين الحضارات التي كان لها تأثير على كل الحضارات نتيجة للعلاقة بين قوة وثقافة الغرب وقوة وثقافة الحضارات الأخرى، ومع ذبول جاذبية الثقافات الأوروبية، فالشعوب غير الأوروبية تزداد ثقة في ثقافتها الأصلية والتزاماً بها. ونتيجة تلك القضية الجوهرية في العلاقات بين الغرب وباقي العالم هي التنافر بين جهود الغرب لتكريس عالمية الثقافة الغربية، وبين قدراتها المنهارة لعمل ذلك[35].

والفحوى العامة للنظرية هي ـ كما يرى هانتنغتون ـ أن العلاقات بين الدول والجماعات من حضارات مختلفة، لن تكون وثيقة، وغالباً ستكون علاقات عدائية، فضلاً على ذلك، فبعض العلاقات الحضارية المتداخلة ستكون عرضة للصراع أكثر من الأخرى وأكثر خطوط الصراع عنفاً حينما تكون بين الإسلام وجيرانه. وعلى المستوى الكلي، يكون التقسيم بين الشرق والغرب مرتبطاً بصراعات شرعية بين المجتمعات المسلمة والمجتمعات الآسيوية من جهة، والمجتمعات الغربية من جهة أخرى. والصدامات الخطيرة في المستقبل من المحتمل أن تنبع من التفاعل مع العجرفية* الغربية، وتسامح الدين الإسلامي، والإصرار الصيني[36].

2 ـ أشكال الصراع بحسب هانتنغتون

يرى هانتنغتون أن صراع الحضارات سيأخذ شكلين رئيسين هما:

أ ـ على المستوى المحلي (صراعات خط الصدع)

وتوجد بين الدول المتجاورة من حضارات مختلفة وبين جماعات من حضارات مختلفة في الدولة[37]. وخصائص هذه الحروب والصراعات هي:

---

(35) المصدر نفسه، ص 333 -334.

* العجرفية: تعجرف: تكبر، العجرفة: التكبر، والجفوة في الكلام. (منجد الطلاب، ص 461).

(36) هانتنغتون: **صدام الحضارات**، ص 333.

(37) المصدر نفسه، ص 378.

(1) حروب خط الصدع تميل إلى أن تكون طويلة وربما تنقطع باتفاقيات أو بهدنة ولكن هذه الإجراءات عادة تتحطم ويبدأ الصراع من جديد.

(2) صراعات خط الصدع في بعض الأحيان تكافح من أجل السيطرة على الشعب والقضية المتكررة، قضية السيطرة على الأرض، وهنالك هدف على الأقل لواحد من المشاركين هو غزو الأراضي وتحريرها من شعب آخر أو للتوسع على حساب الآخر .

(3) هذه الصراعات تميل إلى أن تكون عنيفة وقبيحة وذلك بدخول الطرفين في المذابح والإرهاب والاغتصاب والتعذيب وشتى أنواع العدوان والقتل[38].

ب ـ على المستوى الكلي (صراعات الدول الأساسية)

التي تأخذ على عاتقها تمثيل الآخر في الحضارة المشتركة أو تمتلك من مؤهلات النفوذ والسيطرة والعوامل الجوهرية للحضارة المعينة *، فتكون بذلك شبه الراعي الرسمي لاسم تلك الحضارة، كبعض الدول الأساسية في العالم الإسلامي مثل إيران، السعودية، وباكستان وغيرها. والدولة الأساسية الأبرز في الحضارة الغربية هي أمريكا ثم بريطانيا، وتتضمن صراعات هذه الدول (تأثراً أو تأثيراً) بعض القضايا المحورية والتي تساهم في رفع أو خفض حدة الصراع مع الآخر الحضاري ومنها :

(1) التأثير النسبي في تشكيل التطورات العالمية وأعمال المنظمات الدولية مثل منظمة الأمم المتحدة وصندوق النقد الدولي والبنك الدولي.

---

(38) المصدر نفسه، ص 333- 334.

* مثل بعض المقدسات ودور العبادة ومقامات الأولياء الصالحين التي تبرز أهمية الدولة وتجعلها من الدول الأساسية في العالم الإسلامي كالسعودية (طقوس الحج). كما إن قضية السيطرة العسكرية والقوة النووية تبرز الدول المشاركة في هذه الحضارة لتجعلها من الدول الأساسية للحضارة الإسلامية كما هو الحال مع باكستان وغيرها.

(2) نسبية القوة العسكرية والتي تعكس نفسها في الخلافات حول مراقبة عدم انتشار الأسلحة النووية وأسلحة الدمار الشامل الأخرى وسباق التسلح.

(3) القوة الاقتصادية والرفاهية الاقتصادية .

(4) جهود دولة من حضارة ما، لحماية أقرباء لها في حضارة أخرى.

(5) الصراعات التي تنبع من محاولة دولة تعميق أو تكريس قيمها وثقافتها على شعب من حضارة أخرى[39].

3 ـ أنواع الصراع الحضاري (الأصولية* حاكمة الصراع)

رأينا أنه على الرغم من وجود أسباب عديدة للصراع، إلا أن الصراع المتخيل والمنظر له من هانتنغتون، ينتمي إلى أصولية فكرية، جعلت منه يرى أن النموذج الأمريكي هو الواحد والباقين هم الآخر الذي يعنون باسم العدو تارة أو الهامش تارة أخرى، وما يقوم به المتطرفون (من الإسلاميين) من أعمال عنف وشغب وقتل وحروب مقدسة (باسم الدين) بالمقابل مع الغرب، إنه لمن الأجدر أن يسمى هذا النوع من الصراع باسم صراع الأصوليات، والذي هو صراع بين الأصولية الغربية التي ينتمي إليها هانتنغتون والأصولية التي ينتمي إليها بن لادن على الرغم من الفارق الشاسع بين الطرفين انتماءً دينياً وثقافياً وغيرها من الفوارق، إلا إن الجامع الأساسي بينهما هو التطرف في رسم صورة الآخر والتعامل معها بحسب ما يرسمه ويؤسسه لها من غرب متوحش أو إسلام بربري؛ إن الأصولية «هي ادعاء الأصولي انه يمتلك الحقيقة المطلقة، وأنه يمتلك من ثم لا الحق فحسب بل الواجب أيضاً في فرض تلك

---

(39) هانتنغتون: **صدام الحضارات**، ص 368.

* **الأصولية**: هي كل ما يقوم على معتقد ديني أو سياسي مع الشكل الثقافي أو المؤسسي الذي تمكنت من ارتدائه، إذ تعتقد إنها تمتلك حقيقة مطلقة وتحاول فرضها، والتي لا يمكن أن تكون أبداً لدى الآخر. انظر بهذا الصدد: (روجيه غارودي، **الأصوليات المعاصرة - أسبابها ومظاهرها**، تعريب خليل أحمد خليل، دار عام ألفين، باريس، الطبعة عام 2000، ص11).

الحقيقة على الجميع ولو بالحديد والنار»[40]، ويرى غارودي*، «أن الأصولية الأولى هي النزعة الاستعمارية الغربية، لقد تذرعت، أول الأمر، لكي تبرر غزواتها وفتوحاتها بما قدرت أنه امتيازها، (كشعب مختار) التوسع الشامل لدينها الذي كانت تعده فوق جميع الأديان، ثم بعد تراجع كنائسها، ظلت تعد نفسها مركزاً للعالم والخالقة الوحيدة للقيم، وشاعت منذ نهاية القرن التاسع عشر أن تفرض على العالم ثقافتها التقنية والتجارية التي سمتها الحداثة»[41]، وأن جميع الأصوليات بما فيها التطرف الإسلامي، هي ردود أفعال على هذه الأصولية الاستعمارية لحماية النفس من التبعية ولإنقاذ الهوية[42]. وهكذا فإن هذه التصورات الأصولية هي التي حدت إلى تصورات العالم في حرب وصراع حضاري، في حين نرى أنه يمكن أن تكون الحروب من دون عنوان حضاري وإن كان الطرفان ينتميان إلى حضارتين مختلفتين.

وهنالك تقسيمات عدة أخرى لأنواع الصراع الحاكم لأصل التعامل الحضاري أو الدولي (صراع الأصوليات)، وأعتقد أنه يمكن تقسيم هذا الصراع على شكل مستويات عدة منها:

أ-الصراع من أجل المصالح

والحقيقة أن هذا النوع من الصراع هو ما وجه الغرب في المدة الحديثة والمعاصرة وفي أكثر تحركاته نحو الآخر في الشرق (الإسلام وجيرانه)، إذ المواقع الإستراتيجية للقواعد العسكرية من جهة، والعامل الاقتصادي كمادة خام وكسوق تصريف من جهة أخرى، فالعالم الإسلامي مستهلك وبدرجة

---

(40) غارودي، روجيه: **نحو حرب دينية؟ جدل العصر**، مقدمة ليوناردو بوف، وترجمة صيّاح الجهيّم، دار عطية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية 1997، ص 30.

* روجيه غارودي: ولد في مرسيليا في فرنسا عام 1913، بدأ ماركسياً واعتنق الإسلام سنة 1982، له العديد من الكتب والمؤلفات منها: **من أجل حوار بين الحضارات؛ مشروع الأمل؛ نحو حرب دينية - جدل العصر؛ الأصوليات المعاصرة أسبابها ومظاهرها**، وغيرها.

(41) المصدر نفسه،، ص 31.

(42) المصدر نفسه.

عالية، على الرغم من كل ما يمتلكه من ثروات ومواد أولية، وهذا النوع من الصراع تجلى واضحاً ـ في أغلب إن لم تكن كل حروب الدول الأوروبية ـ بعنوان الاستعمار، أو حروب أمريكا بعنوان نشر الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان والأنموذج الليبرالي الأمريكي، و«تمايز الحضارات الديني واللغوي والتاريخي والثقافي، لا يؤدي إلى الصدام والصراع فحسب، وإنما الذي يؤدي إلى الصدام والصراع، هي المصالح السياسية والاقتصادية والإستراتيجية العليا»[43].

ب- الصراع من أجل القيم

وهذا الضرب من ضروب الصراع يمكن أن يلاحظ جلياً في كونه المبدأ المتبنى من قبل الاتجاه الإسلامي = المصطدم بالغرب، وصراع القيم هو المبرر الأساس لفكرة الجهاد عند المسلمين (الحرب المقدسة)، ومن ثم فاللين والتولي والتسامح والتعامل السلمي مع الغرب، مرفوض في المصطلح الديني (لمنظومة الأفكار الإسلامية المعادية للغرب والمتصارعة معه) لأنه كافر لا يجوز التعامل معه بهذا الشكل، ويستدل «المتطرفون» على هذا الرأي بالآيات القرآنية التالية:

* قال تعالى:﴿**وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً**﴾[44]

* ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً**﴾[45].

---

(43) محفوظ، محمد: **العولمة وتحولات العالم - إشكالية التنمية في زمن العولمة وصراع الثقافات**، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 2003، ص 16-17.

(44) **القرآن الكريم**، سورة النساء، الآية رقم 89.

(45) المصدر نفسه، الآية رقم 144.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[46].

ومع ذلك فلا يعّد ما سبق من مصادمة الآخر ورفضه من الفكر الرافض للغرب (بعنوان الكفر وحرمة التعامل) هو الرأي الحاسم والأساس في تعامل الإسلام مع الغرب؛ فالثقافة الدينية أو التدين الحاصل لدى المتبنين لهذا الفكر والذين حدوا به إلى الظاهرية والحرفية والحدية والجمود (الأصولية)، جعلوا من الدين الإسلامي حكراً على فئة من دون أخرى، وكذلك جعلوه يظهر أمام الآخر بأنه لا يفهم معنى التسامح، ولا يتعامل بغير لغة الدم والقتل، بالرغم من أنني لا أبرئ الطرف الآخر الغربي من ارتكابه للقتل وممارسته للعنف، إلا أنه لا يعني أن يقابل ذلك الفكر بشبيهه وإن كان خاطئاً .

والدليل (الإسلام المعتدل)؛ وقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[47].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[48].

وقوله تعالى: **﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾**[49].

---

(46) المصدر نفسه، سورة الممتحنة، الآية رقم 1.

(47) المصدر نفسه، سورة البقرة، الآية رقم 208.

(48) المصدر نفسه، سورة الحجرات، الآية رقم 13.

(49) المصدر نفسه، سورة العنكبوت، الآية رقم 46.

* وقوله:﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[50].

وقول أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (رضي الله عنه) في دستوره لمالك الأشتر في فن التعامل مع الناس والآخر عموماً، إذ يصنف الناس إلى صنفين: «أما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق»[51].

والتعارض الحاصل في ظاهر النص الديني الإسلامي هو محل جدل كبير، إذ إن البعض من الآيات نسخت لتحل محلها أخرى وبعضها نزلت من أجل حادثة تاريخية معينة وجاءت وصفية أو توجيهية في حينها، وهي الآن ليست إلا نموذجاً تاريخياً يتلى لضرب الأمثال وأخذ الحكم، وما يهمنا هو فاعلية الآيات والنصوص الدينية الأنفة الذكر التي تدعم الفكر المعتدل ومبدأ التسامح والقبول بالآخر ومدى قوة هذه النصوص وثباتها.

ج ـ الصراع لإثبات الهوية

يكمن صراع الأصوليات في مسألة الهوية* من جانب؛ أن الكل يريد هوية الأوحد في العالم وإذا لم تكن أو لم يستطيعوا أن يقوموا بها، فعلى أقل التقدير أن يكونوا كياناً مستقلاً في مواجهة الآخر، إلا أنه لا يمكن القول إن مسألة الهوية تنضوي تحت عنوان الصراع، وإنه لا يمكن تحصيل الهوية أو التعريف بها أو الاعتراف أو الاحترام لها إلا مع الصراع، فهذا هو الفكر الأصولي بعينه؛ إلا أن الحقيقة أن الهوية ترافق التسامح والتعاون الذي يصور

---

(50) المصدر نفسه، سورة الممتحنة، الآية رقم 8.

(51) المدرسي، هادي: **أخلاقيات أمير المؤمنين**، دار الأعلمي، بيروت، ط1- 1991، ص 355.

* الهوية :(Identity) سواء اعتمدنا على المفهوم اللغوي أم المعنى الفلسفي الحديث، فإن المعنى العام للكلمة هو ما يشمل الامتياز عن الغير والمطابقة للنفس، أي خصوصية الذات، وما يتميز به الفرد أو المجتمع عن الأغيار من خصائص وميزات ومن قيم ومقومات. انظر في هذا الصدد:«عبد العزيز بن عثمان التويجري:«بحث الهوية والعولمة»، كتاب **العولمة والهوية**، سلسلة الدورات في أكاديمية المملكة المغربية، دورة سنة 1997، الرباط - المغرب، ص166».

الهوية على أجمل ما تكون لا كما تصورها عملية الصراع والصدام والحروب ـ وإن كان قد حصلت بسبب الأصوليات ـ فالهوية وما لها من تأثير في عملية الصراع الحضاري لا يمكن أن يعد أمراً بسيطاً أو هيناً، إذ أصبح موضوع الهوية في الأدبيات السياسية والفلسفية والاجتماعية رائج التداول، لأنه كان سبباً وشكلاً لكثير من الصراعات التي أخذت شكل الصراع من أجل الهوية ونيل الاعتراف[52]، (بحسب الأصولية)، وهي بذلك (الهوية) من الأسباب الرئيسة في صراع الحضارات والدول والمجتمعات والأمم عموماً، ويمكن أن نحدد عوامل الهوية - كما يرى هانتنغتون- التي تعّد الأساس في التمييز عن الآخر واللاعب الأساس في عملية التصنيف، بعدة نقاط هي:

(1) **السمات الشخصية**: مثل العمر، السلالة، الجنوسة، القرابة.

(2) **السمات الثقافية**: مثل العشيرة، الإثنية، اللغة، القومية، الدين، الحضارة.

(3) **السمات الإقليمية**: مثل الجوار، القرية، البلدة، المدينة، الإقليم، الولاية، المنطقة، القارة.. الخ .

(4) **السمات السياسية**: مثل الانشقاق ضمن جماعة، الزمرة، القائد، الجماعة ذات مصلحة معينة، الحركة، القضية، الحزب، الأيديولوجيا، الدولة.

(5) **السمات الاقتصادية**: مثل الوظيفة، الشغل، المهنة، مجموعة العمل، المستثمر، الصناعة، القطاع الاقتصادي، الاتحاد العمالي، الطبقة.

(6) **السمات الاجتماعية**: مثل الأصدقاء، النادي، الفريق، مجموعة وقت الفراغ، المكانة الاجتماعية.[53]

هذه التقاسيم يمكن أن تعد شاملة بمعنى أنها تحتوي على للكثير من التصنيفات التي تميز وتحدد الانتماءات البشرية، لكن ما يؤخذ على هانتنغتون

---

(52) رينو، إيمانويل: **التصورات الأوروبية للهوية، من أجل حوار بين الثقافات - مفاهيم عالمية - الهوية**، ترجمة عبد القادر قنيني، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 2006، ص143.

(53) هانتنغتون، صاموئيل: **من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية**، ترجمة حسام الدين خضور، دار الرأي للنشر، دمشق - سوريا، 2005، ص 43.

هنا، هو مسألة عده الحضارة إحدى الميزات والعوامل التصنيفية الثقافية، إذ إنه يناقض ما قاله في كتابه **صدام الحضارات** من أن الحضارة هي أوسع المستويات الثقافية .

والتمييز الذي يهمنا في موضوعنا هو التمييز الحضاري والديني والذي أسماه هانتنغتون بـ الثقافي، وما لذلك من أثر في تصعيد الاهتمام بالهوية على المستويين الإسلامي والغربي، بسبب التعامل الحضاري بين كل منهما والذي تجسد مرات عدة على شكل صراعات تاريخية، ومرات أخرى على شكل تبادل المنفعة، وأخرى على شكل تعامل السيد والعبد. لكن ما يثير الانتباه عند التأمل في موقف الغرب من هويات الشعوب، هو جمعه بين موقفين متناقضين؛ فهو من جهة شديد الاعتزاز بهويته وبحرصه عليها، وهو من جهة ثانية، رافض للاعتراف بالهويات الوطنية لشعوب العالم وتلك في نظر الغرب المعضلة الكبرى التي يصطدم بها[54].

وفي الطرف الآخر الذي يمثله الجانب الإسلامي، تتنامى فكرة الهوية وتتعاظم تجاه الغرب ولاسيما أمريكا، لما لها من أثر انطباعي سلبي بسبب الحروب والويلات التي ذاقتها الشعوب المسلمة والعربية وما أفرزه الفكر الأصولي من رؤية دموية وعنيفة في ردود الأفعال، وعلى الرغم من أن قضية 11 أيلول/ سبتمبر 2001، التي وإن كان عليها ما عليها من النقد والرفض وإعادة النظر في المبررات والآلية والهدف المرتجى منها[55]، والصورة السلبية

---

(54) عبد العزيز بن عثمان التويجري: **بحث الهوية والعولمة، كتاب العولمة والهوية،** مجموعة باحثين، سلسلة الدورات في أكاديمية المملكة المغربية دورة سنة 1997، الرباط - المغرب، ص166- 167.

(55) حتى أن يوسف القرضاوي، وهو عالم وفقيه دين سني، وهو من أفتى بجواز الانتحار أو الاستشهاد ضد إسرائيل، إلا أنه مع قضية 11 أيلول/ سبتمبر 2011، وقف موقف مضاد، وقال:«إن هدف ضرب الأبراج في أحداث أيلول/ سبتمبر هدف غير مشروع» (المصدر: يوسف إبراهيم الجهماني - الإسلام والغرب، **الملحق رقم واحد**)؛ انظر أيضاً: «المناظرة بين القرضاوي والصحافي الأمريكي اليهودي توماس فريدمان، الطبعة الأولى، 2003، دار حوران دمشق - سوريا، ص141».

التي انعكست على العالم الإسلامي **أولاً**، ثم الإسلام كنظرية ومنهاج **ثانياً**، إلا أنها استطاعت أن تؤكد وجود الهوية الأخرى الرافضة للغرب والمتحدية له (وإن مثّلت الجانب المتطرف إسلامياً) حتى أن هانتنغتون نفسه يرى أن بن لادن ملأ الفراغ الذي أحدثه انهيار الاتحاد السوفياتي، فيقول: حينما «هاجم أسامة بن لادن أمريكا وقتل آلاف من الناس، فعل شيئين آخرين أيضاً، ملأ الفراغ الذي أحدثه غورباتشوف بعدو جديد خطير بلا شك، وحدد هوية أمريكا بدقة كأمة مسيحية»(56). ويقول هانتنغتون: عندما انتهت الحرب الباردة في أواخر الثمانينيات، علق جورج أرباتوف، مستشار غورباتشوف قائلاً: «إننا نفعل شيئاً رهيباً لكم حقاً - فنحن نحرمكم من عدو». ويتفق علماء النفس بصفة عامة على أن الأفراد والجماعات يحددون هويتهم بتمييز أنفسهم عن الآخرين ووضع أنفسهم في تعارض معهم، وعلى الرغم من أن الحروب يكون لها في بعض الأحيان تأثير يقسم المجتمع، فإن العدو المشترك يساعد في كثير من الأحيان على تعزيز الهوية وإيجاد تلاحم بين الشعب. وضعف العدو المشترك أو عدم وجوده يمكن أن يفعل نقيض هذا تماماً»(57).

ومسألة الهوية، ومن نحن ومن هو الآخر، سارية المفعول كمحرك أساس في عملية التعامل الدولي والعلاقات السياسية وحتى حادثة أيلول/ سبتمبر 2001، فإن البعض يرى أن من الأجدر السؤال عن هوية الفاعلين وانتماءاتهم، لا أسباب ذلك الهجوم والعمل - الذي أعده أنا وغيري الكثير- إرهابي وغير إنساني. ويضع ماتياس بروكرز* عبارة **اسأل من فعلها؟ لكن لا تسأل بحق**

---

(56) هانتنغتون، صاموئيل: **من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية**، ترجمة حسام الدين خضور، دار الرأي للنشر، دمشق - سوريا، 2005، ص359.

(57) هانتنغتون، صاموئيل: مقالة:«تآكل المصالح القومية الأمريكية»، مجلة **شؤون خارجية** (Foreign Affairs).Vol76.No.5A نقلاً عن موقع وكالة الأخبار الإسلامية،

* ماتياس بروكرز: كاتب مقالات بارز سابق في **تبيز زايتونغ**، وهي صحيفة يسارية يومية، إضافة إلى كونه شخصية ألمانية مشهورة، بدأ بروكرز يحضر حول 11 أيلول/ سبتمبر، في الجامعات، كما أصبح شهيراً بسبب كتابه **حين تحلم الطماطم**، وكان من المؤمنين بفكرة المؤامرة في قضية 11/ 9/ 2001.

السماء، لماذا فعلها؟ عنواناً لـ **القسم الثالث** من كتابه **المؤامرة**، منوهاً إلى المؤامرات التي حضرت لتفجيرات أيلول/سبتمبر 2001، والأيدي الخفية التي ساندت بن لادن في تنفيذ عملياته الإرهابية حينها، من أجل التركيز على قضية الهوية من دون مراعاة الأهمية والانتباه إلى الأهداف أو الأسباب[58].

وعلى أساس تحديد الهوية بدأت حروب أخرى أعلنها بوش (الذي لا يقل أصولية عن الآخرين) أمام الكونغرس في خطابه يوم 12 أيلول/سبتمبر 2001، والتي توعد بها الإرهاب «متجسداً بهوية الفاعلين بالحرب والصراع والوعد بالقضاء عليهم، مخاطباً العالم أجمع، إما معنا أو مع الإرهابيين»[59].

د ـ أنواع أخرى من الصراع

أورد فوكوياما بعض أنواع الصراع وعدها ثلاثة ناقلاً عن هيغل ثلاثية الصراع، تلك التي أسماها هيغل بـ «علل الصراع الرئيسة»، ويراها جزءاً من طبيعة الإنسان وهي : التنافس، الخلاف، والمجد[60]. ويمكن عد هذه الأقسام ضروباً أخرى من ضروب الصراع الحضاري، وأضاف فوكوياما مبدأً أو علة أخرى للصراع عنونها باسم الصراع من أجل الاعتراف إذ يقوم -بحسب رأيه- الصراع من أجل نيل الاعتراف من الطرف المتصارع معه (ويمكن أن ينطبق على أساس الصراع الحضاري)، وعدّها علة للصراع تنبع من واقع طبيعي كما تمثل بـ هوبز وغيره من الفلاسفة[61] المتبنين لنظرية الصراع والقتال وأصل التعامل الإنساني القائم على الصراع من أجل الحياة. وأسمى برنارد لويس، حركة الصراع المجتمعية بين الحضارات باسم (الصراع بين الديمقراطية

---

(58) بروكرز، ماتياس: **المؤامرة 11/ 9 - نظريات لمؤامرة وأسرار 11/ 9**، ترجمة كاميران حوج، منشورات دار الجمل، 2002، ص 161.

(59) المصدر نفسه، ص 164.

(60) فوكوياما، فرانسيس: **نهاية التاريخ وخاتم البشر**، ترجمة حسين الشيخ، دار العلوم العربية، بيروت - لبنان، 1993 الطبعة الأولى، ص 177.

(61) فوكوياما، فرانسيس: **نهاية التاريخ والإنسان الأخير**، فريق الترجمة: فؤاد شاهين وجميل قاسم ورضا الشايبي، مركز الإنماء القومي بيروت - لبنان، 1993، ص 151.

والأصولية)، وذلك بعد مناقشة مستفيضة له في كتابه **مستقبل الشرق الأوسط**، حاول فيها تبيين ملامح الأصولية التي ساوت عنده السلطات الإسلامية الحاكمة بمختلف اتجاهاتها؛ فهو يساوي بين السلفية الوهابية من جهة، وبين الحكم الشيعي الإيراني من جهة أخرى. معتقداً أن ما يحصل من صراع بين الغرب وبين الإسلام يتجلى بالاصطدام بين هؤلاء الأصوليين وبين الغرب الداعي إلى الديمقراطية.[62]

ومما سبق، يتبين أن الصراع الذي هو الواقع في كثير من أحداث التاريخ - الماضي والحاضر - إنما هو المحرك في أساس العلاقات الإنسانية - الفردية والجمعية - وقد يتخذ أشكالاً متنوعة وأساليب مختلفة وضروباً عدة تتم قراءتها وتسميتها نسبياً، إلا أنها موجودة عموماً في الواقع الإنساني.

هـ ـ الصراع مع من؟

يحدد هانتنغتون الصراع ويكاد يحصره بجانبين، يعدهما العدو المناهض والكيان المصارع والند المحارب للغرب، وهما الجانب الصيني والجانب الإسلامي، وأن هنالك خطراً من تحالف كنفوشيوسي - إسلامي. ولم ينفك هانتنغتون عن تصنيفهما كعدو وطرف مقابل - مصارع للغرب، وراح يكرر هذا التنبؤ أو الحدس الصدامي الهانتنغتوني الأمريكي، في صفحات عدة من كتابه **صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي**.

إذ يقول إن:«الحضارة الإسلامية والصينية تتضمن تقاليد ثقافية عظيمة في عيون معتنقيها، أرقى من الغرب، والقوة والتصميم تتزايد في علاقاتها مع الغرب والصراع بين قيمها ومصالحها وبين تلك التي للغرب تتعدد وتصبح أكثر شدة»[63].

---

(62) لويس، برنارد: **تنبؤات - مستقبل الشرق الأوسط**، ملخص لفكرة الفصلين الخامس والسادس، ترجمة وطباعة شركة رياض الريس للكتب والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 2000.

(63) هانتنغتون، صاموئيل: **صدام الحضارات**، ص 336.

كما يقول: «إن دعاوى العالمية أو الإنسانية التي يطرحها الغرب تضعه بشكل متزايد في صراع مع الحضارات الأخرى، وبشكل أكثر خطورة مع الإسلام والصين»[64]؛ فهو يرى أنه بالرغم من أن الغرب الذي يواجه الآن بضع حضارات، فإن التحدي الأكبر للمصالح والقيم الغربية يحصل بسبب الارتباط الإسلامي - الصيني، الذي يعد في نظر هانتنغتون مؤامرة بين ثقافتين ساخطتين لتقويض قوة الغرب[65]، وعليه فإن مصادر التهديد الأولى للغرب هي اثنين (الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية الكونفوشيوسية)، و«النظرية الواقعية للعلاقات الدولية تتنبأ بأن تلك الدول الأساسية للحضارات غير الغربية يجب أن تندمج معاً لتوازن القوى الغربية المهيمنة. ولكنه تحالف عام ضد الغرب يبدو بأنه من غير المحتمل في المستقبل القريب، الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية تختلفان أساساً في إطار الدين والثقافة والبناء الاجتماعي. ومع هذا ففي السياسة، العدو المشترك يخلق مصلحة مشتركة، المجتمعات الإسلامية والصينية ترى الغرب عدواً لها وبهذا لديها السبب لتتعاون مع بعضها البعض ضد الغرب»[66].

4 ـ الصين ونظرية صدام الحضارات

كانت المناظرات الصينية حول نظرية هانتنغتون في **صدام الحضارات** (في بادئ الأمر)، تتركز عموماً على دحضها والتعبير عن الارتياب منها من زوايا مختلفة مثل (مفهوم الحضارات؛ المعيار في تقسيم الحضارات؛ دور الحضارات في السياسة الدولية... وغيرها) وبعد قمة الحمية التي التهبت نتيجة صدور نظرية **صدام الحضارات،** نمت المناظرات الصينية حول النظرية واجتاحت الأوساط الفكرية الصينية وتطورت إلى مرحلة عقلانية وتأملية أكثر. إذ توسعت أبعادها وازدادت أعماقها؛ فقد راح المفكرون الصينيون في مختلف

---

(64) المصدر نفسه، ص 72.

(65) الحديثي، عباس غالي: **نظريات السيطرة الاستراتيجية وصدام الحضارات،** دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، الطبعة الأولى، 2004، ص 90.

(66) هانتنغتون، صاموئيل: **صدام الحضارات،** ص 336.

الأوساط يعيدون معالجة هانتنغتون في **صدام الحضارات** بنفسية هادئة أكثر عقلانية، رغبة في الإفادة من هذه المعالجة في تكوين قاعدة علمية لنظام نظري، أو نقول لـ «نموذج» قائم بنفسه يطل على العالم في الماضي والحاضر والمستقبل من مستوى الحضارة البشرية الكلية، وذلك إلى جانب دعم تسريع إنهاض الحضارة الصينية من حيث الالتفاتة إليها بنظرة محللة منطلقة من (الوعي العالمي) من دون أي تعصب وإصرار على تفضيل الحضارة الصينية على الأخرى[67].

وأود أن أركز بهذا الصدد على نقطتين أساسيتين تقوم عليهما نظرية هانتنغتون في **صدام الحضارات**، وأكثر المفكرين الصينيين من التعليقات عليهما، هما: مفهوم الحضارات والمعيار لتقسيمها؛ ودور الحضارات في السياسة الدولية.

أ ـ **تقسيم هانتنغتون للحضارات**، محل نقد شديد من قبل الصينيين حيث يشيرون إلى غموض الحدود للتقسيم وتشابك المفاهيم؛ فالحضارات لها مدلولات أساسية عكس وحشية وبدائية.. ولها معنى تراث أمة أو دولة أو إقليم أو تجمعات سكانية من الثروات المادية والمعنوية.. ولها أبعاد تاريخية تنقسم بحسب مراحل تاريخية مختلفة مثل (الحضارات التقليدية) و(الحضارة الحديثة)؛ ولها أبعاد جغرافية تتباين تباين الأقاليم مثل (الحضارة المصرية) و(الحضارة الصينية)؛ ولها أبعاد دينية عابرة حدود الأقاليم والدول والأمم مثل (الحضارة الإسلامية) و"الحضارة المسيحية". كما لها أبعاد أيديولوجية وسياسية واقتصادية أيضاً. ولم يوضح هانتنغتون قصده في مفهوم الحضارات التي استعملها، فجلب البلبلة.

ب ـ **أما بالنسبة إلى دور الحضارات في السياسة الدولية**؛ يرفض معظم المفكرين الصينيين ما ذهب إليه هانتنغتون ويتفقون على أن المصالح

---

(67) تشيمي مينيغمن، ليلى: «القراءة الصينية لـ **صدام الحضارات** عند صاموئيل هانتنغتون»، مجلة **الموقف الأدبي**، مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق - سوريا، العدد 423، تموز/ يوليو 2006، ص208.

الاقتصادية والصراع على السلطة السياسية هي العوامل الرئيسة المثيرة للصراعات والصراعات الدولية. ويعتقدون أن نظرية هانتنغتون في **صدام الحضارات** التي تقدم العناصر الحضارية على جميع العناصر الأخرى في إثارة الصراعات العالمية في بداية القرن الجديد، هي نظرية مقلوبة وخاطئة جوهرياً.

ويرى بعضهم أن الحضارات تحملها وتتحكم فيها الأمم والدول ولن يحدث بينها أي صراع من تلقاء نفسها، إلا إذا ارتبط هذا الصراع بمصالح الأمم والدول؛ فالصراعات الحضارية مجرد صراعات مصلحية سياسية أو اقتصادية في أصلها، ولكن الكثير منهم يعترفون أن نظرية البروفيسور هانتنغتون في **صدام الحضارات،** أثارت تفكيرهم من زاوية جديدة وعلى هذا المستوى يؤكدون فائدة نظرية هانتنغتون في صدام الحضارات. أما أخطاؤه فتتمثل في مبالغته أكثر من اللازم في تعظيم دور الحضارة في السياسة الدولية. وفي الحقيقة ما هي إلا مجرد عامل من عوامل الصراعات الدولية.[68]

ج ـ رداً على نظرية هانتنغتون في صدام الحضارات (التهديد الصيني)؛
يعد هانتنغتون **الصين مصدر صراع،** إذ إن هيمنة الصين في شرق آسيا يعد مصدراً للصراعات في المنطقة، ومعاداة الصين للولايات المتحدة سبباً في الصراعات العنيفة بين الدولتين، كما لتوسع وتعمق (تحالف الصين - العالم الإسلامي) تحدٍ خطير للغرب. ومن الأسباب التي جعلت الصين مصدراً للصراع والهيمنة:

(1) تاريخ الصين وثقافتها وتقاليدها وحجمها وقوتها الاقتصادية وصورتها في العالم، كل هذه تدفع الصين إلى طلب التمتع بمكانة الهيمنة[69].
(2) الصينيون لا يميزون بين الشؤون الداخلية والخارجية في التاريخ، والنظام العالمي في أذهانهم نتيجة حتمية للنظام الصيني الداخلي وامتداد هوية الحضارة الصينية[70]. والقصد طبعاً فكرة العالمية الشيوعية التي تنطلق

---

(68) المصدر نفسه.

(69) هانتنغتون، صاموئيل: **صدام الحضارات،** ص400.

(70) المصدر نفسه، ص407.

من الصين باعتبارها رمزاً معاصراً للدولة الشيوعية.

(3) وجود خلاف شامل بين الصين والولايات المتحدة يشمل مجالات الاقتصاد وحقوق الإنسان وتكاد الصين والولايات المتحدة لا تلتقيان في أي هدف مشترك متعلق بالقضايا الكبرى كافة، والصراع الصيني ـ الأمريكي نابع من الخلاف الثقافي إلى حد كبير هذا من جهة، ومن جهة أخرى نابع من المسألة الجذرية وهي مشكلة السلطة، لذلك من المستحيل تفادي هذا الصراع (71).

رد الصينيون على فرضية هانتنغتون في رأيه بوجود التهديد الصيني، كما نقدوا قضية وجود التهديد الصيني المتعلق بموضوع الحضارة وعزوا ذلك إلى عدة ردود ومبررات منها ما يلي:

الحضارة الكونفوشيوسية – الصينية تؤمن وتدعو إلى فكرة «التجانس بين المختلفين» منذ القدم وما زالت تلتزم بها حالياً. ومحور فكرة «التجانس بين المختلفين» يتمثل في أن كل شيء يختلف عن غيره ولكن الأشياء المختلفة تكمل بعضها البعض وذلك يخلق وضعاً متجانساً. ومثل هذه الحضارة لا يمكن أن تبادر إلى إثارة صراع أياً كان ولا ممارسة أي تهديد على غيرها.(72)

(أ) كما إن فكرة (الاعتدال) من صميم الحضارة الكونفوشيوسية – الصينية وذلك يثبت أن الحضارة الكونفوشيوسية – الصينية حضارة معتدلة متسامحة بكل معنى الكلمة ولا يوجد فيها أي عامل يؤدي إلى اتخاذ العنف والقوة في التعامل مع الأمور.(73)

(ب) فكرة (المحبة واحترام القيم الأخلاقية) في الحضارة الكنفوشيوسية ـــ الصينية، تساعد على التعايش السلمي بين الحضارات، إذ تعد فكرة (المحبة)

---

(71) المصدر نفسه، ص 396.

(72) تشيمي مينيغمن، ليلى القراءة الصينية لـ **صدام الحضارات** عند صاموئيل هانتنغتون"، مجلة **الموقف الأدبي**، مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق - سوريا، العدد 423، تموز/ يوليو 2006، ص214

(73) المصدر نفسه.

منطلقاً أساسياً للفلسفة الكنفوشيوسية. يؤمن المعلم كونفوشيوس، أن الميل إلى المحبة نشأ منذ وجد الإنسان ويمكن أن تتوسع المحبة للإنسان نفسه وأهله إلى المحبة لغيره وغير أهله حتى تمتد إلى المحبة لكل ما وجد في الدنيا، ويدعو المعلم كونفوشيوس إلى مبدأ مهم إلى جانب تعميم المحبة يقوّم سلوك أفراد المجتمع، وهو (لا تفرض ما لا تحب على غيرك).[74]

(ج) تعد (الدعوة إلى كون الدنيا أسرة) المثل الأعلى في الحضارة الكنفوشيوسية ـ الصينية وقد رسخت هذه الأمنية في قلوب الصينيين منذ أكثر من 5 آلاف سنة. وعلى سبيل المثال، يكره كل صيني ظلم القوي للضعيف. ووحدة الدنيا عند الصينيين مختلفة عما يدعو إليه الغربيون من توحيد العالم اختلافاً جذرياً. والخطوة الأولى لتحقيق وحدة الدنيا عند الصينيين تتمثل في التعايش السلمي وتبادل الاحترام، ولكنها عند الغربيين لتحقيق توحيد العالم أحادية القطب وإزالة من يقف إلى جانبهم؛ وتحقيق وحدة الدنيا عند الصينيين لا يحتاج إلى حاملات الطائرات، ولكن توحيد العالم عند الغربيين يعني أن يملكوه هم أنفسهم من دون غيرهم .

(د) لم تكن الكنفوشيوسية ديناً بل هي نظام للقيم العلمانية سائد في المجتمع الصيني التقليدي، وهي تميل إلى العقلانية والمنفعية في الأصل موازنة مع الحضارات الدينية، فهي في الحقيقة حضارة علمانية تتبنى أي حضارة علمانية أخرى بسهولة، ولم تكن حماية الروحانيات المقدسة عندها أهم من الحصول على المصالح الواقعية، فتكون الصين أبعد قوة عن دخول أي صراع مع غيرها بسبب خلافات القيم الروحية[75].

وعلى الرغم من تصورات هانتنغتون أن الصين هي عدو للغرب، وأنه يقيم علاقات وتحالفات مع الإسلام، إلا أنه تخوف بالمقابل من الصين بسبب الهيمنة والسيطرة الغربية، إلا أن آخرين رأوا انه على الرغم من خوف الصين

(74) المصدر نفسه.

(75) المصدر نفسه، ص215.

من مخاطر الهيمنة الغربية إلا انه قد تزايدت تبعية الصين الاقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية بصورة ملحوظة[76]، «وأن قادة الحزب الشيوعي الصيني ظلوا بالرغم من خوفهم من الأفكار والقيم الثقافية الغربية ومحاولاتهم المتكررة للتحصن ضدها، إلا أنهم من جهة أخرى يحرصون على مواصلة سياسة الأبواب المفتوحة»[77] مع الغرب والآخر.

5 ـ الإسلام: الفكر الإسلامي والعربي ونظرية صدام الحضارات

لم تلقِ نظرية صراع الحضارات ذلك الترحيب والقبول من قبل الجانب الإسلامي. إذ تعرضت النظرية للنقد والتحليل والمناقشة بأكثر من وجه ومنهج، وسأحاول أن أتناول بالبحث بعض تلك الانتقادات ومداها وتحليلها وأهم ما ركزت عليه، مختاراً بعض النماذج من الفكر العربي والإسلامي في النقد.

أ ـ زكي الميلاد وصدام الحضارات (مصالح الغرب والدوافع السياسية)

يسجل الميلاد عدداً من الملاحظات في نقد مشروع هانتنغتون **صدام الحضارات** فيقول :

(1) ينطلق الكاتب - هانتنغتون - من فرضية الصدام بين الحضارات، فيوظف لهذه الفرضية ما عنده من خبرة معرفية، ليخرجها من حيز الفرضية إلى حيز الحقيقة العلمية المبرهن عليها تاريخياً، ولعل مبعث هذه الفرضية إنهم في الغرب يقرأون التاريخ الإنساني من زاوية الصراع والنزاع والصدام على مستوى الحضارات والأمم والشعوب والدول، لا من زاوية التعايش والحوار والتعدد والتكامل ... والشاهد أن العلاقات بين الحضارات في الماضي وحتى في المستقبل، لا يمكن أن تحكمها فرضية واحدة كفرضية الصدام بين الحضارات مثلاً.

---

(76) يونغ سيانغ يان: **العولمة والمداراة - سلطة الدولة والتحول الثقافي في الصين، عولمات كثيرة - التنوع الثقافي في العالم المعاصر**، ج 1، تحرير بيز آل بيرغر وصاموئيل هانتنغتون، تعريب فاضل جكتر، مكتبة عبيكان، السعودية، الطبعة الأولى، 2004، ص 67.

(77) المصدر نفسه.

(2) غاب عن النظرية أي تفكير في مجال الحوار بين الحضارات، وتركز الطرح على جانب الصدام والصراع بين الحضارات، والأفكار التي عرضها في سياق النظرية لا تتفق مع النتيجة النهائية التي وصل إليها في الخاتمة بالدعوة إلى التعايش/ وهل تتعلم الحضارات التعايش على قاعدة الصدام أم على قاعدة الحوار؟ كما إنه لم يبين كيف تنتقل هذه الحضارات من حالة الصدام إلى حالة التعايش أو الحوار، والحقيقة أن هذه النظرية هي دعوة للصدام بين الحضارات والنتائج التي توصل إليها في خاتمة تقويمه لمستقبليات الحضارات إنما تكرس حالة الصدام لا حالة التعايش؛ فيقول هانتنغتون بضرورة الحد من توسع القوة العسكرية للدول الإسلامية والكنفوشيوسية، أو الاعتدال في تخفيض القدرات العسكرية الغربية، والحفاظ على التفوق العسكري في شرق آسيا وجنوبها الغربي واستغلال الخلافات والنزاعات بين الدول الكونفوشيوسية والإسلامية، ودعم المجموعات الحضارية الأخرى المتعاطفة مع القيم والمصالح الغربية، وتقوية مؤسسات الدولية التي تعكس المصالح والقيم المشروعة للغرب وتدعم مشاركة الدول غير الغربية في تلك المؤسسات، فهل هذا الطرح يجعل الحضارات تتعلم كيف تتعايش؟ ويؤكد الميلاد أن هدف هانتنغتون هو التأكيد على مسألة الصدام الحضاري وعلى الغرب - بحسب هانتنغتون - أن يحسن إدارة ذلك الاصطدام بالآخر.

(3) مع كل ما أخذه الغرب من معارف وعلوم من الحضارة الإسلامية وما اكتشفه من قدرة حضارية خلاقة في الإسلام، ومع ما عرفه الغرب عن الدور الكبير الذي يؤديه الإسلام في إنهاض العقل والعلم والآداب، ومشاركته في بناء الحضارة الإنسانية، ومع كل هذا وغيره، لا يريد الغرب أن يصحح علاقته بالإسلام وهذا أمر محير حقاً، وهانتنغتون وقع في هذه الإشكالية، وهو يساهم بهذه النظرية في دفع الغرب نحو الاصطدام مستقبلاً بالإسلام.

(4) يؤسس هانتنغتون نظريته بالنظر إلى مصالح الغرب وضبط هيمنته على العالم. وأن الدوافع التي ينطلق منها هي دوافع سياسية قالبها مصالح الغرب في النطاق العالمي ومن طبيعة هذه الدوافع أن تساهم في تعزيز الانقسام في العالم، وترسيخ الفروقات الخطيرة في الاجتماع الإنساني، وكان الأجدر به

أن يقدم الحضارة على السياسة لا أن يقدم السياسة على الحضارة[78].

فضلاً على أن مقولة صدام الحضارات، تتضمن سياقاً في الحديث عن خوف مزدوج، فمن طرف هنالك الخوف من اضمحلال الغرب وانهياره، ومن طرف آخر هنالك خوف من انبعاث حضارات أخرى غير الأوروبية والأمريكية، وغاية الغرب هنا ولاسيما مع صدام الحضارات هي تدارك الاضمحلال والانهيار والحفاظ على التفوق الغربي نسبة إلى الحضارات الأخرى من الجانب الآخر[79]، وما نحتاجه فعلاً في هذه المرحلة الحساسية والفاصلة من تاريخ العالم، هو أن نفكر بموضوعية وبطريقة جادة في إخراج العالم من مشكلاته وأزماته، لا أن نعمق هذه المشكلات. ولعل هذا ما وقع فيه هانتنغتون الذي كان ينبغي له أن يؤسس أطروحته على أرضية موضوعية وقاعدة علمية يترفع بها عن الدوافع السياسية. ولا زال - كما يرى الميلاد - المفكر أو السياسي والاقتصادي والتربوي والإعلامي في الغرب يدور في فلك مصالحه وينظر إلى العالم من هذه الزاوية، وهذه العقدة القديمة والخطيرة التي تحكم عقلية التفكير في الغرب الذي لا يضع نفسه موضع التكامل مع أمم العالم، بل يرى ذاته في جانب، والحضارات غير الغربية كافة في جانب آخر. وهانتنغتون يقسم الأمم والحضارات على غربية وغير غربية وهذا خير ما يعبر به عن فكرة تضخم الأنا الغربي في فرضية هانتنغتون.[80]

ب ـ وجيه كوثراني* وصدام الحضارات (الحضارة لا تحمل في داخلها عنفاً)

ينتقد «كوثراني» هانتنغتون بشكل يسعى إلى إظهار المسكوت عنه في البنية المعرفية لنظرية صدام الحضارات، ويحاول أن يبين أسباب الصراعات

---

(78) الميلاد، زكي: **المسألة الحضارية**، ص 46-49. (ملخص نصوص).

(79) الميلاد، زكي: **الإسلام والمدنية**، ص 16.

(80) الميلاد، زكي: **المسألة الحضارية**، ص 46-50.

* وجيه كوثراني: أستاذ في التاريخ الحديث في الجامعة اللبنانية - قسم التاريخ، يهتم بالتأريخ للأفكار وتياراتها في العالمين العربي والإسلامي. من مؤلفاته: **السلطة=**

ومدى ارتباطها أو بعدها عن انطباق الصفة الحضارية عليها، فيرى أن الأشكال الصراعية التي يصفها هانتنغتون بالصدامات بين الحضارات، لا تعدو أشكالاً من الممانعات الثقافية وحركات الاحتجاج والرفض الناتج من عجز الحضارة الغربية من أن تصبح عالمية مستوعبة لتنوع العالم، وذلك بسبب تطابقها مع مشروعها الرأسمالي، أي عولمة النموذج الأمريكي - الغربي، ما دعا لأن تكون دعوتهم العولمية في بلدان الشرق الأوسط عبارة عن حضارة صورة وسلعة يتجاذبها تناوب المتعة والملل السريعين لدى الميسورين، والحقد والجوع والعنف لدى المحرومين، وأن ما لا يقوله خطاب **صدام الحضارات** المتأخر (المسكوت عنه)، هو أن انبعاث الثقافات الفرعية لحضارة قديمة كالحضارة الإسلامية - على سبيل المثال - هو صيغة من صيغ يقظة المغلوب الذي يلجأ إلى الذاكرة الجماعية الثقافية للاحتماء والاحتجاج والرفض، وأن الثقافة المقاومة أو المصادمة اليوم والتي تصدر عن مخزون من الذاكرة الجماعية والمقدس الديني، ليست حضارة بالمفهوم الذي يعني أنساقاً فكرية وفلسفية إبداعية وإنتاجاً للمعرفة على المستوى الإنساني والعالمي.
ويرى كوثراني أنه على الرغم من ارتسام ألوان فاقعة اللون من الاختلافات العرقية والدينية والإثنية والثقافية في المشهد العالمي، والتي تتصادم في أماكن شتى من العالم كله، وإن تصادمت فانه لا بأس من أن نبحث نعوت وخلفيات اصطلاحية لهذه الصدامات، ولكنها بالتأكيد لن تندرج تحت مصطلح الحضارات؛ فالعناصر التي يعددها هانتنغتون ليبني عليها فرضيته، لا تندرج في نسق ومفهوم الحضارات، إنها تعبير عن أزمة نظام عالمي يمر في النقطة الحرجة التي تجعل منه يمر بحالة فوضى الأمم، فـ هانتنغتون لم يوفق في استخدام المفاهيم وتوظيفها في عالم السياسة والدراسة الإستراتيجية، ومنها استخدام نظرية الثقافة والحضارة «وسوء استخدام منهج البنى والبنيانية في فهم إشكالية العلاقة بين الثقافات والحضارات»[81]؛ فكوثراني يوعز سبب

=**والمجتمع والعمل السياسي** (1985)؛ **الفقيه والسلطان** (1990)؛ **الذاكرة والتاريخ** (2000). كما صدر له مؤخراً: **هويات فائضة مواطنة منقوصة**، دار الطليعة 2004.

(81) كوثراني، وجيه: **هويات فائضة.. مواطنة منقوصة -في تهافت خطاب حوار الحضارات=**

الصراعات إلى ما هو خارج عن المفهوم؛ فأهل الثقافة هذه أو تلك لا يتصادمون مع بعضهم البعض بسبب اختلاف ثقافاتهم وحضاراتهم وتصورهم للحياة والكون، وليس صحيحاً أن ثقافة أو حضارة ما تحمل في داخلها عنفاً أو عدوانية كثقافة أو حضارة لمجموعة من البشر، اللهم إلا إذا تلبست هذه الحضارة أو هذه الثقافة دولاً وإمبراطوريات وسياسات توسعية[82].

ج ـ محمد عابد الجابري وصدام الحضارات (المصالح وصراع الدول)

ينقد الجابري نظرية صدام الحضارات وينّظر ذلك على أساسين : **الأول**، نقده لتصنيف الحروب والاصطدامات عند هانتنغتون. **والثاني**، نقده لتعريف المفاهيم المستخدمة كأساس في النظرية (الحضارة والثقافة).

وتحت **العنوان الأول** «تصنيف الحروب والصراعات»، يعتقد هانتنغتون أن الصراع بين الحضارات هو الطور الأخير في عملية تطور النزاعات في العالم الحديث، وهذه النزاعات مرت - بحسب هانتنغتون - بالمراحل الآتية: مرحلة الصراع بين الأمراء والأباطرة؛ مرحلة الصراع بين الملوك المستبدين والملوك الدستوريين؛ مرحلة الصراع بين الدول القومية (الأمم)، وهي مرحلة استمرت حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، إذ تحول صراع الأمم نتيجة الثورة الروسية وكرد فعل عليها، إلى صراع أيديولوجيات بين الشيوعية والفاشية والنازية والديمقراطية الليبرالية (الحرب العالمية الثانية) لينتقل الصراع إلى صراع بين الشيوعية وبين الديمقراطية الليبرالية. وكانت هذه الصراعات داخل الحضارة الغربية بالدرجة الأولى، ولكن مع نهاية الحرب الباردة خرجت السياسة الدولية من طورها الغربي وحصل التفاعل بين الغرب والحضارات غير الغربية وكذلك التفاعل بين الحضارات غير الغربية نفسها ولم تعد شعوب وحكومات الحضارات غير الغربية موضوعاً للتاريخ بصفتها

=**وصدامها عربياً**، دار الطليعة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 2004، ص 48.

(82) كوثراني، وجيه:«حول إشكالية الخيار بين حوار الحضارات وصراعها»، مجلة **المنهاج**، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، العدد 22، السنة السادسة 2001، ص 302 - 310.

مستهدفة من الاستعمار الغربي، وإنما انخرطت مع الغرب كمحرك ومشكّل للتاريخ[83]. ويرى الجابري أن ما استشهد به هانتنغتون في أمثلته للحروب والنزاعات هو عبارة عن مغالطات. والحقيقة :

(1) أن الحروب التي عرفتها أوروبا سواء داخل حدودها أو خارجها لم تكن بكل هذه البساطة؛ فهانتنغتون يتجاهل الحروب الدينية في أوروبا، ويتغاضى عن الحرب الإنكليزية - الأمريكية، وعن الصراع الإنكليزي - الفرنسي من أجل الطريق إلى الهند ومن أجل المستعمرات عموماً؛ كما تتجاهل الحرب الأهلية الأمريكية وحروب الاستقلال في أمريكا الجنوبية والحروب التحريرية في آسيا وأفريقيا، حرب فرنسا في الهند الصينية، وحربها في المغرب العربي وفي الجزائر بخاصة، ثم حرب فيتنام التي عانت منها أمريكا أشنع هزيمة، ثم حرب السويس، ثم حروب أخرى في آسيا وأفريقيا ..الخ.

(2) أنه إذا كانت هنالك صراعات بين الأمراء والأباطرة وبين الدول القومية، أو بين أيديولوجيات كانت تعاني منها القارة الأوروبية، فكيف كان الغرب طرفاً في المدة نفسها في حروب داخل قارات أخرى في أمريكا وآسيا وأفريقيا؟ والطرف الآخر كان من الشعوب غير الغربية باستثناء حرب الاستقلال في أمريكا، وكانت الشعوب في هذه الحروب طرفاً فاعلاً وليس مجرد موضوع للحرب. وأن التاريخ العسكري في العالم الحديث منذ القرن الثامن عشر، لم يكن تاريخ حروب داخل أوروبا فحسب، بل كان أيضاً وبالدرجة الأولى تاريخ الحروب الاستعمارية التي انتصرت فيها أوروبا ثم أعقبتها حروب التحرير التي انتصرت فيها الشعوب المستعمرة على الغرب الاستعماري في أوروبا وأمريكا، وإذا كان هنالك صراع في المستقبل وسيكون بالتأكيد، فسيكون استمراراً للصراع القديم في شكله الجديد، سيكون صراعاً بين الأمم والشعوب المتطلعة إلى الحرية والديمقراطية مع القوى الإمبريالية المهيمنة عالمياً سواء تحت غطاء الليبرالية أو أي غطاء

(83) هانتنغتون: **صدام الحضارات**، ص 121-122.

آخر، أما صراع الحضارات فهو مجرد تعبير مغلوط يقصد به صرف النظر عن حقيقة الصراع القائم والمقبل[84].

ويحسب النقطة **الثانية**، التي ينقد فيها الجابري هانتنغتون على «أساس استخدامه مصطلحي الثقافة والحضارة ومدى التمييز بينهما وتعريف كل منهما، يورد الجابري نقداً وتحليلاً يحاول فيه جاهداً أن يجد الثغرات والهفوات في ذلك بحسب نص هانتنغتون في النظرية، فيعتقد أن هانتنغتون يلعب على الغموض الذي يكتنف مصطلحي الثقافة والحضارة في اللغات الأوروبية كما في الاصطلاح السياسي الأنثروبولوجي المعاصر، وهكذا فعن سؤال : ماذا نعني حينما نتحدث عن الحضارة ؟ يجيب هانتنغتون قائلاً : الحضارة هوية ثقافية، هذا تعريف يمكن أن يقبل إذا عرفنا أولاً معنى «هوية ثقافية» وبالتحديد معنى الثقافة، فهل الثقافة شؤون الفكر وحدها أم أنها تشمل الجوانب الأخرى التي لها علاقة بالعمران والاجتماع والاقتصاد؟ وهنا يقع الكاتب في تناقضٍ صارخٍ، فهو من جهة يقول إن ثقافة قرية في جنوب إيطاليا قد تكون مختلفة عن ثقافة قرية في شمالها، ما يفهم منه أن مفهوم الثقافة عنده ينصرف إلى العادات والتقاليد والفكر والسلوك والاقتصاد والاجتماع .. الخ، ومن جهة أخرى يؤكد أن الحضارة هي «أعلى تجمع ثقافي» وأن محدداتها هي: اللغة والتاريخ والدين والعادات والمؤسسات، ولذلك فهي تمثل بحسب عبارته «أوسع مستويات الهوية»، كالحضارة الأوروبية والحضارة العربية والصينية، وهنا نجد أنفسنا أمام تعريفين للحضارة: تعريف يجعل منها هوية ثقافية، وتعريف آخر يجعلها أوسع مستويات الهوية ولكن من دون تحديد المستويات الأخرى التي لا تدخل ضمن الهوية الثقافية؛ فالهدف من التمييز بين الثقافة والحضارة على هذا الأساس عند هانتنغتون هو الوصول إلى تقسيم وتصنيف البشرية إلى ثلاث مجموعات تمثل أوسع المجموعات الحضارية بحيث لا يمكن جمعها في أي كيان حضاري أعلى. وبالسهولة نفسها يمكن أن يقفز

(84) الجابري، محمد عابد: **قضايا في الفكر المعاصر**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1997، ص 96-97.

هانتنغتون إلى النتيجة الآتية، وهي أنه بما أن التاريخ العسكري.. تاريخ الحروب، قد مر بمراحل متدرجة في اتساع دائرة المتحاربين من مستوى الأمراء والأباطرة إلى مستوى الملكيات إلى الحروب القومية ثم الأيديولوجية، فإن منطق هذا التدرج في الاتساع يقتضي عندها، نقله من الثقافة على مستوى القرية إلى مستوى الدولة ثم إلى دائرة الحضارة على مستوى مجموعة من الدول يقتضي أن تكون الحرب المقبلة على هذا المستوى الأخير، مستوى الحضارة، أي بين الحضارة الغربية من جهة، والحضارتين الإسلامية والصينية من جهة أخرى[(85)].

د ـ إدريس هاني* وصدام الحضارات (نظرية في الانزواء الحضاري)

قسم إدريس هاني تناوله لنقد نظرية صدام الحضارات إلى قسمين عبر عن أحدهما بعدة نقاط وتحت عنوانين هما :

(1) الجانب المرفوض والمغلق والذي يستند إلى أسس فكرية ومنهجية خاطئة ومثغورة يمكن أن تختزل في الآتي :

(أ) يستند هانتنغتون إلى فكرة النموذج المعرفي المغلق الذي تجلى مع توماس كون في فكرة النموذج =البراديم، فهو يرى أن الحضارات عبارة عن نماذج مغلقة والحوار في ما بينها لا يجدي نفعاً وإنما يقود إلى صراع بينها ولا يخرج عن كونه حوار طرشان، لأن كل من الحضارات المتحاورة لا تسمع الآخر المحاور.

(ب) وهذه النقطة تتصل بالأولى، فإذا كانت أطروحة هانتنغتون تؤسس لعالم متخم بالفرادات، وتبشر بنماذج ثقافية مغلقة ومتفردة، فإنها فضلاً على

---

(85) المصدر نفسه، ص 100.

* إدريس هاني: كاتب وباحث من المغرب، عضو اتحاد الكتاب العرب، وعضو منتدى الحكمة للمفكرين، شارك في ندوات ومؤتمرات محلية وإقليمية ودولية، من مؤلفاته: **العرب والغرب: أية علاقة..أي رهان**؛ **محنة التراث الآخر**؛ ما بعد الرشدية ..**ملا صدرا رائد الحكمة المتعالية**، **المفارقة والمعانقة..رؤى نقدية في مسارات العولمة وحوار الحضارات**؛ **حوار الحضارات..مأزق الحداثة وبؤس آليات التثاقف.**

ذلك تسد أي ثغرة للرابطة الإنسانية العالمية؛ فهانتنغتون يعد الديمقراطية قيمة غربية خالصة، وليست نظاماً سياسياً قابلَا للتصريف، وهذه النظرة تنفي اتصال فكرة الديمقراطية بحقوق الإنسان وذلك من شأنه أن يغلق الفسحات أمام الأصول المشتركة بين بني البشر والتي هي أرضية الحوار الضرورية مع الآخر.

(ج) يعد هانتنغتون الصراعات التي تقدمها المشاكل السياسية أو الاقتصادية أو العرقية أو الغرائزية، صراعاً بين الحضارات، والمصدر الأساسي للنزاعات في هذا العالم الجديد، لن يكون مصدراً أيديولوجياً أو اقتصادياً في المحل الأول؛ فالانقسامات الكبرى بين البشر ستكون ثقافية، والمصدر المسيطر للنزاع سيكون مصدراً ثقافياً، وهذا تعميم فاسد يضر بمفهوم الحضارة نفسها. إذ إن الحروب والصراعات التي تنشب في الشرق الأوسط قد تكون حروباً عربية - عربية، إسلامية - إسلامية، مسيحية - مسيحية، وأحياناً طائفية، وهذا من شأن ما يعرف بحروب الأخوة الأعداء، إن الزعم بكون مطلق الحروب حضارية الآن أو في المستقبل لا يعدو أن يكون سوى تحرصٍ على المستقبل.

(د) الخلط الاصطلاحي بين الحضارة والثقافة؛ وهذا راجع إلى مغالطة شائعة في التداول الأمريكي، كما إن «المعيار الذي يستخدمه هانتنغتون في أغلب الأحوال، إنما يعكس الفكرة الأمريكية المتسلطة بشأن تعدد الثقافات؛ فالثقافة أو الشعب يعد حضارة إذا كان ما لأقلية أمريكية فاعلية سياسية، وفي غير هذه الحالة فهو يتجاهلها». وهذا الخلط بين الحضارة بوصفها قوة ظاهرة في الصنائع، والثقافة بوصفها حضوراً أدنى، أو لنقل حضارة غير مكتملة، يجعل المنظور الثقافي الأمريكي عموماً متخلفاً ولا يستطيع التمييز بين الألفاظ والمفاهيم واستخدامها[86]، وإن كان هاني في هذه النقطة يناقض رأياً آخر له يعترف ويقر بكون الثقافة مشروعاً للحضارة أو إنها

(86) إدريس هاني:«مقولة للانزواء أم للصدام الحضاري؟»، مجلة **المنهاج**، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، بيروت - لبنان، العدد 26، صيف 2002، ص 36-38.

حضارة غير مكتملة*.

(2) الجانب المخفي أو المسكوت عنه في نظرية هانتنغتون «صدام الحضارات»

الجانب **الثاني**، في نقد إدريس هاني، هو ما عبر عنه بالوجه الآخر الذي وهو الخفي أو غير المقروء في نظرية صدام الحضارات. هو تحذير سابق للأوان من مغبة التورط بأي شكل من الأشكال في الاحتكاك بالآخر؛ فالغرب ليس عالمياً كما قال هانتنغتون** وأن أي احتكاك من هذا القبيل ينتج منه قهراً هو نوع من الصدام، بل إن المتأمل لمقالته، يدرك إلى أي حد هو مذعور ويعاني من خوف الآخر ورفضه، بل لعله رأى الغرب مستهدفاً، وأن أمريكا مهددة؛ فهانتنغتون يدعوها إلى الانسحاب والاهتمام بشؤونها الداخلية والانزواء الحضاري ومن ثم فإن النظرية تحذر أمريكا من مغبة دعوة للتميز والتفرد، وليست تحريضاً على السيطرة والعالمية. ويرى هاني أن نظرية **صدام الحضارات** حتى الآن تناقض السياسة الخارجية الأمريكية الحشرية، لذلك مارسوا وجهها الظاهر خفاءً وأنكروا وجهها الخفي جهاراً كما يقول إدريس هاني[87]، وعليه فإن «هانتنغتون يتحدث عن ضرورة انسحاب الغرب إلى حدوده الطبيعية وبناء كيانه الحضاري الفريد من دون إقحام الأنف في النزاعات الخارجية، أي جعل الحضارة الغربية حضارة منغلقة، حضارة اصطفائية لكنها منطوية، ورسالتها داخلية محلية، فهانتنغتون يؤسس لنموذج حضاري معزول وإلى غرب مغلق»[88].

---

* في كتابه **تعدد الثقافات وأفاق الحوار الثقافي**، ص 150، يقول هاني: إن الثقافة هي حضارة بالقوة، وينقل رأي فرناند بروديل المؤرخ الفرنسي ليستدل على رأيه ويثبته. إذ يقول بروديل: الثقافة هي حضارة لم تبلغ بعد نضجها، لم تبلغ ذروتها، ولم تؤكد نموها.

** عنوان مقالة جديدة لـ هانتنغتون، نشرت من قبل مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق في لبنان، بعنوان «الغرب متفرداً وليس عالمياً».

(87) انظر: هاني،إدريس، مصدر سابق، ص 38-39.

(88) هاني، إدريس: **المفارقة والمعانقة - رؤية نقدية في مسارات العولمة وحوار الحضارات**، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، سنة 2001، ص 185.

ولم يتوقف الفكر الإسلامي عن طرح البديل بعد نقده لأطروحة صدام الحضارات ورفض اعتبارها صيغة للتعامل المستقبلي بين الإسلام والغرب بالخصوص، بل عمل على وجوب تصحيح مسارات التعامل الحضاري بحسب المنظومة الفكرية الإسلامية إلى ما يضمن للكل أساس التعايش السلمي واللاعنف وقبول الآخر؛ لأن «نظرية صراع الحضارات ... مشحونة بعنصرية خفية تشحذ العواطف نحو المواجهة، (و) لأنها تقوم على أساس نفي الآخر، واعتبار حضارته شراً مطلقاً، وهي بذلك مجرد دعوة للمواجهة، وليست نظرية لاستشراف المستقبل»[89]. وحاول الانتقال من الهفوات والثغرات والملاحظات التي سجلت على نظرية صدام الحضارات، إلى تسمية جديدة وأسلوب جديد ومغاير لمنهجية التعامل الصدامي بين الحضارات. ومن هذه البدائل المطروحة أساساً كفكر غربي التي تم تبنيها من مفكرين إسلاميين هي نظرية حوار الحضارات.

ثانياً: حوار الحضارات (Dialogue of Civilizations) *
(المنطلقات والعقبات)

حوار الحضارات الأطروحة المغايرة أو الأسلوب الآخر لتعامل الحضارات، والتي عبرت عن توجهات اللاغربيين عموماً وكرد فعل على ما طرح من نظريات الصدام والنزاع والصراع، وإن كان هنالك من قال بها من

---

(89) المدرسي، هادي: **لئلا يكون صدام حضارات - الطريق الثالث بين الإسلام والغرب**، دار الجديد، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1996، ص 9.

* الحوار: مأخوذة من «الحور»، وللحور ثلاثة أصول: أحدها اللون، والآخر الرجوع، والثالث بمعنى يدور الشيء دوراً، ويبدو أن الحوار مأخوذ من الحور بمعنى الرجوع، والحوار يقال ما يجري بين شخصين بحيث يسمع كل منهما بعد كلامه رداً من الآخر، ولهذا يقال «كلمته فما رجع إلي حواراً. ويأتي الحوار بمعاني يشملها المعنى نفسه. وهي، الاحتجاج والجدال والمراء والمكابرة والمناظرة. انظر بهذا الصدد: (محمد الريشهري: **الحوار بين الحضارات في الكتاب والسنة**، الناشر دار الحديث، الموزع دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ص 13).

الغربيين أنفسهم**، إلا أن الأطروحة نالت اهتماماً شديداً نظّر لها الكثير من الكتاب والباحثين والمثقفين العرب والإسلاميين، وعملوا من أجل ترسيخها وتكريس مبادئها، وتصور النظرية على أنها أطروحة موازية ممتدة أفقياً بموازاة غيرها من نظريات التعامل الحضاري أو أطروحة بديلة لصراع الحضارات التي يجب أن تنفي الصراع وتؤسس للحوار، ولكن هذا النوع من الإبدال النظري والتعاملي عموماً، هو ليس كما يتصور البعض من أنه رضوخ أو ضعف أو خنوع أو عمالة، إذ يتصور جلال أمين أن التاريخ سيسجل لمصلحة العرب والمسلمين في تشرين الثاني/نوفمبر 2001، في حين كان الإسرائيليون والأمريكيون والأوروبيون يضربونهم .. ويشبعونهم شتى أنواع الإذلال والإهانة، عقد مثقفوهم مؤتمراً تحت عنوان «حوار الحضارات تواصل لا صراع»، وانتهوا فيه إلى عدة نتائج أهمها أن العرب والمسلمين بسبب ما فيهم من عيوب شتى ونقائص خطيرة يستحقون هذه المعاملة[90]. إلا إن هذا التصور قاصر لأنه مبني على أسس واهنة ومصادرات عدة منها: إن هذا القول نابع من ردة الفعل ضد تصرفات الغرب (لا ككل بل بعض المؤسسات أو الأشخاص)، مع المسلمين أو العرب، ومن جهة أخرى فإن الغرب ليس هو من يستخدم الإذلال والمهانة وحده بحق الإسلام فحسب؛ فالمسلمون الأصوليون (Fundamentalists) يقتلون وما من رادع، والقوميون العرب يعدمون وما من مواجه، والعلمانيون من الشيوعيين وغيرهم يقيمون المجازر وما من معاقب؛ فازدواجية المعايير أو ثنائية المقياس، تجعل جلال أمين في موقف استفهام كبير من الذي يحصل في العالم الشرق أوسطي عموماً؟ إذ إن الحاجة الملحة اليوم هي في النقد الذاتي ومراجعة الأنا مع التنظير للتعامل مع

** أ- روجيه غارودي: **من أجل حوار بين الحضارات**، فرنسي.

ب- هارولد موللر: دكتور وأستاذ في العلوم السياسية في فرانكفورت (ألمانيا)، ومدير لمؤسسة هيسن لأبحاث السلم والنزاعات في فرانكفورت، كتب كتاب **تعايش الثقافات،** وطرح وتبنى فيه فكرة الحوار بين الحضارات وتعايشها. ورفض مشروع هانتنغتون في كتابه **تعايش الثقافات**. وهو كتاب ضد ما جاء به مشروع هانتنغتون.

(90) أمين، جلال: **عولمة القهر - الولايات المتحدة والعرب والمسلمين قبل وبعد أحداث سبتمبر 2001**، دار الشروق، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، سنة 2002، ص 148.

الآخر، وهذا ليس الوجه الوحيد في فهم النظرية والتعامل معها، بل على العكس نجد أن البعض من المفكرين العرب رأوا أن «الحوار بين الحضارات والثقافات ... هو الوسيلة المثلى لتحقيق التوازن في الحياة الإنسانية»[91].

1 ـ أهم ما ميز وأسند حوار الحضارات كنظرية

من أهم ما جعل نظرية حوار الحضارات تنال الكثير من الاهتمام والعديد من المميزات والدعم، اعتبارات عدة منها:

أ ـ اعتبار عام 2001، سنة الأمم المتحدة للحوار بين الحضارات من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة، بحسب طلب السيد محمد خاتمي.

ب ـ العمل على إنشاء مؤسسة كبرى لحوار الحضارات وبرعاية المفوضية الأوروبية[92].

ج ـ إصدار العديد من الكتب والبحوث والدوريات وإقامة الندوات المتخصصة بموضوعة الحوار بين الحضارات في سبيل ترسيخها ودعمها وإتمامها.

د ـ إنشاء العديد من البرامج والمراكز المهتمة بمشروع حوار الحضارات منها مؤسسة المعهد الدولي للحضارات، الذي أسسه روجيه غارودي في عام 1976 م، والذي هدف من خلاله إلى أن يبرز دور البلاد غير الغربية وإسهامها في الثقافة العالمية[93]؛ برنامج حوار الحضارات في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة والذي ترأسته الدكتورة نادية مصطفى؛

---

(91) التويجري، عبد العزيز: **الحوار من أجل التعايش**، القاهرة وبيروت، دار الشروق الطبعة الأولى، 1998، ص6.

(92) الميلاد، زكي: **نحن والعالم - من أجل تجديد رؤيتنا إلى العالم**، مؤسسة اليمامة الصحفية، سلسلة كتاب الرياض، الطبعة الأولى، سنة 2005، ص 58.

(93) محفوظ، محمد: **العرب ومتغيرات العراق**، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، سنة 2004، ص 117.

مركز حوار الحضارات في الخرطوم والمتضمن العديد من الدراسات والبحوث والتنظيرات التي من شأنها دعم وتبني فكرة الحوار بين الحضارات؛ المركز الدولي لحوار الحضارات برئاسة الدكتور محمد خاتمي والذي تأسس بتاريخ كانون الأول/ ديسمبر 1998، وذلك إثر نجاح خطوة السيد محمد خاتمي الخاصة بالحوار بين الثقافات والحضارات، والتي طرحها على الرأي العام العالمي من خلال مبادرته الشهيرة في اجتماع منظمة الأمم المتحدة في أيلول/ سبتمبر من العام 1998 م والتي تقرر خلالها إعلان العام 2001م، عاماً للحوار بين الحضارات؛ مركز دراسة الحضارات المعاصرة في جامعة عين شمس وغيرها من المراكز.

ومن الكتابات المميزة والتي تعتبر اللبنة الأساس في إشاعة وتبني وطرح لنظرية حوار الحضارات، هو عمل روجيه غارودي في كتابه **في سبيل حوار الحضارات**، أو **من أجل حوار بين الحضارات** .

2 ـ غارودي وحوار الحضارات

يقول غارودي: «الحوار بين الحضارات وحده يمكن أن يولد مشروعاً كونياً يتسع مع اختراع المستقبل ذلك ابتغاء أن يخترع الجميع مستقبل الجميع»[94]، كما يرى أن «حوار الحضارات بين الغربيين واللاغربيين هو الشرط الرئيس للتغيير الثقافي ولسائر ألوان التغيير، الاقتصادي والسياسي ...»[95].

ويدعو غارودي في كتابه **حوار الحضارات**، الغرب إلى أن يعيد النظر إلى ذاته والآخر الحضاري من خارج محيطه الغربي والانفتاح عليه وأكثر من ذلك حيث يعتقد غارودي إن من الواجب على الغرب أن يتعلم من الحضارات الأخرى بصورة أساسية، وأن الحضارات اللاغربية تعلمنا بادئ ذي

---

(94) غارودي، روجيه: **حوار الحضارات**، تعريب عادل العوا، منشورات عويدات، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، 1999، ص 10.

(95) غارودي، روجيه: **مشروع الأمل**، دار الآداب، بيروت - لبنان، ط 2، 1988، ص 125.

بدء أن الفرد ليس مركز كل شيء وأن فضلها الأعظم يرجع إلى أنها تعلمنا كيف نكتشف الآخر وكل الآخر من دون فكرة مبيتة تضمر التنافس والسيطرة[96].

وتعد أطروحة غارودي، دعوة إلى تغيير طريقة ومنهجية التعامل الغربي مع الآخر، فيقول: «إن المشكلة هي مشكلة إحداث تغيير جذري في الأنموذج الغربي لعلاقاتنا مع الطبيعة بفضل حكمة الصين وأفريقيا والهند والإسلام، مشكلة إقامة توازن في مفهومنا ذي النزعة التقنية بالإفادة من تجربة حية، شعرية صوفية، هي تجربة اتصالنا ومشاركتنا في طبيعة لا نملكها بل تملكنا، وأن حوار الحضارات هذا ليؤلف مرحلة لازمة على الصعيد الاقتصادي في التساؤل الانتقادي وفي التغيير الجذري لطراز تنميتنا»[97]، ويرى: أن حوار الحضارات لا يمكن أن يكون حقيقياً ولا جائزاً، إلا إذا اعتبرت الإنسان الآخر والثقافة الأخرى، جزءاً من ذاتي، يعمر كياني، ويكشف لي عما يعوزني[98].

أ ـ آليات ومقومات حوار الحضارات عند غارودي

وهي ثلاث نقاط مهمة يعدها غارودي ضرورة لحصول المشروع لـ «حوار الحضارات»:

(1) أن دراسة الحضارات اللاغربية في مجال الدراسات منزلة تعادل بأهميتها على الأقل أهمية الثقافة الغربية.

(2) أن يشغل مبحث الجمال منزلة تعادل بأهميتها على الأقل أهمية تعليم العلوم والتقنيات.

(3) أن تعادل أهمية النظرة الأمامية – فن تخيل المستقبل – والتفكير في

---

(96) غارودي، روجيه: **حوار الحضارات**، ص 162.

(97) المصدر نفسه، ص 215

(98) المصدر نفسه، ص 158.

الغايات والأهداف، أهمية التاريخ على الأقل[99]، «فالاستقبالة - الدراسات المستقبلية - غير متعارضة مع التاريخ، بل هي على العكس متصلة به اتصالاً وثيقاً»[100] وذلك لأنها تعتمد على الحوادث التاريخية كمادة معلوماتية وبيانات تقوم عيها النظرة المستقبلية.

والرؤية العامة لغارودي حول آلية تحقيق حوار الحضارات تتلخص بالعمل على تسليط الضوء حول مسألة التكافؤ والحقوق المتساوية - المعرفية - التي تعطى أو توجه أو تفهم عن الغرب والآخر، فتساوي الطرح أو التعرف أو التعريف بالآخر بنفس درجة ما يمتاز به الغرب من اهتمامات معرفية تعريفية، هذا هو الهدف الأساس والمحور في نقل حوار الحضارات من النظرية إلى الواقع بحسب غارودي.

3 ـ خاتمي وحوار الحضارات

يرى خاتمي أنه يجب أن «نستبدل الفكرة الخطيرة والخاطئة القائلة بالمواجهة بين الحضارات، بالدعوة إلى الحوار بين الثقافات والحضارات»[101]، وأن الوقت الحالي وحسب تطورات الوضع العالمي السياسي منه والثقافي، يسمح ويجعل باستطاعة أبناء العالمين من المفكرين الإسلاميين والمسيحيين (الحضارة الغربية والإسلامية)، لا بل جميع مفكري وأبناء العالم من فتح جسور للحوار في ما بينهم وذلك لا يتحقق إلا بعد زوال الحجب وحواجز التعصب، وذلك لتحقيق عالم يسوده السلم والأمان وتحترم فيه الإنسانية وحقوقها.[102]

---

(99) المصدر نفسه، ص 159.

(100) غارودي: **مشروع الأمل**، ص 108.

(101) خاتمي، محمد: **مطالعات في الدين والإسلام والعصر**، دار الجديد، الطبعة الثالثة، سنة 1999، ص 136.

(102) خاتمي، محمد: **الإسلام والعالم**، مكتبة الشروق، بيروت - لبنان، تقديم محمد سليم العوا، الطبعة الثالثة 2002، ص 126.

أ ـ عوائق الحوار لدى خاتمي

يرى خاتمي أن الحوار بين الحضارات تنتابه بعض العوائق منها:

(1) العائق التاريخي

كالحروب الصليبية التي شكلت ذهنية مروعة لدى العالم الإسلامي والتي خلقت نوعاً من عدم الثقة والتشكيك بحسب خاتمي، والتي تحولت مع مرر الزمن إلى ما نسميه بالمتخيل أو المفهوم عن الآخر أو تصوراتنا عن الآخر، والتي ازدادت سوداوية بمرور الحوادث والأزمان. ويرى خاتمي أن هذه المشكلة في العالم المسيحي فحسب[103]، في حين يرى أن الآخر الإسلامي واجه بالضد الموازي أو غير الموازي والمفرط من العنف والقتل باسم الجهاد وأباد الكثير من الشعوب باسم الدين، وسواء كانت ردود أفعال أم فعل باسم الدين فهم على أنه صحيح، فإنه يجب معالجته من خلال تشخيص الحالة بدقة؛ فالعنف جرف الجانبين المسيحي والإسلامي إلى خوض عدد من المعارك والاقتتال خلف كبريات المسائل العالقة في الذهن من سلوكيات التعامل بين الإسلام والمسيحية أو الغرب، ومدى فاعلية تلك السلوكيات. ويستمر خاتمي في تشخيص العوامل التي يعدها من العوائق لعملية حوار الحضارات؛ فبعد أن عد العامل التاريخي الموازي للحروب هو الشق **الأول** من العوائق، فإن الشق **الثاني**، هو ما أسماه بـ العائق العصري.

(2) العائق العصري

وقصد منه الاستعمار الحديث الذي شمل الكثير من أراضي وشعوب العالم الإسلامي، فان الحضارة الغربية بعد استقرارها وبناء أنظمتها، انطلقت إلى العالم الشرقي والإسلامي، وظهرت له باسم الاستعمار والسيطرة والهيمنة على مقدراته ومصالحه.[104]

وأنه على مفكري العالمين الغربي والإسلامي، العمل على معالجة هذين

(103) المصدر نفسه، ص 124

(104) المصدر نفسه، ص 125.

العاملين وأخذهما بنظر الاعتبار، لأننا سنقبل أو يمكننا أن نكوّن علاقة قائمة على الحوار والتعايش مع الآخر (حوار الحضارات) حتى تحقيق السلام والتعايش مع الآخر سلمياً.[105]

وتنبع فكرة خاتمي ودعوته إلى الحوار بين الحضارات من حاجة الفكر الإسلامي إلى التجديد أو الاستعارة لمفاهيم ممكنة التطبيق ضمن المنظومة الفكرية الإسلامية، ومنها كانت فكرة حوار الحضارات والتي وإن كانت ليست بالجديدة، إلا إنها كانت أعادت للمنهج الإسلامي المتسامح حياته وانتعاشه وهو ما يجب رواجه وتعميمه كأسلوب للتعامل مع الآخر، «وهذا ما ندركه من الدعوة إلى حوار الحضارات، التي بادر إلى طرحها محمد خاتمي في خطابه الذي ألقاه سنة 1998م، في اجتماع الجمعية العام للأمم المتحدة، ودعوته لأن تكون السنة الأولى من القرن الحادي والعشرين سنة لحوار الحضارات، وقد صادقت الأمم المتحدة على هذا الاقتراح، وأعلنت أن سنة 2001م، سنة عالمية لحوار الحضارات، ومع هذه الدعوة تتأكد حاجة الفكر الإسلامي إلى تطوير معارفه وتصوراته ومنهجياته حول العصر والعالم والحضارات، ليكون أكثر قدرة على الانخراط والتواصل والانفتاح»[106]

وتزداد الحاجة إلى الحوار بين الحضارات مع خاتمي مع انفتاح العالم على الإسلام وانفتاح الإسلام على العالم. كما ولا يخفى أن الإسلام «من أكثر الديانات السماوية انتشاراً في العالم، وتأثيراً في قضايا العصر، واقتحاماً لعالم الحداثة، وبالشكل الذي يثير الاندهاش والإعجاب في قدرته على التجدد والانبعاث والإحياء، والتواصل مع مختلف الثقافات واللغات والقوميات، وهذا ما ينبغي أن ندركه جيداً ونرتقي إلى مستوى هذا التقدم الذي وصل إليه الإسلام في العالم بمزيد من البناء والتجديد والتطوير»[107].

---

(105) المصدر نفسه، ص 126.

(106) الإسلام والمدنية - حوارات حول الفكر الإسلامي؛ **قضاياه ومسائله وإشكالياته**، الدار العربية للعلوم، بيروت -لبنان، الطبعة الأولى، 2007، ص94.

(107) المصدر نفسه.

4 ـ خطوات في طريق حوار الحضارات (الأسس والمنطلقات)

هنالك بعض النقاط المهمة التي يجب أن تؤخذ بنظر الاعتبار من أجل تحديد الخطوات الواضحة لحوار بين الحضارات يكون هادفاً وحقيقياً؛ وهي:

أ ـ إن تاريخ الحضارات في الاجتماع الإنساني هو تاريخ تفاعل وتراكم وتجدد وبناء مشترك.. فليس هناك حضارة عرفها التاريخ البشري من غير تراكم الحضارات التي سبقتها وتفاعلها معها وإثرائها... والحضارة المعاصرة ليست استثناء على القاعدة وليست حالة خاصة، بل هي نتاج جميع الحضارات السابقة عليها.

ب ـ على الغرب أن لا يتخوف من انبعاث حضارات جديدة في أي بقعة من العالم، بل عليه أن يساعد المجتمعات في نهوضها الحضاري لا أن يكون عقبة أمام هذه الأمم .. وهذا أفضل دور يمكن أن يؤديه الغرب .. وهذا لا يعني بالتأكيد تغريب العالم وفرض النموذج الغربي على المجتمعات البشرية.

ج ـ إن نظرة علمية، موضوعية، أخلاقية، لأوضاع العالم الشاملة تؤكد لنا حقيقة، من الصعب أن نختلف حولها، وهي أن هذه الأوضاع العالمية لا ترضي أحداً وهي بحاجة إلى تغيير وإصلاح وبكيفية جديدة لتحقيق وضع عالمي جديد يعيش فيه الإنسان بكل إنسانيته.

د ـ إن حوار الحضارات بحاجة إلى عقلية ومنهجية من نوع مختلف؛ فهو بحاجة إلى مؤسسة عالمية تأخذ على عاتقها تطوير هذا الحوار بين الحضارات والتشجيع عليه والارتقاء به إلى مستوى إمكانياته، وتهيئة المقدمات الأساسية لإنجاحه ورعايته باستمرار وتأكيده بوصفه مطلباً أساسياً لمستقبل الإنسان وحضاراته.

هـ ـ إن تقدم حوار الحضارات ونجاحه يتوقف على تحول عقبة أساسية وهي الغرب في نظرته إلى ذاته والى الآخر الحضاري؛ فمن غير تغيير هذه النظرة في زاوية الذات والآخر، فإن حوار الحضارات يكون صعباً ..[108].

---

(108) الميلاد، زكي:«صدام الحضارات أم حوارها»، مجلة **المنهاج**، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، بيروت - لبنان، العدد 11 - 1998، ص 125، 126.

5 ـ شروط في سبيل تحقيق مشروع حوار الحضارات

ومن أهم الشروط التي يجب توافرها من أجل تحقيق نظرية حوار الحضارات وعكسها على الواقع العملي هي:

أ ـ التكافؤ / المساواة

يهدف هذا الشرط إلى تساوي الأطراف المتحاورة من حيث الاعتبار والندية والمساواة والإرادة المشتركة بينهما، إذ ليس من الجدير أن يجري الحوار بين الأقوى والأضعف، أو الأعلى والأدنى. لكن هذا النوع من التمييز لا يخضع للأسس السياسية أو الاقتصادية أو العسكرية؛ وإنما يقاس بحسب معيار ما قدمته الحضارة من إنجازات ونتائج إيجابية لمجتمعاتها ومدى ما أسهمت به في تنمية الوجود الإنساني وتطويره وإمداده بالقيم الروحية والأخلاقية على مر التاريخ[109].

ب ـ شرط الاحترام المتبادل / المغايرة

ويقصد من هذا الشرط الاعتراف أن الاختلاف هو سنة كونية، والتعددية مقبولة وهي ضرورة إنسانية. وهذا الاختلاف يتطلب من أطراف الحوار الاحترام المتبادل، ما يعني قبول الحوار المقترن بالاحترام، وأن الحوار القائم على قاعدة الاحترام المتبادل والاعتراف بالمغايرة والتعددية الثقافية سيتغلب على المعوقات والصعوبات التي تحول من دون قيام تفاهم وحوار دولي يكون جسراً تعبره المجتمعات الإنسانية نحو آفاق رحبة وإيجابية شرط أن يتحقق الاعتراف بوجود الآخر واحترامه وقبوله والإقرار له بالحياة، بل والتعايش معه[110].

ج ـ التعارف وكسر حواجز الجهل المتبادل

العمل من أجل تعميق عوامل التفكير الحر والسليم، ولعلنا لا نبالغ إن قلنا إن الحوار هو الوسيلة المثلى للتعارف بين بني البشر ونحن هنا نؤسس لغاية

(109) العليان، عبد الله علي: **حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين - رؤية إسلامية للحوار**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 2004، ص 80.

(110) المصدر نفسه، ص 82-83.

حميدة في حوار الحضارات وهي العمل على كسر حواجز الجهل وبناء المعرفة بالآخر(111)؛ فالآخر الغربي تشكلت لديه الصورة عن الإسلام والمسلمين عن طريق المواقف والتصورات والتجارب المعاصرة المتمثلة بمصطلحات الأصولية والإرهاب(112)، وهذا الأمر حدا بالطرفين إلى تشكيل صور على أساس الجهل وما نحتاجه هو تهديم هذه الصور ورسمها من جديد على أساس المعرفة بالآخر من الطرفين. وهنا عدَّ التعارف بين الحضارات أحد الشروط التي يجب توافرها لحصول الحوار وهذا ما نريد إقراره وعلى أساسه يبتني لدينا محور البحث، لكن التعارف الحضاري تجاوز كونه شرط من شروط الحوار أو أحد أدواته، وانتقل من المفهوم إلى مرحلة كونه منهجاً موازياً للحوار*.

د ـ تحديد أهداف وقضايا الحوار

حيث يعد هذا الشرط من الاشتراطات المهمة، إذ من دون تحديد أهداف ومرامي الحوار وقضاياه المطروحة، لن يصل المتحاورون إلى غايات مرجوة، فتحديد القضايا والأهداف تشكل مدخلاً مهماً لا يحيد عنه طرف من الأطراف، وتتحدد بالتالي عناصر القضية المطروحة حتى لا يكون الحوار دائراً في حلقة مفرغة(113).

هـ ـ تهيئة الأجواء الهادئة للحوار

«من منهجية الحوار واشتراطاته، السعي اللازم إلى إيجاد مناخ هادئ للمتحاورين في نطاق معطيات وآفاق لا تستفز شعور الآخر ولا تصدمه بإثارة مواقف وآراء تشعل الأجواء وتثير الانفعال ما يحبط مقتضيات

---

(111) محفوظ، محمد: **الإسلام ورهانات الديمقراطية - من أجل إعادة الفاعلية للحياة السياسية والمدنية**، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 2002، ص 87.

(112) اسبيزيوتو، جون: الخطر الإسلامي بين الوهم والواقع، ترجمة هيثم فرحات، دار الحوار، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى 2002، ص 95

* **تعارف الحضارات** موضوع البحث في **الفصل الثالث**.

(113) المصدر نفسه، ص 84.

الحوار»[114]، والحقيقة أن مثل توفير أجواء كهذه يسهم فعلياً في تقريب وجهات النظر وإيجابية النتيجة للحوار.

و ـ الانطلاق من المبادئ المتفق عليها

وذلك لغرض تحقيق حوار ناجح، فيجب الانطلاق من القضايا والموضوعات المتفق عليها بين الجانبين، أو التي يجب أن توفر المجال الرحب للاتفاق وليس الاختلاف[115]؛ والحوار «لا يدعو المغاير أو المختلف إلى مغادرة موقعه الثقافي أو السياسي، وإنما هو لاكتشاف المساحة المشتركة وبلورتها... والحوار بين التعبيرات الاجتماعية والثقافية والسياسية، يفتح آفاق التعاون ويبلور أطر التضامن»[116].

وفي ما يخص العلاقة بين الإسلام والحضارة الغربية، فإنه على الرغم من النقاط السابقة؛ فإن هنالك حقائقَ تاريخية يجب الالتفات إليها في عملية الحوار، من حروب واحتلال وأعمال عنف وانتهاكات حقوق، لذلك فإن الأمر مع هذه العلاقة يتطلب شروطاً إضافية منها :

(1) تحديد المفاهيم وتحرير المصطلحات

إذ تبدو الحاجة ملحة جداً إلى تحديد دقيق لمصطلحات ومفاهيم استعملت في الهجوم الذي يتعرض له الإسلام اليوم، ويأتي مصطلح مفهوم الإرهاب في مقدمة تلك المفاهيم الذي لازال يتخذ سبباً في الحرب بحقه وبغيره ضد الدول العربية أو الإسلامية. وبتعريف عدد آخر من المفاهيم والمصطلحات مثل محور الشر وماهيته والكتلة الممثلة له؛ إذ أطلق على بعض الدول في العالم العربي والإسلامي وغيرها، فتحديد مثل هكذا مفاهيم سيوضح خطى العلاقة بين الطرفين ويجعل الحوار ذو نتيجة مقبولة[117].

---

(114) المصدر نفسه.

(115) المصدر نفسه، ص 85.

(116) محفوظ، محمد: **الإسلام ورهانات الديمقراطية**، ص 85-86.

(117) الربو، إبراهيم: الحوار والتحدي الحضاري، الأمة الإسلامية والتحديات-مجموعة مقالات المؤتمر الرابع لخبراء منظمة المؤتمر الإسلامي، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب، طهران - إيران، ط1، 2004، ص 75

(2) طي صفحة الماضي

وهو أمرُ ضروريُ للحوار لرسم صورة للمستقبل، إلا أنه لا يمكن أن يتم من دون تسوية عادلة لكل المظالم المشينة التي حملتها الصفحة، فتعديل ذلك التشويه والاعتذار والحلول للمشاكل ومحو الآثار السلبية، يعد عاملاً أساسياً في تصحيح صورة الغرب في أذهان العرب والمسلمين وهم يحاورونه[118].

(3) الحل العادل والشامل للصراعات ذات التأثير السلبي على الحوار الحضاري

بناءً على وجود صراعات تفجرت بسبب خلفيات حضارية تاريخية، ومنها الصراع الإسلامي - الإسرائيلي حول فلسطين، الذي يتصدر قائمة تلك الصراعات[119]، وحلول مثل هذه الصراعات وصراعات معاصرة متجددة مثل الحرب على العراق واحتلاله؛ وبالرغم من مبرر بداية الحرب*، إلا أنه لا مبرر أساساً ولا قبول (في أجندة وفكر المسلمين أو العرب والعراقيين بخاصة) لاستمرار هذا الاحتلال وتبعات الحرب .

6 ـ عوائق الحوار الحضاري

في سبيل إكمال النظرة حول أطروحة حوار الحضارات من حيث المبادئ والمرتكزات والأهداف والمشاكل، يتوجب علينا النظر والبحث في مسألة العوائق التي تقف بوجه تطبيق هذه النظرية. ويحدد بعض الباحثين تلك

---

(118) المصدر نفسه، ص 75.

(119) المصدر نفسه، ص 75 - 76.

* مبرر أسلحة الدمار الشامل، ومبرر تهديدات صدام للمنطقة والعالم الغربي، علماً بحقيقة صدام المخالفة لما يقوله وما يصوره الإعلام العربي المتبني للنظرية القومية وفكرة البطل القومي وتهديدات الغرب التي كشفت عن كذبة أسلحة الدمار الشامل والتهديدات الفضفاضة والخطابات الرنانة التي لطالما اشتهر بها وحاكى بها بعض أقزامه، كل تلك مبررات أمريكا للحرب ضد العراق فضلاً على مبرر المصلحة المسكوت عنها في الحرب، وهنالك مبرر آخر رئيسي (ليس لأمريكا. وإنما هو مبرر للعراقيين جعلهم يقبلون أو لا يولون القضية ذلك الاهتمام. وهو مبرر الخلاص من النظام البعثي والعنف الدموي الصدامي المتمثل بحكمه وسلطته وجلاوزته.

المشاكل والعوائق بعدة نقاط منها :

أ ـ التفاوت بين المتحاورين

ونقصد به عدم التساوي في القدرات والإمكانيات، وهذه مشكلة أساسية تكمن في فكرة الحوار بين الحضارات؛ فالتفاوت الحاصل بين أي من الحضارات مع الأخرى ولاسيما الغرب مع الآخر، لا يجعلها تسعى أو تدعو إلى حوار مع الحضارات الأخرى، وذلك ينم عن شعور بعدم الحاجة إلى الآخر، والاختلال غير المتوازن بين الأطراف المتحاورة الذي يمثل عقبة ليست بيسيرة، إذا ما تمسك أحد أطرافه بمركزية تفوقه وريادته[120].

ب ـ الاختلال المفاهيمي للأفكار والعقائد

وهاهنا نقطة مهمة؛ إذ إن مشكلة الاختلاف في فهم العقائد أو تأويلها تجعل من الآخر قريب إلى العداء وعدم التحاور، وعلى المتحاورين تجاوز هذه العقبة وإن كانت صعبة التجاوز خوفاً من أن تلقي الاختلافات القائمة بين الإسلام والمسيحية بظلالها على مسألة الحوار الحضاري[121].

ج ـ التعصب الأعمى

ويقصد به عدم التجاوب مع الآخر ولا الالتفات إليه حتى ولو كان مصيباً ومحقاً، مع أننا نعتقد بقول القرآن الكريم﴿**بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ**﴾[122] ؛ والأكثر من ذلك أن التعصب للرأي والتشبث به قد يؤدي إلى الإرهاب الفكري، وينتج الصراع والنزاع، ويُفشل الحوار بين الطرفين.

د ـ نقص المعلومات عن الآخر

وضمن العوائق التي تقف بوجه الحوار بين الحضارات، نقص المعلومات

---

(120) العليان، عبد الله علي:**حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين- رؤية إسلامية للحوار**، ص 109.

(121) المصدر نفسه.

(122) **القرآن الكريم**، سورة الزخرف، الآية رقم 22.

بين الأطراف المتحاورة ما يشكل عقبة أمام تفعيل الحوار ونجاحه، ولأن نقص المعلومات تجعل أحد الأطراف لا يعرف شيئاً عن الآخر، ما يعد إشكالية تسبب سوء الفهم، وسوء الفهم أو قلة العلم يقودان إلى إعاقة الحوار المستمر من الانطلاقة الإيجابية (عدم التعارف).

هـ ـ تناقض المصالح

يعد تناقض المصالح أحد العوائق القائمة بين الأطراف المتحاورة، إذ يقف عائقاً حقيقياً أمام نجاحه، ويعود السبب في ذلك إلى أن كل طرف من الأطراف يحاول أن يقدم مصالحه الذاتية، ويقدمها أحياناً فوق أو على مصالح تكون أكبر من المصالح التي يدافع عنها، وربما تحقق للمجموع أفضل ما تحقق للفرد أو الجماعات، وهذه الإشكاليات عاشتها أمم وحضارات في عصور آمنة مختلفة، وإن حل إشكال تناقض المصالح عند التحاور يكمن في توازن بين كل من الأطراف المتحاورة وإعطاء التنازلات المتبادلة[123].

7 ـ المؤسسة الرسمية الإسلامية وأطروحة الحوار: منظمة المؤتمر الإسلامي وحوار الحضارات

في أعلى مستوى رسمي إسلامي، أُقرت منظمة المؤتمر الإسلامي وثيقة تخص حوار الحضارات، إثر اجتماع لممثلي رؤساء دول وحكومات الدول الأعضاء في المنظمة، وذلك في طهران في شهر أيار/مايو 1999، وفضلاً على إنها صادرة من جهة أو هيئة إسلامية رسمية، فإنها تضمنت من المبادئ العميقة والشاملة ما يجعل الحوار بحق عملاً إنسانيا مثمراً، إذا بُني على هذه المبادئ وتم احترامها من قبل أطراف الحوار وهي:

أ ـ احترام الكرامة الإنسانية بين جميع بني البشر وعدم التمييز بينهم أياً كان نوع هذا التمييز، وكذلك بين الدول سواء كانت صغيرة أو كبيرة.

ب ـ القبول الفعلي بالتنوع الثقافي بوصفه أحد الملامح الثابتة للمجتمع

(123) العليان، عبد الله علي: **حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين**، ص 109-115.

الإنساني ومصدراً غالياً لتقدم البشرية وازدهارها.

ج ـ الاحترام المتبادل والتسامح في مجال وجهات النظر والقيم الخاصة بمختلف الثقافات والحضارات، وحقوق الأفراد المنتمين إلى جميع الحضارات في الحفاظ على تراثهم وقيمهم الثقافية ورفض تدنيس القيم الأخلاقية والدينية والثقافية، وانتهاك الحرمات والمقدسات.

د ـ الاعتراف بتنوع مصادر المعرفة في كل زمان ومكان، وضرورة الاعتماد على مجالات القوة والثراء والحكمة لكل حضارة في إطار عملية قوامها الإثراء الحضاري.

هـ ـ رفض محاولات الهيمنة والسيطرة الثقافية والحضارية والتصدي للمذاهب والممارسات الرامية لخلق الصراع والصدام بين الحضارات.

و ـ السعي إلى إيجاد أرضية مشتركة بين مختلف الحضارات وداخلها حتى يمكن مواجهة التحديات العالمية المشتركة.

ز ـ القبول بالتعاون والسعي إلى التفاهم كآلية مناسبة لتعزيز القيم العالمية المشتركة ووضع حد للتهديدات العالمية.

ح ـ الالتزام بمشاركة جميع الشعوب والأمم من دون أي تمييز في عمليات صنع القرار وتوزيع المنافع على المستوى المحلي والعالمي.

ط ـ التمسك بمبادئ العدالة والإنصاف والسلام والتضامن، وكذلك بالمبادئ الأساسية للقانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة[124].

إلا أن كل ذلك لم يرقَ إلى الممارسة على أرض الواقع؛ فحدا بمشروع كبير وعملاق ومهم ويعد حلاً لازمة أمة بل أمم ومجتمعات، كما حدا به التنظير المجرد عن الممارسة إلى أن يبقى عبارة عن حبر على ورق؛ فهل اكتفى الفكر الإسلامي أو الرقي بالتنظير بذلك، أم أنه حقق نوعاً من الممارسة

---

(124) الربو، إبراهيم: الحوار والتحدي الحضاري، الأمة الإسلامية والتحديات- مجموعة مقالات المؤتمر الرابع لخبراء منظمة المؤتمر الإسلامي، ص 69-70.

والتطبيق؟ أعتقد أنه وهو في المسيرة نحو تحقيق أهدافه التي يقع الحوار كجزء لا يتجزأ من مشروعه تجاه التعامل مع الآخر، عليه أن يمر بطور التنظير بل بالتجربة على مستوى التنظير لاختيار ما هو أسلم وأدق وأكثر قابلية للتحقق والتطبيق ومقبول من قبل المجتمع الشرق أوسطي الإسلامي عموماً، وهذا جعل الكثير من مفكري الإسلام أو الشرق ينظرون إلى قولبة العلاقة مع الآخر عبر تنظيرات اتسمت بالجدة تارة وبمحاكاة فكرة الحوار تارة أخرى. ومن هذه النظريات ما سنتطرق له في القسم التالي من كتابنا وهو **نظريات أخرى في تعامل الحضارات**.

ثالثاً: نظريات أخرى في التعامل بين الحضارات

على الرغم من تميز وأهمية نظريتي صدام وحوار الحضارات، وما لهما من أثر في الواقع الفكري (الفلسفي والسياسي)، وما أثير من مناقشات، وعقد من مؤتمرات وندوات، وأسس من مؤسسات ومراكز، إلا أنه لا يعني أن الفكر الإنساني قد توقف عن الإبداع وطرح البدائل النظرية أو الرؤى والأطروحات التي من شأنها تفسير أو إنشاء رؤية فلسفية في التعامل الحضاري، ومن هذا كان لابد من التطرق لعرض بعض النظريات المغايرة للنظريتين السابقتين في تعامل الحضارات.

1 ـ سباق الحضارات

ترى أميرة كشغري*، أن العالم المترابط المتواصل الآن أصبح لا يحتمل صراعاً حقيقياً يضاف إلى مشاكله المتفاقمة في الطاقة والمياه والغذاء والأمراض المستجدة، إلا أننا - بحسب كشغري - لسنا منخرطين في عملية حوار حقيقي نبحث فيه عن حلول خلاقة تزيد من رفاهية الإنسان وسعادته، فالحقيقة التي لا بد أن نراها ونعي أبعادها اليوم، هي أننا - في الواقع - نعيش «سباق حضارات»- سباقاً لتبؤ موقع متقدم بين الأمم، وهو سباق يتحدد

---

* أميرة كشغري: أكاديمية وباحثة سعودية.

موقع كل مجتمع فيه بقدر ما يسهم أفراده لخير البشرية.

وتتحدد سرعة كل مجتمع فيه بحجم إسهامه في المخزون الفكري والعلمي للعالم، هو سباق أصبح يدار على أسس عقلانية وعلمية، وأصبح يندرج وفق نظام ورؤية كونية للوجود الإنساني ومستقبل مشترك في هذا العالم[125]. والسباق الذي ترى كشغري أنه يمكن أن يؤسس على مبدأ قرآني هو السباق من أجل فعل الخير والتعامل الإيجابي، قال تعالى:﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[126]. وترى كشغري أن دخول «مرحلة الإسهام- في السباق - لن يكون ممكناً إلا إذا اعترفنا أولاً بأننا جزء من هذا العالم وأن مصلحتنا من مصلحته وخيره لنا خير»[127].

2 ـ تفاعل الحضارات

يطرح محمد محفوظ، بديلاً لنظرية **صدام الحضارات**، هو التفاعل الحضاري، إذ يرى أن الخيار البديل هو «أن تتفاعل الحضارات الإنسانية مع بعضها البعض، بما يعود على الإنسان والبشرية جمعاء بالخير والفائدة»[128]. كما يرى أن نظرية تفاعل الحضارات لا تلغي مبدأ الصراع أو الصدام، وإنما تسخره للنظرية فيقول:«لا نلغي بذلك جدلية الصراع والمدافعة الاجتماعية والحضارية، وإنما نؤكد على هذه الجدلية من خلال مقولة تفاعل الحضارات، لأن التفاعل بين الحضارات لا يعني الجمود والتكلس والرتابة، والأفق الواحد في العلاقات، وإنما هو يعني المزيد من التنافس وإثبات الجدارة الذاتية لكل

---

(125) أميرة كشغري: سباق الحضارات، صحيفة **الوطن** السعودية، العدد 1355 - السنة الرابعة، الصادرة بتاريخ 15 حزيران/ يونيو 2004.

(126) **القرآن الكريم**، سورة البقرة، الآية رقم 148.

(127) أميرة كشغري: سباق الحضارات، صحيفة **الوطن** السعودية، العدد 1355 - السنة الرابعة، الصادرة بتاريخ 15 حزيران/ يونيو 2004.

(128) محفوظ، محمد: **الإسلام، الغرب وحوار المستقبل**، المركز الثقافي لعربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، سنة 2000، ص 137.

كيان ومدرسة حضارية»[129].

بل يرى محفوظ، أن التفاعل هو نفسه عملية صراعية، وأنها متجهة نحو البناء والاستجابة الحضارية لتحديات الراهن[130]، عكس مقولة صدام الحضارات، التي هي مقولة صراعية تدفع الغرب بإمكانياته العلمية والمادية، لممارسة الهيمنة ونفي الآخر، والسيطرة عليه تحت ذريعة ودعوى النزاعات العالمية المقبلة التي ستكون بعناوين حضارية[131].

ويعتقد محفوظ أن «التفاعل بين الحضارات وحده هو الذي يجعل الإنسانية جمعاء تستفيد من محاسن الحضارات ومنجزاتها الصالحة»[132].

3 ـ تحالف الحضارات

جاء الحديث عن فكرة تحالف الحضارات، التي دعا إليها رئيس الوزراء الإسباني خوزيه ثاباتيرو، في أعقاب تفجيرات مدريد المؤلمة في 11 آذار/ مارس 2004م، وقد عبرت هذه الفكرة في وقتها عن موقف اتصف بالحكمة وبعد النظر، وقطعت الطريق على من كان يريد توظيف مثل تلك الأحداث باتجاه تعزيز كراهية المسلمين، وربط الإسلام بالإرهاب، أو بما يخدم مقولة **صدام الحضارات**، ودعت في المقابل إلى تحريك الموقف الدولي باتجاه تحالف الحضارات في مواجهة الإرهاب الذي بات عابراً بين الدول والمجتمعات، وشرح ثاباتيرو فكرته عن تحالف الحضارات، في خطاب بعث به إلى الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان بعد أحداث مدريد. وكان أول المساندين لهذه الفكرة رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان، الذي وقف إلى جانب رئيس الوزراء الأسباني، ودعا إلى التضامن معه، وحينما شارك ثاباتيرو في اجتماع القمة العربية التي عقدت في الجزائر في آذار/

---

(129) المصدر نفسه، ص 137.

(130) وهذا معنى نظرية التحدي والاستجابة عند توينبي.

(131) محفوظ، محمد: الإسلام، **الغرب وحوار المستقبل**، ص 137.

(132) المصدر نفسه، ص 137.

مارس 2005، دعا القادة العرب إلى دعم وتأييد مبادرته حول تحالف الحضارات للقضاء على الإرهاب، وتجاوز الفجوة بين الشرق والغرب. ونجح ثاباتيرو في حشد تأييد دولي لمبادرته، مستفيداً من التعاطف الدولي والإنساني مع بلده بعد تلك الأحداث الدامية في مدريد، فكسب دعم الإتحاد الأوروبي والجامعة العربية والمؤتمر الأسباني اللاتيني، كما حظيت الفكرة بتأييد كوفي عنان، وأطلقها رسمياً في 14 تموز/ يوليو 2005م، بإقرار تشكيل فريق عمل رفيع المستوى لإعداد برنامج عمل التحالف بين الحضارات، وأطلق عليها لجنة الحكماء، وتشكلت من 17 عضواً[133].

وعنوان «الحضارات والثقافات الإنسانية : من الحوار إلى التحالف»، كان للندوة الدولية، التي أقيمت في تونس بتاريخ 30 كانون الثاني/ يناير 2006، والتي تضمنت إصدار إعلان تونس الذي تضمن بدوره، اعتبار تحالف الحضارات مبدأً من مبادئ القانون الدولي وأساساً من الأسس التي تقوم عليها العلاقات الدولية، وهو يساهم بدرجة كبيرة في التقارب بين الشعوب والأمم وفي إزالة الحواجز المتراكمة من سوء الفهم المتبادل، ويمثل أحد الخيارات المثلى لمعالجة الانعكاسات السلبية لظاهرة العولمة وتنشيط التعاون والتضامن بين الشعوب، ونبذ كل أشكال المفاضلة والثنائيات التي تؤدي إلى صدام الحضارات، وهو اختيار العقلاء وسبيلاً يسلكه الحكماء ومسؤولية إنسانية مشتركة يتحملها بصورة خاصة، صانعو القرار بمختلف درجات المسؤولية، والنخب الفكرية والثقافية والإعلامية في العالم كله، من أجل المشاركة الجماعية في بناء السلام في الحاضر والمستقبل[134].

وعدَّ التحالف أنه يجب التركيز على المشتركات الحضارية بدل أوجه الاختلاف والتمييز، إذ إن ذلك من شأنه أن يقرب بين الحضارات؛ وعليه فإن تحالف الحضارات المنشود هو الذي يقوم على القيم الإنسانية المشتركة

---

(133) الميلاد، زكي: من حوار الحضارات إلى تحالف الحضارات، جريدة **عكاظ** السعودية . الأربعاء 8 صفر 1427هـ / 8 آذار/ مارس 2006م، العدد 14438.

(134) موقع أخبار تونس: http://www.akhbar.tn/akhbar/2006/02/01-007.html

ومبادئ الحق والعدل والاحترام المتبادل والملتزم بقواعد القانون الدولي وحقوق الإنسان والتسامح والمواطنة والديمقراطية، ويفتح المجال واسعاً أمام تفاهم الشعوب والجماعات، ويؤدي إلى تقارب الحضارات وتلاحقها، وينطلق من نقاط الالتقاء بدل أوجه الاختلاف، في إطار الالتزام بالموضوعية والحياد عند تناول الآخر من النواحي كافة، والابتعاد المطلق عن تغيير الحقائق على نحو يشوه صورة الآخرين أو يسيء إليهم[135].

4 ـ توازن مصالح الحضارات

«الغرب مصالح ولا شيء غير المصالح، وكل حوار معه أو تفكير ضده لا ينطلق من المعادلة التالية (الغرب = المصالح)، إنما هو انزلاق وسقوط في شباك الخطاب المغالطي التمويهي السائد في الغرب، والهادف إلى صرف الأنظار عن المصالح وتوجيهها إلى الانشغال بما يخفيها، ويقوم مقامها في تعبئة الرأي العام، مثل (الحضارة) و(الثقافة) و(الدين) و(الأصولية)[136].

هكذا يرى الجابري، الغرب - ذاته وتعاملاته - فالحاكم والمعيار الأساسي في العلاقات الغربية مع الآخر - بحسب الجابري- هي المصالح الغربية ليس إلا، وفي مناقشته لمسألة صدام الحضارات أو حوارها، يقول: «في ما يخصني شخصياً، أعتقد أنه من الواجب تسمية الأمور بأسمائها الحقيقية، إن جوهر القضية المطروحة هو «المصالح»، مصالح الغرب»[137].

فما يحكم العلاقة اليوم بين الغرب والآخر، هو «من جنس علاقة السيد بالعبد، السيد يستغل العبد، وهو يحتاج إليه، إذ تتوقف عليه الكثير من

---

(135) المصدر نفسه.

(136) محمد عابد الجابري: **قضايا في الفكر المعاصر**، ص 128. كما ونشر الجابري مقالة بعنوان «بدلاً من صدام الحضارات.. توازن المصالح». ضمّن الجابري فيها المعنى نفسه لمحورية المصالح كمحرك للصراع. (هامش ص 132 من كتاب **قضايا في الفكر المعاصر** للجابري).

(137) المصدر نفسه، ص 131

شؤونه، والعبد يعاني من السيد ولكنه هو الآخر محتاج إليه»[138].

وعليه يعتقد الجابري، أن ما تسمح به الظروف الآن هو العمل من أجل تحقيق نوع من توازن المصالح يحد من هيمنة السيد وغلوائه وذلك باللجوء إلى أسلوب النضال، الذي تمارسه «نقابات العمال، وهذا النوع من النضال يتطلب قيام تضامن بين دول العالم الثالث، أو بين مجموعات إقليمية، شبيه بتضامن نقابات العمال وسلوك أسلوب الضغط، الذي يتراوح بين مجرد المطالبة بالحقوق وبين القيام بإضرابات، مع الأخذ بلعبة الحوار والعمل بمبدأ «خذ وطالب»، ذلك هو الحوار المطلوب اليوم، حوار من جنس حوار النقابات المنظمة المتضامنة المستميتة المطالبة بحقوقها .. مع أصحاب المعامل والمؤسسات[139].

إذاً، يرى الجابري أن الحوار أو أسلوب التعامل الذي يجب أن يكون مع الغرب على أساس نقاط عدة:

أ ـ إن الغرب لا يهمه إلا المصالح.

ب ـ إن هنالك فارقاً بين طرفي الحوار أو التعامل (الإسلام والغرب)، وعليه فإن العلاقة لا يمكن أن تكون حواراً وإنما هي أشبه بعلاقة السيد بالعبد.

ج ـ إن العمل المطلوب اليوم هو شبيه بأسلوب تعامل العاملين مع أصحاب المعامل، وهذا رأي جريء للجابري، إذ عد فيه العرب والمسلمين كلهم راضخين واقعاً للهيمنة الغربية، وهم عاملين لدى أصحاب المؤسسات = الغرب.

ويرى آخرون تعقيباً على رأي الجابري «أنه ليس هنالك قوة صادمة عبر التاريخ، كانت بعيدة عن المصالح في توجهها لصدام الآخرين وغزوهم، وهنا قد لا يتساوى الطرفان المتضادان، فقد يكون الصدام بينهما على ما يسعى كل منهما إلى الاستحواذ عليه ... وقد يكون الصدام من قبل جهة لاستغلال أو

(138) المصدر نفسه، ص 132.

(139) المصدر نفسه.

استعمال جهة أخرى وهذه الجهة الأخرى تدافع عن نفسها»[140].

ومن ثم فإن من شأن وضع الاعتبارات المصلحية فوق كل الاعتبارات الأخرى، أن يؤسس رؤية تضرب مصالح الآخرين عرض الجدار، ولا تولي اهتماماً للآخر عموماً. ومن شأن كل ذلك أن يولد ويعمق الكراهية بين القوي والضعيف، بل وبين القوي والأقوى، ما يبقي الأجواء قادرة على إنتاج العنف والصدام[141].

لذلك كله يرى الجابري وجوب العمل من أجل موازنة تلك المصالح بين القوي والضعيف، أو كما يراه الجابري بين السيد والعبد.

5 ـ تعاون الحضارات

هنالك نظريات أخرى مثل تعاون الحضارات التي تبناها بالإشارة التسخيري* أو تطرق إليها، في ندوة أقيمت في لندن، بعث فيها برسالة إلى المشاركين جاء فيها: خلافاً لما طرحه السيد صاموئيل هانتنغتون، رئيس قسم الدراسات الإستراتيجية في جامعة هارفارد الأمريكية من أفكار حول صراع اليوم على الأساس الثقافي، واعتبار صراع الحضارات هو المرحلة لمتطورة من أنواع الصراع التاريخي، وخلافاً لما يدعيه من أن الاختلاف بين الحضارات الموجودة هو اختلاف جوهري مستمر متصاعد تغذيه الصحوة الدينية، نعم خلافاً لكل هذا، أود أن أعلن لكم جميعاً أن الجواب الحقيقي عن السؤال الذي يطرحه هذا المؤتمر هو (التعاون) لا غير.

وكانت هذه الكلمات تتضمن الإشارة إلى عنوان المؤتمر الثاني للحوار بين الإسلام والغرب «الصراع أم التعاون» بتاريخ 2/ 7/ 1996، والذي أقيم في

---

(140) أحمد، حسن إبراهيم: **صدام المصالح وحوار الحضارات**، مؤسسة علاء الدين للطباعة والتوزيع، دمشق سوريا، الطبعة الأولى 2004، ص 79.

(141) المصدر نفسه، ص 89.

* محمد علي التسخيري: الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في إيران.

لندن- بريطانيا، وحدد تسخيري نوع التعامل بين الغرب والإسلام، بكونه يجب أن يكون تعاوناً خلافاً لما قال به هانتنغتون من الصراع، وهذا الرأي حسب تسخيري تفرضه أمور هي باختصار:

أ ـ كون الحضارة منتجاً إنسانياً تكاملياً .. يستهدف إعلاء الإنسان وإسعاده، وحينئذ تتكامل الصيغ الحضارية الإنسانية بدلاً من أن تنعزل، إضافة إلى تصارعها.

ب ـ إن عوامل التواصل بين الحضارتين الإسلامية والغربية كثيرة وأهمها:

(1) تشابه الأصول التاريخية والدينية.

(2) التجارب التي تم فيها التعاون التاريخي.

(3) التجاور الجغرافي.

(4) وحدة الشعارات (كشعار الحرية والعدالة وحقوق الإنسان ..).

(5) وحدة المصير المشترك .

ويرى التسخيري، أنه بالرغم من وجود بعض العوامل التي تفرق بين الحضارتين، إلا أن الأواصر أقوى وأكبر من أن تتضمن تلك الاختلافات[142].

على الرغم من إيجاز مثل هكذا أطروحات أو عدم منهجتها كأطروحة بديلة تأخذ على عاتقها التصدي أو مواجهة الأفكار المخالفة، أو عجزها من أن تظهر بموازاة الفكر الآخر، الذي يتبنى نظريات مغايرة كالصدام بين الحضارات أو غيره، ما لا ينطلق من منطلق أو أسس إسلامية – معتدلة، أو لا يمثل توجهات الفكر الإسلامي، إلا أنها استطاعت أن تقدم رؤية تخالف

---

(142) التسخيري، محمد علي: **مع المؤتمرات الدولية - الحوار مع الآخر**، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، الطبعة الأولى 2003، طهران - إيران، ص 162-163.

تلك النظريات (ولاسيما **صدام الحضارات**)، واستطاعت كذلك أن تنظّر لعدة مرتكزات يمكن أن تكون أطروحة بديلة أو معالجة لما لم تعالجه الأطروحات السابقة لها، فضلا عَلى كونها كانت تجسد التنوع الفكري الإسلامي والعربي، الذي يظهر أنه ما انفك عن تفسير واستشراف نظريات التعامل الإنساني والحضاري، وما يرتبط بهذا الموضوع من تداخلات في قضية وأفكار مثل فكرة العالم الأوحد أو فكرة الأنموذج الليبرالي أو التفرد الغربي أو قضية التعددية الدينية أو العالمية والعولمة وغيرها.

6 ـ صدام الهمجيات

يرى جيلبير الأشقر، في كتابه **صدام الهمجيات**، أن مفهوم الحضارة هو دلالة للتلطيف والسلم والسيطرة على العدوانية؛ فالتحضر هو ضد العنف والعدوان والقتل؛ والحضارة هي من يعطي ويضفي الطابع السلمي على العلاقات بين الأفراد والمجتمعات والدول، لكن هذه الحضارات بفعل السيرورات والتغيرات التي تحل بها، تجعلها تنتج همجيات، بحيث إن كل حضارة تكون لها همجيتها الخاصة، فالمتطرفون الإسلاميون يقطعون الرؤوس هنا وهناك وهي طريقة تقليدية للقتل؛ وأولئك الغربيين يقتلون بالقنابل التقليدية التي تزن سبعة أطنان؛ وهؤلاء يحوّلون الخطوط الجوية لاستخدامها كصواريخ بغية قتل المدنيين؛ وأولئك يطلقون صواريخ كروز، في ضربات ضد المدنيين الآخرين. والحقيقة أن الخبث واللؤم هو لغة تعامل الهمجية مع الحضارة. وبدلاً من أن تكون المواجهة صداماً بين الحضارات، هي الآن بحق صداماً بين الهمجيات التي تفرزها الحضارات، بمقادير متغيرة. ومع هاتين الهمجيتين، فإن همجية الأقوى هي الأكثر إثماً، فهمجية الضعفاء في أغلب الأحيان هي منطقية كردة فعل على همجية الأقوياء الذين يحاولون بين الحين والآخر أن يستفزوا هؤلاء الضعفاء[143]. والحقيقة أن الهمجيات هي التي تخلق

(143) الأشقر، جيلبير: **صدام الهمجيات - الإرهاب، الإرهاب المقابل والفوضى العالمية قبل 11 أيلول وبعده**، ترجمة كميل داغر، دار الطليعة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 2002، ص 89-95.

الأصوليات؛ فالهمجية هي سوء فهم وتطرف ومغالاة في قراءة النصوص الدينية من طرف، والتصرف على أساسها مع الطرف الآخر، وكذلك هي وهم امتلاك الحقيقة المطلقة من الطرف الآخر، وكل من الطرفين هو أصولي همجي يسعى إلى نفي الآخر وإقصائه والقضاء عليه، وهذه هي لغة الصدام بين الطرفين.

الفصل الثالث

(تعارف الحضارات البديل الإسلامي)*: الفكر الإسلامي والأطروحة البديل

* أرى أن نظرية تعارف الحضارات تعد بديلاً إسلامياً في نظريات التعامل الحضاري، وذلك للأسس الدينية العامة والقرآنية الخاصة المعتمدة كمحاور ومرتكزات في التنظير لها، على مغايرة مع نظرية حوار الحضارات أو كتقويم ومعالجة لها أو كأحد السبل إليها، إذ إنها تنم عن رد الفعل في أطروحة خاتمي سياسياً أو على المستوى الثقافي، وكفعل ينطلق متحدثاً باسم الشرق أو مدافعاً عنه كما يتصور غارودي، فهو يتكلم عن رؤية عامة للشرق أو اللاغرب الدين - الإسلام، واللادين - الصين، كما إن الذي طرح فكرة الحوار أصلاً هو الغرب، وهو الذي كان سباقاً في الدعوة إليه بهذا المفهوم وهذه الدلالة وهو صاحب المبادرة إلى الحوار في أشكاله المتعددة وصيغه المتنوعة. انظر: التويجري، **الحوار من أجل التعايش**، ص11- 12. أما التعارف فهي نظرية تتكلم عن رؤية إسلامية بحتة تعتمد المنهج الديني والنص القرآني والمعصوم على اختلاف مستوياته كدعامة للأطروحة وأساس مبتنى عليه في العلاقة مع الآخر.

تمهيد

هل استطاع الفكر الإسلامي أن ينتج أطروحة بديلة في نظريات تعامل الحضارات، تنطلق من أسس ومبادئ إسلامية، وتستشرف المستقبل بعد أن قرأت الواقع وأحداثه الماضية والمعاصرة؟ وهل استطاع إنتاج أطروحات لا تأتي من مبدأ رد الفعل على المصير المرسوم من هانتنغتون للإسلام، من أنه يجب أن يصطدم بالغرب وعلى الغرب الجاهزية لهذا الصدام مع الإسلام والشرق الصيني؟ وهل كان بمقدور الفكر الإسلامي أن يؤسس لنظرية موازية لما جاء به هانتنغتون في **صدام الحضارات**، أو غارودي في **حوار الحضارات**، كتناظر منهجي وموازية معرفية؟ كل هذه التساؤلات وغيرها تتجلى لها إجابات في بحثنا في نظرية تعارف الحضارات التي ظهرت كحالة بديلة تأسست كما يرى صاحبها «زكي الميلاد» على أسس إسلامية - قرآنية، وطرحت بمنهجية واضحة، وجاءت موازية لما طرح كـ صدام بين الحضارات ورد الفعل في حوار الحضارات واستجابة للتحديات الثقافية؛ إذ استطاعت أن تؤطر بإطار النتاج الفكري الإسلامي الإبداعي والإنشائي في تحديد صيغة التعامل الحضاري مع الآخر[1]، ومن منطلق «أن الجميع يتفقون على أن هناك أزمة عالمية ذات بعد قيمي - ثقافي، والإسلام قادر على أن يقدّم رؤية تساهم في تقنين الرؤية التي تجري صياغتها للعالم، وترى أن المسلمين في حاجة إلى خطاب غير اعتذاري، مقترحة طرح مشروع (تعارف الحضارات) من منطلق قرآني، لأننا بحاجة إلى خطاب ينطلق من الذات الإسلامية

---

(1) الميلاد، زكي: **الإسلام والمدنية**، ص 117.

وخصائصها، وبمبادرة تجاه الآخر، لا بانفعال أمامه، حتى يتحقق التوازن في الرؤية الذي هو أساس الفاعلية»[2]

أولاً: تعارف الحضارات (Acquaintance Of Civilizations) (أصالة النظرية وتأصيلها الديني الإسلامي)

حاول زكي الميلاد* في أطروحته **تعارف الحضارات**، أن يؤسس لرؤية إسلامية في أسس ومناهج التعامل الحضاري مستنبطاً المقومات لمشروعه الحضاري من القرآن الكريم ومن قوله تعالى **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ**

(2) محمود، نادية:«حوار الحضارات، على ضوء العلاقات الدولية الراهنة»، 1/ 2،موقع التقريب بين المذاهب

http://www.taghrib.org/arabic/nashat/elmia/markaz/nashatat/elmia/matboat/resalataltaghrib/31/rt31-108.htm

* زكي عبد الله الميلاد: متخصص في الدراسات الإسلامية، وباحث في الفكر الإسلامي والإسلاميات المعاصرة ولد في 25 تشرين الأول/ أكتوبر 1965م، في محافظة القطيف الواقعة شرق المملكة العربية السعودية؛ وهو رئيس تحرير مجلة **الكلمة**، وهي مجلة فصلية فكرية تصدر في بيروت، وهو مستشار أكاديمي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالولايات المتحدة الأمريكية، وعضو المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في طهران، وعضو اتحاد الأدباء والكتاب العرب، وشارك في تأسيس المنتدى العربي للحوار والمواطنة، الذي يهدف إلى تدعيم قيم الكرامة والحرية والعدل والمساواة، وتشجيع الحوار ونبذ العنف والتطرف، وتدعيم قيم المجتمع الأهلي المدني. ويتخذ من بيروت مركزاً له. وأعلن عن تأسيسه سنة 2004م، له عدة مؤلفات منها: **من التراث إلى الاجتهاد.. الفكر الإسلامي وقضايا الإصلاح والتجديد**، الصادر في بيروت عام 2004م؛ و **المسألة الثقافية.. من أجل بناء نظرية في الثقافة**، الصادر في بيروت عام 2005م؛ و **نحن والعالم.. من أجل تجديد رؤيتنا إلى العالم** الصادر في الرياض عام 2005م، ضمن سلسلة كتاب الرياض الذي تصدره شهرياً مؤسسة اليمامة الصحفية، وهو أول كتاب أصدره داخل السعودية. **وتعارف الحضارات**، الصادر في دمشق عام 2006م بالاشتراك مع آخرين، أصدر مجلة **الكلمة** عام 1993م.

عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[3]؛ فـ«مقولة **تعارف الحضارات** التي يتبناها الأستاذ (زكي الميلاد) ويبشر بها في المحافل الثقافية والأكاديمية إلى تطوير مستويات الفهم في النظر إلى عالم الحضارات، والسعي إلى اكتشاف آفاق جديدة أو غائبة تساهم في تجديد العلاقات على أساس المعرفة المتبادلة، من خلال بناء جسور المعارف لإزالة صور الجهل كافة والتخلص من رواسب وإشكاليات القطيعة» [4].

1 ـ صياغة المفهوم

عمل «زكي الميلاد» على صياغة مفهوم تعارف الحضارات، ويمكن عده أول من نحت هذا المفهوم ودافع عنه؛ ففي صيف 1997م، أنجز أول عمل حول **تعارف الحضارات** على صورة بحث نشر في مجلة **الكلمة**، العدد 16، شرح فيه قيمة وتميز هذا المفهوم، واختلافه عن مفهومي **صدام الحضارات وحوار الحضارات**، واتصاله بالمنبع القرآني؛ كما وشرح طبيعة مكونات هذا المفهوم وأبعاده ومقاصده، وختم البحث بالدعوة لأن يأخذ هذا المفهوم مكانته من الجدل والنقاش الدائر على نطاق واسع حول أنماط وصور العلاقات بين الحضارات، والتأكيد على ضرورة أن نتعامل بثقة مع الأفكار التي نبدعها، ونعطيها من الأهمية ما تستحق، لا أن نكون مجرد مسحورين ومنفعلين بالأفكار التي تأتي لنا جاهزة من الخارج، ومن الغرب بشكل خاص[5].

ويرى «الميلاد» أن البحث عن مفهوم بديل (عن الصدام والحوار) والبحث عن مفهوم آخر، هو من مقتضيات التجدد والاجتهاد والفاعلية، وعدم الجمود أو التوقف، ولضرورات البحث عن أبعاد أخرى قد تكون غير مكتشفة، ولفتح مجال التفكير نحو مفهوم جديد، وأهمية فحصه واختباره،

---

(3) **القرآن الكريم**، سورة الحجرات، الآية رقم 13.

(4) منور، هشام: تعارف الحضارات،السبت 12 أيار/ مايو 2007، المدونة الخاصة على المحرك الإلكروني مكتوب: http://hicham978.maktoobblog.com

(5) الميلاد، زكي: **بحث تعارف الحضارات.. فكرة وتطوراً ومصيراً**، زكي الميلاد وآخرون: تعارف الحضارات، دار الفكر، دمشق - سوريا،الطبعة الأولى سنة 2006، ص 20.

وجعله في دائرة النظر والتحليل. هذا من حيث مقتضيات بناء المفهوم كعملية معرفية، وهناك مقتضيات أخرى ذات علاقة بالتاريخ الحضاري لعالم الإسلام؛ فقد كانت للمسلمين تجربتهم في بناء الحضارة، وتكونت لهم معرفة وخبرة في هذا المجال... لذلك يفترض أن يكون في التصور الإسلامي رؤية أو مفهوم يحدد شكل العلاقات مع الأمم والمجتمعات والحضارات الأخرى. والقرآن الكريم الذي جاء للناس كافة ورحمة للعالمين، هو الرسالة الخالدة للبشر بكل تنوعاتهم، قال تعالى: **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾**[6]، هذا الاختلاف أو التعدد والتنوع في الاجتماع البشري كما تقرره الآية الكريمة، يفترض أن يتأسس على قاعدة أو مفهوم قد تحدد في القرآن الكريم والمفهوم الذي نتوصل إليه، ونزداد ثقة به وبقيمته المعرفية والأخلاقية والإنسانية هو مفهوم (التعارف)، لأن منشأ هذا المفهوم هو القرآن الكريم، (وآية التعارف).. تحديداً من أكثر آيات القرآن الكريم التي تكرر ذكرها والحديث عنها، والالتفات إليها في الكتابات العربية والإسلامية، منذ أن تجدد الحديث حول حوار الحضارات، الأمر الذي يجعلها ذات علاقة بهذا الشأن[7]. وفكرة تعارف الحضارات في أهم جوانبها، جاءت في إطار تجدد واجتهاد الفكر الإسلامي، وبتأكيد لمعنى التواصل والانفتاح الحضاري على الآخر[8].

و«تعارف الحضارات ليس مجرد تعبير فحسب؛ وإنما هو أكثر من ذلك، إنه مشروع حضاري يسعى الميلاد إلى وضع أسسه وبناء تكوينه الفكري بالاستناد إلى المرجعية الإسلامية. كما يجد الميلاد في مصطلح التعارف

---

(6) القرآن الكريم، سورة الروم، الآية رقم 22.

(7) الميلاد، زكي: **بحث من حوار الحضارات إلى تعارف الحضارات**، زكي الميلاد وآخرون: تعارف الحضارات، ص 57-58.) وفكرة تعارف الحضارات في أهم جوانبها

(8) سارة، فايز: «التعارف صيغة وسطى بين حوار الحضارات وصراعها»، صحيفة **الحياة**، لندن، السبت الموافق 3 حزيران/ يونيو2006، وأعيد نشرها في موقع الأستاذ الميلاد كمراجعة للنظرية على الانترنت.)

المخرج المفاهيمي العربي والإسلامي المعبر عن خصوصيتنا»[9].

ويعتقد «الميلاد»، أن نحت هذا المفهوم وصياغته، يعطي معنى قريب من مفهوم التواصل عند هابرماس* الألماني المعاصر، إذ إن فكرة التواصل عنده تقوم على تجاوز ما يصطلح عليه بفلسفة الذات، والعمل على الوصول إلى فلسفة الآخر، وهذا ما تسعى إليه مقولة التعارف أيضاً التي تتجاوز الذات أو فلسفة الذات إلى بناء الجسور والوصول إلى الآخر، من خلال بناء معرفة وتعارف، والفارق بين المفهومين أن التواصل عند هابرماس، يرتبط بحقل المعرفة أو هكذا حاول ربطه، فتحددت علاقته بالعقل، أما التعارف فيرتبط بحقل الاجتماع، فتحددت علاقته بالمجتمع والجماعة والناس[10]. ويدعم هذه الرؤية إدريس هاني، بقوله إن خطاب التعارف موجه للحامل الاجتماعي أي للإنسان - الشعوب والقبائل -[11].

---

(9) نص ينقله الميلاد عن رسول محمد رسول في مقالة له نشرت في صحيفة **الزمان** اللندنية، كمثال للشخصيات التي تناولت مفهوم تعارف الحضارات بالنقاش والدراسة. انظر: زكي الميلاد وآخرون: **تعارف الحضارات**، دار الفكر، دمشق - سوريا،الطبعة الأولى سنة 2006، ص 22.).

* هابرماس، يورغن: ولد في مدينة دوسلدورف Dussldorf في ألمانيا ودرس في جامعتها، وحصل على درجة الدكتوراه عام 1953، حول الصراع بين المطلق والتاريخ في فكر شلنج وهو موضوع ألزمه بدراسة الفلسفة المثالية الألمانية، من كانط حتى هولباخ وهيغل، وبقية مفكري حركة التنوير. وأصبح بين عامي 1956- 1959، مساعداً لأستاذه أدورنو في معهد البحوث الاجتماعية بجامعة فرانكفورت بين عامي 1964- 1971، قبل انتقاله عام 1972إلى معهد ماكس بلانك في ستارنبرغ كأستاذ ثم مدير للمعهد، ليعود مؤخراً إلى جامعة فرانكفورت، وهو صاحب كتاب نظرية الفعل التواصلي، أو نظرية العقل التواصلي.

(10) الميلاد، زكي: **بحث من حوار الحضارات إلى تعارف الحضارات**، زكي الميلاد وآخرون: تعارف الحضارات، ص 64.) ويدعم هذه الرؤية إدريس هاني

(11) هاني، إدريس: في حوار مع علي المدلوح عن موقع بتاريخ الثلاثاء 1426-06-20ه الموافق 2005-07-26م العدد 11729 السنة الأربعون.

أ ـ ما بين التعارف (Acquaintance) والتواصل (Communication)

في النص السابق، حاول الميلاد ربط التعارف بمفهوم التواصل، والتواصل في جوهره يمثل وصفاً للعلاقة بين طرفين ما، توصف بعدم الانقطاع وتنطلق من الاعتراف بوجود الآخر. ويهدف التواصل إلى الانتقال من المستوى الفردي إلى الجماعي من خلال خلق رمز أو علامة تشكل اللغة التي تمثل العلاقة أو المشترك بين الذات والآخر، والتي تعمم لاحقاً على أساس جعلها مشتركةً بين مجموعة من الأفراد[12]، وهذه اللغة المشتركة تصل إلى معنى التعرف والاعتراف بالآخر والتعامل معه على أساس ما يمتلكه الطرفين من مشتركات بلغة التقبل له وقبوله في منهجية التعارف المقصودة في البحث.

كما إنه من خلال «التواصل يكتسب (الفرد) وعيه بذاته في سياق استبطانه لعلامات وتجارب الآخرين، والإفادة من سلوكيات ودروس الأفراد الذين يحتك بهم ويتفاعل معهم»[13]. وهذا نفسه ما يقصد من التعارف في كونه يهدف إلى الإفادة من عملية التفاعل الحاصلة من خلال منهجية التعارف بين حضارتين أو أمتين أو مجموعة من الشعوب، إذ إن ذلك التعامل التعارفي سيمكن بالتأكيد الطرفين من الإفادة المتبادلة.

وكذلك فإن التواصل يقتضي التعريف بالمجهول. إذ يعد من أدوات التعريف فهو «يخبر المتلقي بشيء كان يجهله في السابق»[14]، وذلك ما يبتغيه تعارف الحضارات من كسر حواجز الجهل واللامعرفة بالآخر أو تصفية المعرفة المشوبة والمشوشة عن الآخر في (المتخيل الإسلامي والمتخيل الغربي)*، كما إن التواصل يتعامل مع «أزمة الكائن البشري في نظرته لذاته

---

(12) أفاية، محمد نور الدين: **المتخيل والتواصل - مفارقات العرب والغرب**، دار المنتخب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1993، ص 193-164.

(13) المصدر نفسه، ص 164.

(14) المصدر نفسه، ص 166.

* راجت مؤخراً الكتابات تحت هذين العنوانين **الغرب المتخيل** و **الإسلام المتخيل** ويقصد منهما ما يتخيله الآخر عن الإسلام أو ما يتخيله الأخر عن الغرب والمقصود= =في

وللآخرين»[15]، وهذا يشارك تعارف الحضارات في كونه يهدف إلى معالجة النظرة إلى الآخر والى الذات من خلال تصحيح ما هو مكنون لدى الذاكرة الإسلامية أو الغربية تجاه الآخر وتصحيح سلوكية التعامل معه على أساس التعرف عليه والاعتراف به، وإذا كان التعارف منهجاً وأداة وغاية، من خلال المسيرة التعاملية بين الحضارات، فالتواصل يهدف كذلك أن يجمع بين كونه أداة لمخاطبة ومعرفة الآخر من جهة، وبين كونه غاية ترتجى من التفاعل الحاصل بين الطرفين من جهة ثانية[16].

وإذا كان التواصل عند هابرماس هو «الفاعلية الوحيدة التي بإمكانها إعادة ربط الصلة بين أطراف هذا العالم المتقطع الأوصال»[17]؛ فإن التعارف لا يروم إلا جمع شتات التمزق الحضاري والذي يسير منذ فترة لا يستهان بها نحو الصراعات والتمزقات إلى توحيد المتنوع الحضاري تحت عنوان يقبل الآخر دون أن يلغي ذاته ويحافظ على هويته دون أن يفرضها، هذا هو تعارف الحضارات، كما وعدها البعض بأنها السبيل إلى الخلاص بقوله: «إن مصلحتنا كعرب ومسلمين أن يسود فكر تعارف الحضارات من باب قوة العقلاء وليس من باب التخاذل»[18] وفي عبارته الشيء الكثير من الصحة؛ فهو ربط بين المصلحة الإسلامية العربية وإن كان مستوى نظرية تعارف الحضارات

أغلب الكتابات هو سوء فهم أحد الطرفين الغرب أو الإسلام للآخر الغربي أو الإسلامي، والذي يقتضي في بعض الأحيان تشويه الصورة عنه وجعلها سوداوية؛ انظر: **الشرق المتخيل**: تييري هنتش؛ و **الغرب المتخيل**: نسيب الحسيني، الكتابين من إصدار المجلس الأعلى للثقافة بمصر.

(15) أفاية، محمد نور الدين: **المتخيل والتواصل - مفارقات العرب والغرب**، ص 176.

(16) المصدر نفسه.

(17) جان مارك فيري: **فلسفة التواصل**، ترجمة وتقديم عمر مهيبل،النص من مقدمة عمر مهيبل،الدار العربية للعلوم ومنشورات الاختلاف والمركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 2006، ص 19.

(18) عمرو خالد: «حوار بعنوان التشريعات والقوانين العالمية لن تحول دون محاولات بث التصادم بين الحضارات»، صحيفة **الراية القطرية**، بمناسبة انعقاد اجتماع **مجموعة** تحالف الحضارات في قطر، نشر على موقع الراية الإلكروني: **http://www.raya.com**

من المفترض له أن يكون أعلى من مستوى الخصوصية العربية أو الإسلامية التي يتبناها عمرو خالد، فأنا اعتقد أنها مصلحة إنسانية عامة وهي في أن تسود فكرة تعارف الحضارات والقبول بالآخر، ومن ثم لا نتبنى هذا الفكر على أساس أننا مستسلمون خاضعون ومتخاذلون، لا بالعكس فاتخاذنا لهذا المنهج يجب أن ينبع من إيماننا به كمفهوم إسلامي ونظرية إسلامية أولاً، ومن ثم على أنه الكفيل الحقيقي لتحقيق المصالح الإنسانية في العيش السلمي والتنوع بلا عنف أو تطرف أصولي يرفض الآخر.

2 ـ اكتمال صياغة المفهوم واكتشاف القيمة الدلالية له

ويرى «الميلاد»، أن مفهوم تعارف الحضارات اليوم قد تجاوز مرحلة بناء المفهوم، واكتسب قوة التماسك والتحديد، ودخل حيز المجال التداولي، وبات معروفاً في حقل الدراسات الحضارية، وفي مجال العلاقات بين الحضارات بصورة خاصة.(19)

وأيدت «نادية مصطفى»، استخدام مصطلح التعارف وعدته معترفاً به ويمثل وجهة النظر الإسلامية تجاه أنماط التعامل مع الآخر الحضاري، وتستفهم عن إمكانية استعمال المصطلحات المنتمية للدائرة أو المنظومة الفكرية الإسلامية كأدوات بحث أو كموضوع للبحث فتقول: «لماذا لا نقول إن مفهومنا من الدائرة الإسلامية عن نمط العلاقة بين الحضارات هو (تعارف الحضارات)؟ وأنا هنا أستخدم ذلك المصطلح الذي قدمه بعض الأساتذة المفكرين مثل الأستاذ زكي الميلاد،فإن استخدام (تعارف الحضارات) وليس حوارها أو صراعها يمثل استجابة إيجابية وليس مجرد رد فعل لما أثارته أطروحات **صراع الحضارات**، تلك الأطروحات التي جاءت من خارج الدائرة الإسلامية تعبيراً عن الاهتمامات الفكرية والعملية في الغرب، في حين أن الرؤية الإسلامية على مستوى المعرفة والفكر أسبق إلى تقديم طرح آخر»(20)

---

(19) الميلاد، زكي: **المقدمة** من الكتاب **تعارف الحضارات**، زكي الميلاد وآخرون: تعارف الحضارات، ص10.

(20) مقتطف من ورقة بحث حوار الحضارات في ضوء العلاقات الدولية الراهنة والمقدمة لندوة: كيف ندخل سنة حوار الحضارات، عقدت في دمشق، في الفترة=

واعتبرت مصطفى أن التعارف الحضاري هو حوار الحياة والواقع بمعنى أن التعارف والتفاعل المباشر والعمل معاً وسويةً والانتقال من المستوى النظري إلى العملي والتطبيقي. وذلك لأن الجهل المطلوب علاجه ليس بسبب المعرفة المكتوبة وإنما بسبب افتقاد التعارف والتفاعل المباشر بين الشعوب والحضارات[21]، ويمثل الآخر لحمة في صميم الوجود. والعلاقة معه من أهم أسس الوجود. وأن التعارف في الآية لا يعني نسقاً من المجاملات أو معادلة طارئة من التواصل، بل هو التلاحم البشري، الذي يتم من خلاله تبادل التجربة البشرية، وتعميقها، وتعميق المغزى الإنساني من وجودنا[22].

ويمكن أن نستفيد من فكرة التعارف من جانبين آخرين هما :«أن التعارف. .. أولاً يساعدنا في فهم ذواتنا أكثر فأكثر، لأن معرفة الآخر تلفت نظرنا إلى ما عندنا وإلى ما ليس عندنا، وهذا يعرفنا بدوره على عناصر قوتنا وعلى عناصر ضعفنا، وبالتالي يساعد في الاستفادة من الجانب الثاني وهو معرفة ما لدى الآخر، من قوة وضعف. ومن دون هذا التعارف يتعذر علينا الانتقال إلى المراحل الأخرى في العلاقات بين الحضارات، وبسبب التعارف لا يبقى الآخر مجهولاً، وبالتالي عدواً وعنصراً مسبباً للخوف، فنحن نخشى الآخر ما دمنا نجهله، فإذا ما عرفناه لم يعد كذلك، وإذا تحررنا من عقدة الخوف من الآخر أمكننا تقبل وجوده، بل قبول التعايش معه»[23].

ومن أهم أسس التعايش السلمي الإنساني هو التعارف؛ فالتعارف هو

=ما بين 22 23 تشرين الثاني/ نوفمبر 2000م، نقلها زكي الميلاد في كتاب **تعارف الحضارات**، ص181-182.

(21) محمود مصطفى، نادية: **إشكاليات الاقتراب من مفهوم حوار الحضارات، أمتي في العالم -حولية قضايا العالم الإسلامي**، العدد الخامس، سنة 2001 -2002، مركز الحضارة للدراسات السياسية، مصر، ص 416.

(22) الشابندر غالب حسن: الآخر في القرآن، سلسلة ثقافة التسامح، مركز دراسات فلسفة الدين - بغداد، 141،2005-142.

(23) عبد الجبار، محمد: **التعارف بين الحضارات**، تعارف الحضارات، زكي الميلاد، ص177-178.

السبيل لكسر الجهل المتبادل وتعميق التآلف الاجتماعي البشري، والاختلاف الذي بين بني البشر لا يمكن أن تكون غايته الاستعلاء أو الانزواء، بل هو من أجل التعارف وكسر حواجز الجهل والوصول إلى تعميق وتجذير أواصر الوئام والشراكة، وعلينا النظر إلى أن الاختلاف والتباين في وجهات النظر وتعدد الاجتهادات ليست أسباباً للجفاء والتباعد والإلغاء والإقصاء أو النبذ والعنف، بل علينا أن نجعل ذلك كله يصب في الدعم والدعوة لمشروع التعارف والفهم المتبادل[24].

ومما سبق، فإن التعارف يحمل دلالة الإشارة إلى «المعرفة المتبادلة، وهو الاعتراف المتبادل بالحق في الاختلاف، وهذا الحق لا يمكن أن ينبني إلا على المعرفة والتعارف، وأن نعيش عصرنا وعالمنا ولا خشية على الهوية والانتماء من الانفتاح، لأن الهوية المنفتحة والمتجددة هي الباقية ولا واصلَ بين الثوابت والمتغيرات غير منهج التعارف»[25].

وفي مناقشة قضية الاختلاف والتنوع العقائدي والإنساني عموماً، علينا أن نلتفت إلى أن قضية الاختلاف لا تحمل في طياتها بالضرورة فكرة الصراع، «وإنما يمكن استثمارها لتحقيق التكامل الذي هو ضرورة وظاهرة طبيعية مشهودة، لذلك لابد من تشجيع **التعارف** وتعبيد طرق التواصل لتحجيم هوة الاختلاف. قال تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[26]. ومعلوم أن الكثير من أسباب الصراع هي بسبب الجهل المتبادل بين أطراف الصراع، أو جهل أحد الأطراف بالآخر»[27].

---

(24) محمد محفوظ وآخرون: التسامح وجذور اللاتسامح، مركز دراسات فلسفة الدين - بغداد، 2005،ص199-200.)

(25) السيد، رضوان: التعدد والتسامح والاعتراف - نظرة في الثوابت والفهم والتجربة التأريخية، مجلة **التسامح**، تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في سلطنة عمان، العدد 12، 2004، ص 20.)

(26) **القرآن الكريم**، سورة الحجرات، الآية رقم 13.

(27) دكير، محمد: ما يعد به مشروع الحوار بين الحضارات والثقافات، مجلة **المنهاج**، العدد 21، 2001، مركز الغدير للدراسات، بيروت لبنان، ص 334.

ولكل ما سبق، فإن مقولة «تعارف الحضارات» جديرة باهتمامنا ومناقشاتنا لإغنائها، وللعمل على ذيوعها وانتشارها؛ فهي مقولة عربية - إسلامية مؤسسة على أصل رئيس لتكوين هويتنا وثقافتنا ورسالتنا الحضارية للعالم. وفيها خطاب إنساني راقٍ لمعالجة إشكاليات إنسانية تتصل بجوهر الوجود البشري في هذا الكون، ومعالجة مفاهيم تتصل بنظرة العرب والمسلمين إلى أنفسهم، وبنظرة الآخرين إليهم... و«أن القارئ للواقع العربي والإسلامي، سيقرّ بوجود من يعمل بجد وعلم لصنع المستقبل (التاريخ) بوعي.. يقرأ الماضي والحاضر والمستقبل، ويستلهم من قيم حضارتنا المتصفة بالشمول والاستمرارية والانفتاح ما يقدره على التعارف»[28].

وإذا تأملنا هذا الاصطلاح «تعارف الحضارات» بطريقة معرفية؛ فبالإمكان أن نكتشف قيمته الدلالية، التي منها:

ـ «الخروج من الإشكالية الثنائية التي كرست الطابع الجدلي والاحتجاجي بين مقولتي حوار الحضارات وصدام الحضارات، الإشكالية التي قد تضيق عمليات الفهم وتورث السجال.

ـ تجاوز إشكالية الجمود والتوقف، أو الاقتصار على تلك المقولتين فحسب، إلى نوع من التجدد والكشف من خلال مقولة جديدة ومختلفة.

ـ إن مفهوم تعارف الحضارات هو أوسع وأشمل وأعمق من مفهوم حوار الحضارات، وهو ينطلق من أرضية تكوين المعرفة والتأسيس عليها. فالتعارف هو الذي يحدد شكل العلاقات وحدودها ومستوياتها وآفاق تطوّرها.

ـ إن المشكلة بين الحضارات ليس في عدم الحوار في ما بينها، وإنما في عدم التعارف، والانقطاع عن تكوين هذه المعرفة، وسيادة الجهل أو الفهم المنقوص، أو الصورة النمطية والسطحية في المعرفة، لذلك فإن كل حضارة

---

(28) فاروق إسليم، تعارف الحضارات، **تعارف الحضارات**، الميلاد وآخرون، ص 174-175، واصل البحث لفاروق إسليم يعود إلى مقالتين نشرتا في صحيفة **البعث** السورية، في 24 كانون الأول/ ديسمبر 1999م، و7 كانون الثاني/ يناير 2000م.

غالباً ما تصور مشكلاتها مع الحضارات الأخرى على أساس عدم المعرفة السليمة أو الصحيحة بها.

ـ من الغايات الأساسية لحوار الحضارات الوصول إلى التعارف، أو إلى قدر معقول منه، أو تصحيح الصورة وإزالة عدم الثقة.. إلى غير ذلك من معانٍ ودلالات تكشف أن التعارف يمثل قيمة أكبر من الحوار»[29].

أ ـ التعارف(Acquaintance) والحوار (Dialogue):(التداخل والتغاير في المفاهيم)

أرى أن التعارف ليس غاية الحوار فحسب، بل هو وسيلته وأداته حيث به يتم الحوار وهو هدف الحوار، وذلك لأن التعارف هو المنهج وليس مفهوماً صرفاً جامداً، كما ويمكن التمييز بين التعارف والحوار من خلال نقاط التالية:

(1) دلالة (التعارف) على عمق ارتباط الصلات الإنسانية وتأسيسها على أساس المعرفة بالآخر وذلك أدق من دلالة (الحوار).

(2) (الحوار) لا يستلزم بالضرورة التعارف، في حين التعارف يفيد حصول (الحوار) وجدواه الفعلية.

(3) (الحوار) باب و(التعارف) أداته؛ فالتعارف هو أحد أدوات المنهج الحواري ووسائله مع كون التعارف من الجهة الأخرى منهجاً مستقلاً يقود عملية نظرية فكرية تنشئ وتؤسس لشكل العلاقة المفترضة بين الحضارات.

(4) (الحوار) لا يلزم عنه المصير إلى غايات أعمق في العلاقات الإنسانية، إذ قد لا يتجاوز المستويات السطحية في تلك العلاقات، وكونه ينم عن الارتجال والعفوية في التعامل، في حين أن (التعارف) منفتح على جل أو كل مستويات العلاقات الإنسانية، وهو منهج وعي ومعرفة بالآخر

(29) الميلاد، زكي: **نحن والعالم**، ص 64.

وهو منهج قصد وتأسيس، لا يسير بالعفوية.. التي لا تؤدي الغرض منه. وتنتج من التعارف عدة نتائج لعل أهمها: التعاون والتآلف والإرشاد والاسترشاد.

(5) (التعارف) ومقتضياته؛ دعوة للعودة إلى الفطرة البشرية واستجابة لمطلبها الأصيل الذي هو الاعتراف بالآخر ومحاولة التعايش السلمي معه، وهو بذلك هدف نبيل يقتصر على جانب تطلعات التسامح وخير الجميع. و(الحوار) أداة معبرة عن الحق والباطل، وعن تطلعات الفطرة والعقل وحاجات الغرائز وهو بذلك أداة تقبل العمل على الوجهين (السلبي والإيجابي) وممكن أن يحقق كلا الغايتين.

(6) (الحوار) قد ينقضي بانتهاء أسبابه وغاياته، أما (التعارف) فتثبت معه آثار التعرف والتعارف ويؤسس منه شكل العلاقة مع الآخر.

(7) (الحوار) يحمل رغبة ما في الاحتواء أو إقناع الآخر بما لديه والانطلاق من مبدأ التعريف بالذات، أما (التعارف) فيفيد حصول مستلزماته، وإن بقي كل في ساحة قناعاته واختياراته. وينطلق التعارف من مبدأ التعرف على الموضوع (الآخر) وليس الذات.

(8) الانحياز للأخذ بالمصطلح القرآني في ما سمي بـ آية التعارف **﴿لِتَعَارَفُوا﴾**[30].

وأرى أن التعارف يمكن أن يتكون من عدة خطوات أو مراحل منها: معرفة الذات والمعرفة بالآخر «ولكي نتعامل مع أي شيء لابد أن نعرفه»[31]، ثم احترام ما يمتلكه من كينونة حضارية بعد التعرف عليها، ثم الاعتراف بها كموجود آخر بحسب مبدأ التعددية والتسامح وقبول الآخر والتعايش معه، ثم التعامل معه على أساس الاعتراف الذي كوَّن عنه، وهو غاية الحوار لان المطلوب هو رسم صورة علاقاتية تحدد تعامل أي من الطرفين مع الآخر

---

(30) **القرآن الكريم**، سورة الحجرات، الآية رقم 13.

(31) المدرسي، هادي: **لئلا يكون صدام حضارات - الطريق الثالث بين الإسلام والغرب**، ص 99.

(حضارياً)، وهذا لا يقر إلا بالتعارف والاعتراف بالآخر من جهة، ومن جهة أخرى فإن هدف الحوار هو الإيصال إلى هذا المستوى من المعرفة بالآخر والذي به تنتفي العداوات وينهار مبدأ الصراع والصدام. ويقول الميلاد «إن التعارف هو الذي يؤسس لأشكال الحوار ومستوياته ودرجاته، وإلى أشكال ومستويات ودرجات أخرى من العلاقات والتواصلات أيضاً، مثل التعاون والتحالف والتبادل والإنماء والاندماج والتكامل .. إلى غير ذلك من صور وأشكال وأنماط العلاقات، وبقدر ما يتطور التعارف تتطور تلك الصور والأنماط من العلاقات والتواصلات، وهذا يعني أن التعارف يسبق الحوار ويؤسس له أرضياته ومناخاته، ويشكل له بواعثه وحوافزه، ويطور له صوره وأنماطه، ويرتقي بدرجاته ومستوياته، لهذا فإن التعارف هو القاعدة وليس الحوار»[32].

ب ـ مبررات التنظير لتعارف الحضارات

هنالك مجموعة من المسوغات النظرية والواقعية تدعونا للتشبث بمشروع التعارف، من أهم مبررات التنظير لتعارف الحضارات وأبرزها[33]:

(1) ما يمثله مبدأ التعارف بين الحضارات من كونه مبدأً استراتيجياً ومنظراً للعلاقات في الإسلام، ورد ذكره في القرآن الكريم واضحاً وبدلالة قطعية.

(2) الحاجة إلى صياغة بديل إسلامي عن نظريات الصراع والصدام بين الحضارات التي طغت على الخطاب السياسي والفكري والفلسفي والإعلامي وحتى الشعبي، ولا سيما في الظروف الحالية التي يمر بها العالم. وتعارف الحضارات هو الصياغة البديلة التي حاولت تصحيح الرؤية وحل بعض المشاكل في العلاقة مع الغير.

(3) ما أشار إليه بعضهم* من ذيوع صيت وشهرة وازدهار فكرة اعتماد

---

(32) زكي الميلاد وآخرون: **تعارف الحضارات**، ص 213.

(33) مراح، محمد: **نحو رؤية إسلامية لتعارف الحضارات** زكي الميلاد وآخرون: **تعارف الحضارات**، ص 78-80.

* هانتنغتون، غارودي وغيرهما.

الحضارة كوحدة للبحث، وتصاعدها في العلاقات العالمية والدولية، ما لا يصح معه أن تعرض بدائلنا ورؤانا للقضايا منثورة عبر أفكار وسوانح؛ ولاسيما أن الحضارة التي ننتمي إليها ونعبر باسمها ازدهرت فيها الصيغ المذهبية والتنظير الفكري الجامع المتماسك.

(4) وجوب الإسهام في تقديم رؤية في العلاقات الحضارية ترقى إلى مستوى التحديات التي توجه ضد الجماعات البشرية وتهدد هويتها في ظل العولمة وفرض النموذج الواحد.

(5) لقد جاءت أحداث 11 أيلول/ سبتمبر في الولايات المتحدة الأمريكية لتضعنا نحن المسلمين والحضارة الإسلامية في قلب الحدث العالمي في جميع تجلياته، فأصبح - مثلاً - التعرف على الإسلام بمثابة ندوة أمريكية كبرى عن الإسلام، وتمثل ذلك أيضاً في الندوات الأكاديمية والمناقشات المتلفزة والإذاعية والكثير من المقالات في الصحف، فينبغي علينا استغلال هذا الجو العالمي وهذه المأساة لبناء علاقة جديدة مع الآخر لا تنطلق من عداء تاريخي، وإنما تتبنى تعاوناً جدياً يعتمد على الاحترام المتبادل، ولا بد لتحقيق هذا الهدف من ضبط مفاهيمنا وتصوراتنا ولاسيما في طرح نظرية في قبول الغير والتعرف إليه وهي نظرية «تعارف الحضارات»، والحديث عن الإسلام وحضارته والمسلمين في العالم أصبح جده جداً وهزله جداً.

3 ـ نظرية تعارف الحضارات (عرض الأطروحة وأهم مرتكزاتها)

يقول الميلاد: «إذا اعتبرنا صدام الحضارات بوصفها نظرية تفسيرية، وحوار الحضارات بوصفها نظرية نقدية أو علاجية، فإن تعارف الحضارات هي نظرية تأسيسية بمعنى أن القاعدة فيها هي التأسيس وليس الإخبار، فقد جاءت لإنشاء شكل العلاقات المفترض بين الناس كافة حينما انقسموا إلى شعوب وقبائل كما نصت الآية الكريمة التي أطلق عليها آية التعارف»[34].

---

(34) الميلاد، زكي: **الإسلام والمدنية**، ص 117.

أ ـ آية التعارف

قال تعالى :﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[35].

يبحث «الميلاد» في تحليل وتفسير آية التعارف، وبشكل مفصل يدعو إلى التوصل إلى مضامين عدة مهمة في تشكيل مفهوم التعارف بين الأمم والحضارات، كما إن هذه الآية جاءت لكي تبرز مفهوم التعارف وتؤكد عليه في مجال العلاقة بين الأمم والحضارات. واختيار الآية لهذا المفهوم إنما يلفت إلى فاعلية هذا المفهوم وأساسيته في الحقل الذي تحدثت عنه. ويناقش «الميلاد» استخدام القرآن للفظة ﴿**لِتَعَارَفُوا**﴾ بالتحديد ولَم لَمْ تكن فرضاً (ليتعارفوا، أو ليتوحدوا، أو ليتحاوروا، ولا ليتفرقوا، أو يتصادموا)، فمن بين كل هذه المفاهيم يأتي اختيار مفهوم ﴿**لِتَعَارَفُوا**﴾ لخصوصية جوهرية في هذا المفهوم، ولارتباطه بمقاصد هي من صلب المورد الذي جاءت الآية في سياق الحديث عنه. علماً أن القرآن الكريم -في كل آياته - لم يتحدث عن الشعوب والقبائل إلا في هذه الآية[36].

ولذلك يجب تحليل النص الديني - القرآني الذي يمثل مصدرية النظرية؛ ففي «المصطلح القرآني القاضي بضرورة التعارف بين الشعوب والقبائل، ومن ثم بين الحضارات والثقافات، والذي يهدف إلى غايات أنبل، ومقاصد أوسع، ذلك أنه إن لم يكن هناك تعارف، فلن يكون هناك حوار ولا تفاهم؛ فالتعارف ينجم عنه دوماً حوار هادئ وتعاون دائم، أما الحوار الذي يباشر بشكل مفاجئ فلا يعني بالضرورة حصول تعارف بين الأطراف؛ فكم من لقاءات حوارية أجريت على المستوى السياسي أو الديني، لكنها باءت بالفشل؛ لأن جميع أطرافها الذين أخذوا مكانهم حول مائدة الحوار لم ينسجوا أواصر التعارف والتواصل من قبل، فلبث كل طرف جاهلاً للطرف الآخر، إن للتعارف دوراً كبيراً في الحيلولة من دون وقوع النزاع أو الصدام بين

---

(35) **القرآن الكريم**، سورة الحجرات، الآية رقم 13.

(36) الميلاد، زكي: **المسألة الحضارية**، ص 70.

الحضارات، وهو يكفل نسبة كبيرة من نجاح لقاءات التفاهم والنقاش والتواصل، لأنه يرمي إلى تأصيل مفهوم الأسرة الإنسانية الواحدة ذات الأصل الإنساني الواحد»[37].

ولمعرفة الأبعاد الحضارية والنظرة العلاقاتية التي يؤسس لها القرآن، يبحث «الميلاد» في مكونات هذه الآية من مفردات وجمل، وبأسلوبين الأول تجزيئي والآخر تركيبي :

(1) الدراسة التجزيئية لآية التعارف

يفكك الميلاد نص الآية الرقم 13 من سورة الحجرات، ويجعلها على عدة فقرات، يعمد إلى دراسة كل منها على حدة، محاولاً إيجاد المعنى والمراد والمطلوب منها وما يمكن تحصيله من أفكار ورؤى تسهم في دعم نظرية التعارف ويبدأها بقوله تعالى:

- ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**﴾ النداء موجه إلى الناس كافة، والناس هو المصطلح الذي استخدمه القرآن الكريم في التعبير عن اسم الجنس الإنساني، وهو المصطلح الذي لا يقبل التجزئة والثنائية والتقابل، كحال المصطلحات والمفاهيم المتداولة في الفكر السياسي والنظم الاجتماعية كالأمة والشعب والمجتمع والجماهير وغيرها؛ فالأمّة مصطلح يطلق على جماعة من الناس ويقبل الجمع فيقال أمة، ويقال أمم. وكذلك الشعب مصطلح يطلق على جماعة من الناس، وجمعه شعوب أو شُعب، وهكذا مصطلح المجتمع، أما الجماهير فمصطلح يقابله مصطلح النخبة.

لكن حينما يقول «الناس» فإنه يطلق على الناس كافة، ولا يقبل التجزئة إلا إذا أدخلنا إليه الإضافة، كأن نقول جماعة من الناس، وهذا من بلاغة القرآن الكريم، الذي هو خطاب إلهي إلى الناس كافة، في كل زمان ومكان

---

(37) عزوزي، حسن: **مناجل تكريس مفهوم تعارف الحضارات**، **تعارف الحضارات**، الميلاد وآخرون، ص196.

لأنه الكتاب الذي فيه ﴿**هدى ورحمة**﴾ للعالمين[38].

وهنا التفاتة قيِّمة «للميلاد» حول مفهوم الناس وتمييزه ومبررات اختياره قرآنياً حيث إنه يمثل العمومية والشمولية نسبة إلى المفاهيم السياسية والاجتماعية الأخرى المذكورة آنفاً.

- ﴿**إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى**﴾؛ ويستفاد من هذه الجملة لنفي التفاخر بالأنساب وإلغاء مطلق التفاضل بالطبقات كالأبيض والأسود والعرب والعجم والغني والفقير والمولى والعبد والرجل والمرأة، والمعنى: يا أيها الناس إنا خلقناكم من رجل وامرأة فكل واحد منكم إنسان مولود من إنسانين لا تفترقون من هذه الجهة؛ فالأصل النوعي والجنسي واحد لكم وبلا فرق.

- ﴿**وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ**﴾ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾؛ إن الشعوب، وهي جمع شعب، الجماعة الكبيرة من الناس والذي يصدق عليه ما هو متعارف عليه اليوم في تقسيم الأمم والمجتمعات إلى شعوب. وقبائل جمع قبيلة وهي أصغر من الشعب. والاختلاف الحاصل بالشعوب والقبائل. وهو اختلاف راجع إلى الجعل الإلهي، ليس لكرامة وفضيلة، وإنما لأن تتعارفوا فيتم بذلك اجتماعكم.

-﴿**لِتَعَارَفُوا**﴾؛ يرى الميلاد «أن الشعوب والقبائل مهما تعددت وتشعبت على امتداد مساحات الأرض المترامية الأطراف، إلا أنها مطالبة بالتعارف، كمبدأ في العلاقات المحلية والدولية، الداخلية والخارجية، كما إن هذا المبدأ يفيد في نفي النزاع والصراع والسيطرة والهيمنة بين الشعوب والقبائل»[39].

﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾؛ ويرى الميلاد - ونحن نتفق معه -أن القرآن الكريم لا ينفي مبدأ التفاضل بين الناس وبين الشعوب والقبائل، وإنما ينفي القيم التي كان الناس آنذاك يتفاضلون على أساسها، كقيم القوم والقبيلة والعشيرة والعرق. وهذه الآية جاءت نقداً ونفياً لمثل هذه القيم، وتدعو الناس

---

(38) المصدر نفسه، ص70-71.

(39) المصدر نفسه.

إلى التفاضل بالتقوى، والتأسيس للتفضيل بين أفراد الجنس البشري لا يكون إلا لقوة أو سلطة خارجة عن هذا التصنيف، أي ليست بشرية وهي القوة الإلهية والحكمة الإلهية، التي جعلت أساس التفضيل هو التقوى والتي هي أساس الاعتدال.

﴿**إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾؛ فرّق العلماء بين لفظي الخبير والعليم، فالخبير يفيد معنى العليم، ولكن العلم إذا كان للخفايا الباطنة سمي بـ خبرة، وسمي صاحبه خبيراً، فاللّه سبحانه وتعالى **عليم** حينما خلق الناس من ذكر وأنثى وما خلق لهم في هذه الحياة؛ و**خبير** حينما جعلهم شعوباً وقبائل في كل ما قدّر لهم[40].

بعد هذا التحليل التجزيئي للآية، يبحث الميلاد الآية من الناحية التركيبية على شكل مستخلصات عامة تشكل لنا مرتكزات أساسية لتعارف الحضارات.

(2) الدراسة التركيبية*: مرتكزات نظرية تعارف الحضارات

يرى الميلاد أن الآية تدل على عدة أسس وتشمل عدة خطابات يمكن الإفادة منها في التنظير للمنهج التعارفي «تعارف الحضارات» ومنها:

(أ) شمولية الخطاب وعدم التمييز؛ إذ لم يفضل الله أمّة على أمّة أخرى بسبب القوم أو العرق أو اللغة أو اللسان أو غيره، وعموميته من جانب الزمان والمكان، إذ إن هذا الخطاب لم يأتِ للناس في زمن آخر، ولا لمكان من دون مكان آخر.

---

(40) المصدر نفسه، ص72- 74.

* ما يقصد بـ **الدراسة التركيبية**، هو أن دراسة النص تكون على شكل قراءة متكاملة ومركبة لكل أجزائه من دون النظر إلى جزء دون آخر وفهم الصورة المتكاملة من تركيب تلك لأجزاء على شكل أسس عامة لهذا النص؛ وفكرة شمولية تعطي المعنى المطلوب منه على خلاف قراءة النص بـ**صورة تجزيئية**، والتي تأخذ على عاتقها قراءة أجزاء النص وفهم معنى كل منها على حدة ومن دون فهم الترابط والمنهج والأسلوب والغاية من النص متكاملاً.

(ب) **وحدة الأصل الإنساني؛** **﴿إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾**، وأن الإنسانية بكل تنوعاتها العرقية والقومية، اللغوية واللسانية، الدينية والمذهبية، وبكل مستوياتها في المعايير الاجتماعية والعلمية والاقتصادية إنما ترجع إلى أصل واحد. والقرآن الكريم لا يريد أن يقدم هذا اكتشافاً، وإنما يريد أن تعي الإنسانية هذه الحقيقة وتحكمها كمبدأ في نظرة كل إنسان إلى إنسان آخر، ونظرة كل أمة إلى أمة أخرى.

(ج) **الأسرة الإنسانية الواحدة مع اختلافها؛** إن القرآن الكريم يريد للناس أن ينظروا إلى أنفسهم على أنهم أسرة إنسانية واحدة على هذه الأرض، مهما اختلفوا في اللون واللسان، ومهما تباعدوا في الأوطان، مع كل ما بينهم من فوارق واختلافات، إلا أنه ينبغي أن يتعاملوا في ما بينهم بمنطق الأسرة الواحدة التي ترجع في أصلها الإنساني إلى **﴿إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾**، وأن يكون هذا سعيهم نحو بناء العالم على أساس الأسرة الواحدة. هذا المنطق القرآني الرفيع لا يصح النظر إليه على أنه مثالية أو سحر بياني، بل هو من **﴿عليم خبير﴾**، لا يعلو على علمه أحد، وهو الخبير الذي يدرك بواطن الأمور.

(د) أن يتعامل العالم على خلفية الأسرة الإنسانية المشتركة أو الواحدة، فهذا يعني إزالة كل الأحقاد والعصبيات والعنصريات والكراهية بين الناس، والظواهر التي تقف وراء كل ما يصيب العالم من نزاعات وصراعات وحروب مدمرة. كما إن هذه الخلفية تمثل أعمق المكونات الروحية والأخلاقية في الروابط بين الأمم والشعوب والحضارات.

(هـ) التنوع والتعدد الإنساني حقيقة موضوعية يؤكدها القرآن الكريم **﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ﴾**، لأن اللّه سبحانه وتعالى بسط الأرض بهذه المساحة الواسعة لينتشر الناس فيها، ويعمروها ويستفيدوا من خيراتها. وقد ارتضى الناس لأنفسهم هذا الانتشار بين ربوع الأرض، بين من يعيش تحت قسوة البرد القارص والمتجمد كالشعوب التي توطنت بين القطبين الشمالي والجنوبي، وبين من يعيش تحت قسوة الحر الشديد، كالشعوب التي توطنت تحت خط الاستواء في أفريقيا. وقد تعددت وتنوعت الثروات بين الشعوب

بحسب إمكانات الأرض وقدراتهم على الاستفادة منها.

(و) إن القرآن الكريم ربط بين وحدة الأصل الإنساني، وبين التنوع الإنساني في هذه الآية، الربط الذي يفهم منه أن وحدة الأصل الإنساني لا تعني إلغاء التنوع بين الناس وأن يعيشوا شعوباً وقبائل، وأن التنوع والانقسام في العيش إلى شعوب وقبائل، لا يعني إلغاء وحدة الأصل الإنساني، أو أن البشرية لا يعنيها هذا الأصل وأنها ترفعت عنه وتجاوزته، أو أنه كان يعبر عن مرحلة تخطتها البشرية حينما تجاوزت عهودها البدائية. ومن بلاغة القرآن الكريم تقديم وحدة الأصل على قاعدة التنوع، لكي يكون التنوع متفرعاً عن الأصل[41].

واعتقد أن للآية جانبين يمكن أن يستفاد منهما في المجال الحضاري، **أحدهما**، حاول إيضاح وحدة العمل الحضاري والنتاج الإنساني وإن كان على أساس أصل الخلق من مصدر واحد، لكنه من الممكن الإفادة من أن هذه الوحدة تجعلنا نميل إلى التعامل على أساس الانتماء إلى الأنا الواحدة وتجردنا من الثنائية الصراعية أو عموم التعامل مع الآخر. و**ثانيهما**، تفيد أن التنوع الإنساني وتعدده الحاصل أيضاً بالجعل والخلق الإلهي، والذي يعد حتمياً على الإنسان، فإنه يفيد أن نعيش مع تعددنا فكرة الوحدة؛ فباجتماع التعدد تتكون الوحدة والوحدة تحتوي التعدد الإنساني وتؤدي غرض أن التعدد لا يعني التفرق لان منشأه الوحدة، وهذه استفادات يمكن أن تقرب من وجهات النظر بين الأنا والآخر على المستوى الحضاري.

(ز) استخدم القرآن الكريم كلمة «الخلق» في هذه الآية حينما قال:﴿**إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى**﴾، وكلمة «الجعل» حينما قال:﴿**وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ**﴾، فما هو الفرق بين لفظ «الخلق» ولفظ «الجعل» ؟ كل الآيات التي ورد فيها لفظ «الخلق» في القرآن الكريم، جاء اللفظ في سياق الخلق الذي لا يستطيعه إلا اللّه سبحانه وتعالى، كخلق الإنسان والكون والحياة

(41) الميلاد، زكي، **المسالة الحضارية**، ص 75.

والسماوات والأرض والحيوان والنبات.. وكل ما صدق عليه الخلق في القرآن الكريم فهو من عند اللّه، لأن الخلق يعني الإيجاد ابتداءً ومن العدم، من غير صورة سابقة أو نسخ أو مثال، وهذا لا يجري إلا في حق اللّه جلت قدرته. والإنسان لا يعد خالقاً في كل ما اكتشف واخترع، وكل الذي حققه من تقدم وإنجاز لا يصدق عليه مفهوم الخلق. فالإنسان هو مجرد ناسخ من الطبيعة ومكتشف لقوانينها الرياضية والفيزيائية والأحيائية.

أما «الجعل»، فهو التقدير الذي يأتي في تحديد الوظائف والخصوصيات وما يترتب عليه الاقتضاء، فاللّه سبحانه وتعالى خلق الذكر والأنثى بالعلم لأنه **العليم**، وجعل الناس يعيشون شعوباً وقبائل، أي قدّر لهم لأنه **الخبير**، وحينما جعل اللّه الناس يعيشون شعوباً وقبائل، فإن هذا تقديراً منه جلت قدرته، التقدير الذي فيه المصلحة، ولهذا فإن البشر لا يمكن أن يعيشوا إلا شعوباً وقبائل، (وهذا مبدأ قرآني يؤسس لفكرة «إن الإنسان بطبعه اجتماعي»)*.

(ح) إن القرآن الكريم يؤسس مبدأ التعارف بين الأمم والشعوب والحضارات «ليتعارفوا»؛ فالتنوع بين الناس إلى شعوب وقبائل، وامتدادهم وتكاثرهم على ربوع الأرض، لا يعني أن يتفرقوا وتتقطع أواصرهم، ويعيش كل شعب في عزلة عن الشعوب الأخرى، كما لا يعني هذا التنوع أن يتصادموا ويتنازعوا، من أجل الثروة والقوة والسيادة، وإنما [**ليتعارفوا**][42].

(ط) لا يكفي أن يدرك الناس في أممهم وحضاراتهم، أنهم من أصل إنساني واحد وينتهي كل شيء، بل بحاجة إلى أن يتعارفوا، وأن يصل مستوى هذا التعارف كالذي يتحقق بين الأسرة ذات الأصل الواحد، وأن يصل التعارف بالعالم إلى مستوى يعيشوا فيه كما لو أنهم أسرة إنسانية ذات أصل إنساني واحد. وهذا يعني أن ما يريده القرآن الكريم للإنسانية هو مستوى رفيع وعالٍ جداً من العلاقات.

---

* الرأي للباحث.

(42) الميلاد، زكي، المسالة الحضارية، ص 75 - 76.

(ي) من غير أن يكون هناك تعارف بين الأمم والحضارات، لن يكون هناك حوار ولا تعاون، وأن التعارف هو الذي يحدد مستويات الحوار والتعاون، ويثريهما، ويثمرهما. كما إن التعارف له دوره في منع النزاع والصدام بين الأمم والحضارات. لهذا فإن اختيار مفهوم التعارف - والذي نستخرج منه مفهوم تعارف الحضارات - هو أكثر دقة، وأحسن تفضيلاً في السياق الذي تحدثت عنه الآية.[43]

(ك) إن القرآن الكريم حينما يطرح التعارف، فإن هذا المفهوم يستتبع معه مفاهيم الانفتاح والتواصل والسلام ومد الجسور، وعدم الانغلاق والقطيعة والكراهية، التي هي شرائط التعارف من جهة تحققه. ومن التعارف هناك ما يترتب عليه، من جهة المعطيات والمنافع، وهنا تبرز مفاهيم التعاون والترابط والتبادل. كل هذه المفاهيم تؤكد حيوية هذا المفهوم وفاعليته.

(ل) إن المقصود من التعارف هنا، هو المعنى الأعم والأشمل لهذا المفهوم الذي يتجاوز الحدود السطحية المتعارف عليها، إلى ما هو أعمق من ذلك، والذي من أبعاده أن تتعرف كل أمّة وكل حضارة على إمكانات وقدرات وثروات الأمم والحضارات الأخرى، فضلاً على معرفة الظروف والمشاكل والتحديات، وكل ما يتوقف ويترتب عليه التعارف.

(م) لا يلغي القرآن الكريم مبدأ التفاضل بين الناس، وبين الشعوب والقبائل، لأنه يعبّر عن واقع موضوعي لا يتعارض مع مبدأ العدل والمساواة. والذي حاول القرآن أن يغيّره هو مقاييس التفاضل، من مقاييس التفاخر بالأنساب وبالقوم والقبيلة والعشيرة والعرق، إلى مقاييس عليا تربط الأمم والحضارات بالقيم العليا وبأعلى هذه القيم وهو الإيمان باللّه سبحانه وتعالى [44].

(ن) إن الأحقاد والكراهية والبغضاء تحصل بين الناس وبين الأمم والشعوب حينما تتمحور معايير التفاضل في إطار عالم الإنسان، وتتحول

---

(43) المصدر نفسه.

(44) المصدر نفسه، ص 77.

إلى عصبيات تتعالى فيها معايير القوم والعرق واللغة والقبيلة والعشيرة، وهكذا حينما يتحول الدين والمذهب، وحتى العلم والثقافة إلى عصبيات وتطرف. وتتعالى الأمم والشعوب عن هذه الأحقاد حينما تخرج معايير التفاضل من عالم الإنسان إلى عالم اللّه سبحانه وتعالى خالق الإنسان، فالأكرمية هي عند اللّه وليس عند الإنسان:﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾.

(س) شخصية كل أمة في كرامتها، لأن الكرامة هي التعبير الحقيقي لوجدان كل أمة وهي التي تشكل للأمم نظرتها إلى ذاتها وإلى مكانتها وسيادتها وعزتها. وأكثر ما تصاب به الأمم هو حين تتأثر كرامتها، حتى قيل إن ألمانيا دخلت الحرب العالمية الثانية انتقاماً من الإذلال الذي فرضته عليها دول الحلفاء بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى؛ فالأمّة لها كرامة، كما الإنسان الفرد له كرامة.[45]

(ع) العلاقات والروابط بين الأمم والشعوب والحضارات في المنظور الإسلامي، ليست مجرد مصالح ومنافع، وليست محكومة بالسياسة والاقتصاد فحسب، وإنما هناك القيم والآداب والأخلاق:﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾، والتقوى هي التي تجمع القيم والآداب والأخلاق وترمز إلى منظومة القيم والأخلاق.

(ف) إن العالم لا يستطيع أن يعالج أزماته ومشاكله بالسياسة فحسب، أو بالاقتصاد والعلم فقط، فالسياسة تحولت إلى أداة لجلب المصالح، والاقتصاد محكوم بالمنافع وبقاعدة الربح والخسارة، والعلم انفصل عن القيم. والذي يضيفه الإسلام في هذا المجال، مجال العلاقات الدولية، هو إدخال منظومة القيم والأخلاق «التقوى»؛ فقد بات من المؤكد أن العالم بأمسّ الحاجة إلى منظومة من القيم والأخلاق، لأن من أشد ما يفتقده العالم المعاصر ويتضرر كثيراً بافتقاده هو انعدام العامل الروحي والوجداني والأخلاقي في العلاقات الدولية، وبين الأمم والحضارات.

(ص) إن التقوى باعتبارها الإطار الجامع للقيم والآداب والأخلاق ترفع العصبيات بكل أشكالها العرقية والقومية والطبقية، والتي هي من أشد

---

(45) المصدر نفسه.

العوائق سبباً في انقسام الأمم والشعوب وتصادمها، هذا من جهة السلب، أما من جهة الإيجاب، فإن التقوى تعطي دفعة قوية للتعارف، وتوثيقه، والمحافظة عليه، وفي تطويره وتفعيله.

(ق) أن يرتضي الناس والأمم والحضارات ما يختاره اللّه سبحانه وتعالى لهم من سنن وقوانين وآداب وقيم وأخلاق، في سعيهم إلى عمارة الأرض وبناء الحضارة، لأن اللّه هو ﴿العليم الخبير﴾، **وإذا كان الناس يأخذون من صاحب العلم والخبرة من البشر، فاللّه سبحانه وتعالى هو أعلم العالمين، وهو الذي أعطى الإنسان العقل والاستعداد على اكتساب العلم، وهو الذي يهدي إلى سبيل الصواب**[46].

هذه بعض المستخلصات من هذه الآية الكريمة، التي تكوّن لنا مرتكزات أساسية لتعارف الحضارات، وكيف أن هذه الحقائق والمرتكزات على درجة من الحيوية والأهمية التي تعطي لهذه الرؤية «تعارف الحضارات»، القدرة على التشكل من خلال بنية من المعارف على قدر من التماسك[47].

والملاحظ بصورة عامة أن كل حضارة تشتكي من الحضارات الأخرى أنها لا تُعرف بالشكل الذي ينبغي، أو لا تُعرف إلا من خلال بعض الظواهر العابرة والسطحية والمحدودة، الأمر الذي يؤكد أن هناك جهلاً متبادلاً بين الحضارات، هذا الجهل هو من أشد العوائق تأثيراً في عرقلة حوار الحضارات، ويكون سبباً في أي تصادم يحصل بين الحضارات، ورفع هذا الجهل بين الحضارات، هو أحد أبعاد مقولة تعارف الحضارات، والذي ينبغي أن يشترك الجميع في رفعه، لمعرفة الآخر [48].

والحقيقة أن فكرة تعارف الحضارات «بإمكانها أن تصبح مدخلاً في تطوير رؤيتنا إلى الغرب، وفي تصحيح العلاقة بين عالم الإسلام وعالم

---

(46) المصدر نفسه، ص 78.

(47) المصدر نفسه، ص 75-78. **تلخيص الفكرة والنصوص.**

(48) المصدر نفسه، ص 75.

الغرب. وفي البعد **الأول،** تقوم فكرة تعارف الحضارات على بناء المعرفة بالغرب، ونحن بأمس الحاجة لأن ننهض بحركة واسعة وشاملة ومعمقة للتعرف على الغرب، ولاسيما في أبعاده الفكرية والفلسفية والعلمية، وهي الأبعاد التي تمثل جوهر الحضارة الغربية، وفي البعد **الثاني،** هناك مشكلة متبادلة بين العالمين من حيث تكوين الرؤية والصورة، بين عالم الإسلام الذي لا يقبل أن يصور بأنه عالم يسوده الجهل والتخلف واضطهاد المرأة ومعاداة العلم وعدم التناغم مع الديمقراطية، وأنه لا يتقبل الحداثة، ولا يعترف بالآخر، كما هي الصورة المتشكلة عند الغرب؛ وبين عالم الغرب الذي لا يقبل أن يصور بأنه عالم يسوده تفشي الجريمة والانحلال الأخلاقي وتفكك العائلة، وأنه يعادي الدين ولا يحترم الأخلاق. والخروج من هذا الجهل أو المأزق، أو من هذه الصورة النمطية، يمكن أن يتحقق عن طريق تعارف الحضارات من جديد بين عالم الإسلام وعالم الغرب، وهذا ما يدعو إليه الحكماء في العالمين الإسلامي والغربي»[49] .

ب ـ التعارف كمرحلة وسيطة وانتقالية

يقرر «الميلاد» أن نظرية (تعارف الحضارات) هي أكثر من كونها مرحلة وسيطة أو انتقالية، فهي وسيطة بمعنى أن على أساسها تتحدد مستويات ودرجات واتجاهات العلاقات ونظام التواصلات بين الناس، وبين المجموعات البشرية، وبين الحضارات، وهكذا أنماط وأشكال وصور هذه العلاقات والتواصلات، كما إن التعارف له من الفاعلية ما بإمكانه أن يجنب الحضارات مصير الصدام، لأن الناس - كما قال الإمام علي (ﷺ) أعداء ما جهلوا، وفي هذا المجال نستحضر من التاريخ الإسلامي الوسيط تجربة التحول العظيم الذي حصل عند المغول الذين بدأوا بغزو كان من نتائجه تدمير الحضارة الإسلامية والإطاحة بها، وممارسة أعلى درجات البربرية، وهو السلوك الذي كان يتصف بالقسوة والعنف والتخريب، ولكنهم وبعد زمن من السيطرة والتواجد في المنطقة الإسلامية وبين المسلمين، انتهوا إلى اعتناق

---

(49) الإسلام **والمدنية**، ص 152.

الإسلام. والتعارف هو الذي أحدث هذا المستوى من التحول في ذهنيات المغول؛ فالجهل قادهم إلى الحرب والتدمير، والتعارف قادهم إلى السلم والإيمان، وهناك أيضاً نموذج آخر هو التحول الذي حصل عند الأوروبيين بعد الحروب الصليبية التي قادتهم إلى قناعة جديدة، هي ضرورة التعرف على الحضارة الإسلامية وعلى الشرق عموماً، الذي كان أكثر تقدماً وتحضراً ومدنية من الغرب، والقناعة التي حرضت الغرب على أن ينهض بأكبر وأعظم جهد بحثي في دراسة الإسلام والحضارة والشرق، وهو الجهد الذي عرف بحركة الاستشراق، وكان من المفترض لهذا الجهد أن يقود أوروبا إلى نوع من التفاهم وبناء علاقات جديدة بينها وبين الإسلام والعالم الإسلامي، لكن الذي حصل هو عكس الاتجاه تماماً، لأن المعرفة التي نهض بها الغرب ارتبطت بدوافع وخلفيات ومصالح استعمارية غربية، وهذا يعني أن التعارف لم يكن أخلاقياً، وإنما كان توظيفياً ويخدم مصالح استعمارية[50].

ويعتقد إدريس هاني أن الميلاد كان يهدف من وراء أطروحته **تعارف الحضارات**، أن تستكمل الحضارات (اللاغربية)، أولاً وقبل كل شيء إمكاناتها ومقوماتها الحضارية، حتى تكون مؤهلة لخوض حوار مع الغرب. وهنا تحديداً تأتي محاولة (تعارف الحضارات)، كمرحلة وسيطة وانتقالية ما بين الوضع الراهن وحوار الحضارات. ويرى إدريس هاني أن هذا الطرح بقدر ما يحمل في طياته من مضامين واقعية، فإنه يضع الإشكالية كلها على كاهل الحضارات الأخرى، نعم، لعل وضع الثقافات الأخرى، التي تمثل صوراً باهتة عن حضاراتها، غير مؤهلة لكي تسعى إلى تحقيق حلمها في ظل وضع عالمي تتحكم فيه إرادة رشحت لكبح جماح أي تطور يجري خارج ميدان اللعبة الاحتكارية الغربية، وإن حوار الحضارات، هي أطروحة ترجح مسؤولية الغرب، بما هو رائد التقدم الحضاري على النزول (إنسياً) إلى (الثقافات) الأخرى، في حين أن تعارف الحضارات هو ترجيح لمسؤولية الحضارات الأخرى على مسؤولية الغرب في حقيقة تعثر هذا الحوار[51].

---

(50) الميلاد زكي الميلاد وآخرون: **تعارف الحضارات**، ص 213-214.

(51) هاني، إدريس: بحث الحلقة المفقودة ما قبل تعارف الحضارات، زكي الميلاد=

وأرى أن التعارف هو حلقة وسيطة من جهة، ومن جهة أخرى فهو منهج متكامل لنظرية في العلاقات الحضارية، فمن جهة **الوساطة،** فهو(التعارف) يؤدي إلى نزع الجهل بالآخر ورسم صورة حقيقية مصاحبة للاعتراف به، تقود إلى مرحلة نجاح العلاقة معه والتعايش السلمي (Peaceful Coexistence)، وقبوله على أسس التسامح معه، ومن جهة **المنهج،** فهو نظرية متكاملة، على الأساس الديني الإسلامي القرآني، يسعى إلى تأسيس أسلوب للتعامل مع الآخر اللاإسلامي عموماً، ومن خلال منطلقات الاعتراف به والتعرف عليه وقبول التعايش معه والتعامل السلمي ونبذ الصدامات والصراعات التي من شأنها العنف والدماء والحروب، لكي يسود بذلك الأمن العالمي.

ج ـ أهداف تعارف الحضارات

من أجل دقة التنظير لأطروحة جديدة تقتضي تحديد المنطلقات والأهداف لها ومن حيث إننا بينا أهم مرتكزات النظرية و ماهي المعوقات في سبيل تحقيقها، يجدر بنا الإشارة إلى الأهداف المتوخاة من النظرية (تعارف الحضارات). وضبطاً لمسار التعارف يجب تحديد أهم تلك الأهداف والغايات التي يسعى إلى تحقيقها وفق الرؤية الإسلامية القرآنية:

(1) التقارب والتسامح (Tolerence)

«فالتعارف الإيجابي هو الذي يبذل فيه كل طرف أقصى جهوده للتعرف على ما يقربه من الطرف أو الأطراف الأخرى التي تشاركه التطلع نفسه، فيبحث القائمون بالتعارف والتحاور في ثقافاتهم وحضاراتهم عما يقرب بينهم من الأشواق والآمال، والانجذاب نحو كل ما هو إنساني معبر عن جوهر الإنسان وفطرته، فمن شأن البحث المخلص عن هذه الأسباب أن تمتد أرض الوفاق بين الحضارات، وتتشبع الإرادات بقابلية التجاوز والتسامح، وقد ضرب الإسلام - عبر تواصل حضارته مع الحضارات الكبرى في العالم - المثل الرائع في تجسيد هذا الهدف النبيل، وبفضل الروح العالية من التسامح، تجاوز

=وآخرون: **تعارف الحضارات**، ص 71.

عتبة التقارب إلى احتضان أكثر ما هو مفيد في الثقافات الأخرى، وتمثله بعدئذ بحضارة خالدة أنارت العالم في قرون ظلامه»[52].

(2) التعايش السلمي (Peaceful Coexistence)

من شأن الهدف السابق توفير الأجواء المناسبة لتعايش الحضارات في سلام وأمن. والحقيقة أن هذا الهدف يتطلب تعميقاً بالغاً لفلسفة وأفكار السلام، وتفكيراً جاداً للخروج بالمسألة من حسابات ومصالح السياسيين والعسكريين، وأصحاب المنفعة من صناعة التسليح، وخدام نظريات الحرب وتفجير بؤر التوتر في العالم، إلى ساحات التوعية العامة واصطناع جماعات الضغط من دعاة السلام العالمي العادل في كل حضارة بل في المجتمع كافة، فتسود المجتمع الدولي ثقافة حضارية تمنح فكرة السلام صورتها الحقيقية، بأن تضمن وضعها في ذمة المبادئ، لا المصالح وحسابات مروجي الدمار ليثروا ويطغوا [53] «وأن الاعتراف بالآخر هو شرط قاعدة التعايش والتفاهم السلمي، فالذي لا تعترف به، هو أيضاً ليس مستعداً أن يعترف بك، والمحصلة هو الخصام والتصادم والتنابذ[54].

(3) فك عقدة الهيمنة وتجاوز عقيدة الصراع

إذ إنه «من العناصر المكينة التي بنيت عليها الحضارة الغربية الحديثة، الصراع والهيمنة، فأنتجا كل أشكال الإذلال والاستعباد والحركة الاستعمارية، وترسنة الأرض والبحر والفضاء بالأسلحة المهلكة للحياة والأحياء، والجشع، وخلق أسوأ معادلة في الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية الدولية، معادلة العالم الغني غنىً فاحشاً والعالم الفقير المتخلف»[55]. وما يزال الصراع هو المحرك

---

(52) مراح، محمد: نحو رؤية إسلامية لتعارف الحضارات زكي الميلاد وآخرون: **تعارف الحضارات**، ص 92 -93.

(53) المصدر نفسه، ص93.

(54) الميلاد، زكي: **الفكر الإسلامي - قراءات ومراجعات**، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1999، ص 31.

(55) مراح، محمد: **نحو رؤية إسلامية لتعارف الحضارات**، زكي الميلاد وآخرون: **تعارف الحضارات**، ص 93-94.

الأساس لسياسة الغرب وكبرى اتجاهاته ومؤسساته في العلاقات الدولية والنظرة إلى الآخر، وأفضل نموذج له السياسة الأمريكية القائمة على ضرورة خلق العدو - وإن لم يوجد - لشحذ الوجدان الجماعي المستمر، الذي يسمح للفرد بنعمة الحرية الشخصية والحركة الاقتصادية والرفاه والعدل، والمهدد دائماً بعدو ما يريد أن يقضي على ما يسمى (بنوعية حياتنا) (Our Way Of Life) أو أحياناً (The American Way)، والتهديدات الخارجية ومالها في دعم الهوية القومية الأمريكية وتوجيهها ضد الآخر العدو المفترض، هذا هو الثابت في سياسة الغرب (كما بيناه في بحثنا آنفاً)، وكثير من أسس اتجاهاته الفلسفية والفكرية، يتطلب لتجاوزه - على المستوى الفكري ابتداء - لقاءات ومحاورات مستمرة بين النخب الفكرية لشتى الحضارات والمجتمعات المعاصرة، تراجع فيها الكثير من المفاهيم التي أصبحت من المسلمات في المنظومات الفكرية الغربية، والتخلي عن نزعة الاستئثار بتحديد المفاهيم، كالديمقراطية وحقوق الإنسان والحرية والتطور والتنمية وغيرها[56].

(4) معرفة الآخر على حقيقته وتصحيح الصورة المسبقة عنه

فكثيراً ما رسمت الحضارات صوراً نمطية لغيرها من الحضارات، فلا تنظر إليها إلا من خلال تلك الصور، وتخضع حسابات التعامل معها لمقتضاها، صحيح أن البحوث الجادة المنصفة والحيادية كثيراً - أيضاً - ما تكشف عن حقيقة الصورة الحضارية الصحيحة لحضارة ما، لكن تبقى سلطة تأثير وتوجيه الصور النمطية ومن ثمة تحديد السلوكيات مسبقاً هي المهيمنة.

لذلك فإن «إقبالاً مخلصاً على الدفع بمشروع تعارف الحضارات، سيؤدي خدمة جليلة للإنسانية فيتعرف كل على صورة الآخر كما هي. وهذا التوجه تعليم رباني كريم لنا نحن المسلمين، إذ نحب أن يتعرف علينا الناس ونتعرف على الناس، فلدينا الكثير الذي نحب أن نقوله، وعلى هذا النحو يحمل الأمر بمجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، والالتقاء بيننا وبينهم على كلمة سواء، وقولنا للناس حسناً، وغيرها من التوجيهات الربانية الحكيمة،

---

(56) المصدر نفسه.

ويجدر بنا ملاحظة أن ديننا الذي أذن لنا بهذا الحوار والتعارف والجدل في مسائل الاعتقاد وفي غيرها من القضايا، أولى بمثل هذا التناول والمقاربة، ولاسيما أن مصائر الناس في العاجلة تشترك في قضايا كثيرة تلح أكثر من أي وقت مضى على فك الاشتباك حولها»[57].

كما إنه ومن «النتائج المنتظرة لهذا السلوك الحضاري، أن يدفع إلى الأمام وبشكل إيجابي معالجة عقد الاستعلاء والحقد والتخلف واللاإنسانية؛ فمن مهام وأهداف التعارف الحضاري - إذاً - التي ينبغي أن تكون محل عناية شديدة من جانب النخب المتعارفة والمتحاورة، الارتفاع بمستوى مجتمعات ما بعد الاستعمار المتخلفة إلى مستوى الحضارة؛ والارتفاع بمستوى الرجل المتحضر الملطخ بإثم الاستعمار إلى مستوى الإنسانية»[58]، ويقول المفكر الغربي هارللد موللر :«ينبغي أن نزيد من معرفتنا بثقافات = حضارات أخرى، فالمعرفة حول الإسلام أو الهندوسية أو البوذية تساوي صفراً من ناحية عملية ... فالآخر الذي يعرف المرء عنه شيئاً يصبح أقل غرابة»[59]، ومثل هذا النص ينفعنا في دعم الاستجابة لنظرية التعارف على مستوى الفكر الغربي وقبوله لهكذا مقولات.

(5) تشجيع فكرة الانتفاع المتبادل من خيرات الأرض من خلال فكرة التعاون

فالرؤية الإسلامية لهذا الهدف تنطلق من عقيدة أن الله تعالى لم يخلق الأرض لنتنازع عليها ونسفك الدماء، بل خلقها لنرتفق خيره ونشكره عليه، قال تعالى:﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُور**﴾[60]؛ وقد عبر الفقه الإسلامي المعاصر عن هذه الغاية

---

(57) المصدر نفسه، ص95.

(58) المصدر نفسه.

(59) موللر، هارلد: **تعايش الثقافات - مشروع مضاد لهانتنغتون**، ترجمة إبراهيم أبو هشهش، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 2005، ص 321.

(60) القرآن الكريم، سورة الملك، الآية رقم 15.

السامية الرشيدة وهو يعرض أسس مبادئه وقيمه الإنسانية المقربة من أخيه الإنسان؛ فالتعارف، يجعل كل فريق ينتفع بخير ما عند الفريق الآخر، وتكون خيرات الأرض كلها لابن هذه الأرض وهو الإنسان، فإذا كانت الأرض مختلفة في ما تنتجه، فالإنتاج كله للإنسانية كلها، ولا سبيل لذلك إلا بالتعاون والتعارف الإنساني، وإن مهام النخب المؤمنة بتعارف الحضارات أن تصب جهودها الفكرية والعلمية والإعلامية - وهي مجالات تحركاتها - إلى كشف هذه التزييفات للرأي العام الغربي الواقع تحت طائلة التضليل الإعلامي بخاصة، واستغلال الأحداث التي تصنع الأوقات العالمية كحادثة 11 أيلول/ سبتمبر 2001، لتمرير خطابها، مع جهود أخرى موازية تتيحها مثل هذه الظروف النادرة والحرجة في تاريخ الغرب المعاصر، لضخ دم القيم الإنسانية الحقيقية في جسم العلاقات الدولية وعلاقات الحضارات في ما بينها[61].

(6) احترام الخصوصيات الحضارية

إن الفرق بين حضارة وأخرى هو ما تمتلكه من خصوصيات ومميزات فكرية وانتمائية، وهذه الخصوصيات يجب أن يستهدفها تعارف الحضارات بصورة إيجابية؛ فتحتل في جدول أعمال المتعارفين مكانة متميزة، يعرض كل فريق بدقة وعمق خصائص ومميزات حضارته وفلسفتها في الحياة ورؤيتها للقضايا الكبرى، سواء ما شغل منها الإنسان منذ القدم أو ما تبع تعقيدات الحضارة المعاصرة، كقضايا حقوق الإنسان، والحرية والديمقراطية وحماية البيئة، والسلم العالمي، وقضايا العلاقات الاجتماعية، الأسرة ومشكلاتها، واستغلال الأرض بما يعود على الإنسانية كلها بالمنفعة.. الخ. ويتبين الوزن الثقافي والحضاري لكل ثقافة وحضارة من زاوية إنسانية، مما يمكن لقيمة أساسية في تعارف الحضارات وهي احترام الثقافات المختلفة، والتعامل معها على أساس اعتبارها اجتهاداً إنسانياً لتطوير الإنسان، وتبقى مسألة الأخذ والترك منها محل اختيارات إنسانية - أيضاً - تقديرية تكيفها كل حضارة مع

---

(61) مراح، محمد: **نحو رؤية إسلامية لتعارف الحضارات**؛ زكي الميلاد وآخرون: **تعارف الحضارات**، ص 92-100. تلخيص وقراءة في النصوص.

ما تراه متناسباً مع أوضاعها وقيمها ومرحلتها الحضارية، فتستنفر قواها الإبداعية في هذا الجو المتفاعل حضارياً لتطوير نفسها داخل نسقها الحضاري، وبعيداً عن مضار العزلة والتقوقع، فتخرج الحضارة الإنسانية من الأحادية الحضارية وهيمنة (النموذج الأرقى) و(النمط المتطور الوحيد) للتحضر والتقدم، ويعرف العالم تجربة التعددية الحضارية التي تزدهر فيها قوى الإنسان وقدراته الإبداعية، وتتخاطب الحضارات والثقافات بلغة المنافسة الشريفة، يطوى معها منطق الصراع والصدام والغلبة المبيدة والتبعية الذليلة[62].

د ـ تعارف الحضارات من النظرية إلى التطبيق

في سؤال أين يمكن أن تجد النظرية (تعارف الحضارات) نصيبها من التفعيل العملي والتطبيقي على أرض الواقع وفي صياغة أسس التعامل الحضاري والإنساني، وكيف يمكن لها أن تعالج ما تهدف إليه بفكرة التعارف؟ وما هي أدواتها للاتصال بالواقع الحقيقي للعالم والعلاقات التي تحكمه؟ وكيف يمكن أن نجعل من تعارف الحضارات منهجاً عملياً في فكر وأسلوب ومنطلقات الحضارات وتعاملها مع الآخر؟ لكل ذلك يؤسس من يتبنون هذه الأطروحة إلى تقديم بعض الاقتراحات الانتقال بفكرة (تعارف الحضارات) من الإمكان إلى الفعل، آخذين بعين الاعتبار أننا جميعاً في حاجة إلى عمل دؤوب متواصل يتطلع إلى المستقبل :

(1) التربية والتعليم مطالبان - عالمياً - بأداء دور كبير ومستقبلي في إنشاء أجيال المستقبل متشبعة بروح التعارف والتسامح والتآلف بين الحضارات، ولهذا على النخب المتعارفة والمتحاورة النزول إلى ساحات التربية والتعليم - بمختلف مستوياتها وأنواعها - والاتصال بالمسؤولين عنها لتحسيس الجميع بهذا الطرح الحضاري، ومحاولة إقناعهم بضرورة إدراج برامج ومواد تعرف الأجيال بمختلف القيم الإيجابية والإنجازات المفيدة لدى الحضارات، بعيداً - طبعاً - عن أي بادرة استمالة ودعاية مغرضة لدين ما

(62) المصدر نفسه.

على حساب براءة الأطفال خاصة.

(2) تفعيل المؤسسات الثقافية العالمية والإقليمية لتؤدي دورها في تنشيط وتطوير التعارف بين الحضارات، وهذا من خلال برامجها الثقافية ومنشوراتها وهيئاتها.

(3)إنشاء منتدى فكري عالمي لتعارف الحضارات، مكون من النخب المؤمنة بالتعارف والداعية والممارسة لفعالياته، بعيداً عن تقلبات السياسة وأهوائها ومصالحها الضيقة، ينضم إليه - إلى جانب النخبة - المؤمنون بالمشروع من عامة الناس الذين يلتزمون بالتأييد العالمي له، كالإسهام في تمويل مؤتمرات المنتدى، وإحياء يوم عالمي (لتعارف الحضارات) بأنشطة إيجابية على المستوى العالمي.

(4) يمكن عقد ملتقى دولي للمنتدى الفكري لتعارف الحضارات ويكون دورياً وينتقل من قارة إلى أخرى تعبيراً عن التنوع الحضاري.

(5) إنشاء وتصميم ورفد وتشجيع ودعم إقامة موقع عبر شبكة الإنترنت، يحمل عنواناً يعبر عن تعارف الحضارات وبمختلف لغات العالم، لكي يتواصل عبره أبناء الحضارات المختلفة حول القضايا الكبرى التي تشغل بال الإنسان المعاصر.

(6) تخصيص جوائز عالمية علمية وفكرية وأدبية وفنية وإعلامية، لأفضل الأعمال التي تعبر عن التعارف الحضاري في سبيل دعم الفكرة والمفهوم وترسيخه نظرياً وعملياً.

(7) الإفادة من التجارب السابقة في الميدان كتجربة المعهد الدولي لحوار الحضارات الذي أنشأه روجيه غارودي صاحب الدعوة الشجاعة لحوار الحضارات ومراكز الحوار بين الحضارات وعموم مراكز الدراسات المستقبلية لغرض التأسيس لرؤية مستقبلية تنقل التعارف الحضاري من النظرية إلى التطبيق[63].

---

(63) زكي الميلاد وآخرون: **تعارف الحضارات**، ص 112-114.

(8) وأُضيف، أنه يمكن تشكيل مجموعات أو لجان من المثقفين والعارفين والمختصين بشؤون الأديان والحضارات والدول والأمم والمجتمعات، من خلال تثقيفهم على مجمل المحاور التي يحتاجونها من أجل التعريف بالآخر والاعتراف به من مكنونات الحضارات وثقافاتها وأديانها، لتأخذ هذه اللجان على عاتقها مهمة تشكيل وفود أو اختيار لشرائح من المجتمعات المختلفة. ومن الأفضل أن تكون من عامة الشعوب وليس من الأشخاص المميزين منصباً سياسياً أو دينياً، لأن الغرض المبتغى منها هو تعريف المجتمعات والشعوب بعضها ببعضها الآخر، وهي التي ستكون الصورة المطلوبة للمثل السياسي أو الديني وإن كان التعارف (على المستوى السياسي والديني مطلوب لكنه من الأفضل أن يتشكل على أساس رسمي لا شعبي)؛ والعمل على توفير فرصة لزيارة ومعايشة الحضارات الأخرى على أرض الواقع مع الشرح لهم وتعريفهم (أي للشرائح المختلفة) بالحضارة التي ينوون زيارتها أو التي زاروها، والهدف من هذه الزيارة والتعايش هو لغرض التعارف والمعرفة بالآخر، وكذلك سيؤدي هذا الأمر إلى تشكيل رؤية مخالفة لما كانت مشكلة على أساس الجهل وردود الفعل بالآخر، وتكرار هذه المعايشات الواقعية ومن كلا الطرفين ومن مختلف الحضارات ولاسيما الطرفين الإسلامي والغربي، فضلاً على حضارات الشرق عموماً، سيؤدي بالنتيجة إلى تغيير الرؤية والأسلوب والمنهج التعاملي بالنسبة إلى كل طرف من الأطراف. وهذا الأمر وإن بدا ذا مسافة زمنية طويلة إلا أنه هدف جدير بالسعي والعمل .

(9)كما إن تأسيس مؤسسة للترجمة والطباعة والنشر، تختص بمجال المعرفة الحضارية والتعارف بين الحضارات من خلال ترجمة الكتب التي تعرف وتبين وتفهم ماهية حضارة ما للحضارات الأخرى ومن مختلفها إلى الآخر، على شرط أن يؤخذ المعنى وتؤخذ المعرفة من أصحاب الحضارة وليس ممن كتبوا عنها لكي يوضحوا للآخر ما هي حضارتهم ويحددوا معالمها ومرتكزاتها الأساسية وأسس تعاملها مع الآخر، ومنه سيتبين مدى اللبس والغموض والخطأ المبتنى على أساس المعرفة المغلوطة بالآخر الحضاري عموماً وبالإسلام خصوصاً.

(10) تأسيس منتدى أو هيأة أو مركز يقوم بعملية التنسيق والدعم والتوجيه لفكرة التعارف، يأخذ على عاتقه التخطيط والبحث والدراسة والتنفيذ لمشاريع من شأنها أن تصب في مصلحة تعارف الحضارات.

هـ ـ تعارف الحضارات وما يواجهه من عوائق أو دوافع

نعتقد بأن هنالك عوائق وعقبات أخذت بالتمركز والتمحور في الجانب المقابل لنظريات الحوار والتعارف عموماً (وما يهمنا هو التعارف)، والعقبة الرئيسة المعاصرة اليوم (فضلاً على عقبات عدم التعارف والاعتراف والمعرفة التي سبق وأن ذكرناها آنفاً)، عقبة العولمة والتي هي قضية مهمة جداً لا يمكن التغاضي عنها، مثلت بجزء منها أو بأسلوب من منهجها تلك الوسيلة المدنية الإنسانية التي قدمت خدمة في تقريب بني البشر وخلق التواصل في ما بينهم وتطويره عبر وسائل الاتصال وثورة المعلومات وهي من هذا الجانب تمثل الداعم الأساس لقضية تعارف الحضارات لأنها سهلت المهمة من خلال تطبيع سرعة الاتصال وسهولته وربطه بالعالم باختراع اللغة الوسيطة الناقلة للمعلومة والتواصل؛ لكنها من جانب آخر حينما مست الجانب الهوياتي أو جانب الانتماء الحضاري، فإنها انقلبت(أي العولمة) إلى كونها أضخم وأقوى المعوقات والعقبات في سبيل وطريق التعارف الحضاري لأنها تهدده من الداخل (التركيب الحضاري = الهوية) وليس من الخارج كما في مكملات التعامل الحضاري عموماً من معرفة واحترام واعتراف وتبادل، فإنها تعمد إلى البنية الداخلية للحضارات وأساس تنوعها وتعدد ثقافاتها، وهي وإن هدفت إلى تعميم مبدأ حضاري أو ثقافي واحد، فهي بذلك تهدف إلى طمس الهويات الحضارية، كما تسعى إلى القضاء على التنوع الإنساني، وعليه تجعل الحديث عن الحضارات شيء ليس في محله، فالتعارف بين تلك الحضارات مبتني على أساس العلاقات بين الحضارات المتنوعة، ومع العولمة (بجانبها الأخير) لا وجود لهذا التنوع والتعددية الحضارية. وسنتناول في مبحثنا الآتي، معنى العولمة وآثارها السلبية والايجابية، وما يهمنا من العولمة الحضارية أو المدنية، هو مكامن التهديد الذي تتعرض له نظريات التعامل الحضاري (المتسامح) من قبلها.

ثانياً: العولمة وأثرها في تعارف الحضارات

1 ـ العولمة (Globalization): (معنى المفهوم والمصطلح، التأريخ والتداول) : فهم الظاهرة وظهور المفهوم :

يرى الكثير من المفكرين أن العولمة ليست بالظاهرة الجديدة لما تشير إليه حداثة اللفظ؛ «فالعناصر الأساسية في فكرة العولمة : (من) ازدياد العلاقات المتبادلة بين الأمم، سواء المتمثلة في تبادل السلع والخدمات، أو في انتقال رؤوس الأموال، أو في انتشار المعلومات والأفكار، أو في تأثر أمة بقيم وعادات غيرها من الأمم، كل هذه العناصر يعرفها العالم منذ عدة قرون، ولاسيما منذ الكشوف الجغرافية في أواخر القرن الخامس عشر، أي منذ خمسة قرون»[64].

ويعد نموذج امتداد السيطرة الرومانية على العالم المعروف في زمانها من خلال نشر أنظمتها في الحكم وحياتها السياسية والاجتماعية والثقافية، بشكل أو بآخر، نوعاً من العولمة أو محاكاة لها. وليس بالبعيد عنها ما قامت به بريطانيا في الدول التي احتلتها من تغيير اللغة أو أساليب التفكير أو أنماط الحياة وسلوكياتها التي ما تزال (إنكليزية) سائدة في أكثر تلك الدول المستعمرَة من قبل بريطانيا[65].

ولذلك يمكن تصور عولمتين، أي أن العولمة تنقسم تاريخياً إلى قسمين، **الأولى، العولمة القديمة،** والتي ظهرت منذ بداية الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر واستطاعت خلال تلك المدة تنفيذاً لخطتها أن تزيد في إنتاج السلع زيادة كبيرة دفعت بأوروبا إلى البحث عن أسواق جديدة أقامتها عن طريق الاحتلال، وإنشاء المستعمرات، كما مكنتها الدول المستعمرَة من

---

(64) أمين، جلال:«العولمة والدولة - العرب والعولمة»، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية،تحرير أسامة أمين الخولي، بيروت- لبنان، 1998، ص 153.

(65) الأسد، ناصر الدين: «الهوية والعولمة، العولمة والهوية»، موضوع السنة الأولى 1997، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط - المغرب، 1997، ص57.

الحصول على المواد الخام بأسعار منخفضة جداً، والعولمة **الثانية**، هي **العولمة الحديثة**، التي لم تنتهج المنهج القديم في فرض الاستعمار وشكله القديم فحسب، بل نهجت ذلك عن طريق تحرير التجارة الدولية والتنافس على النطاق الدولي ما أفضى إلى ضرب الكثير من مقومات الاقتصاد الدولي الوطني للدول والشعوب(66).

أ ـ ترجمة المفهوم

اختلف الكثير من الباحثين والكتاب ممن تناولوا موضوعة العولمة وترجمة المفهوم، واتفق الأغلب على المعنى نفسه، وهو التعميم لنموذج ما على المستوى العالمي، وأشهر تلك المصطلحات باللغة الإنكليزية هو لفظ (Globalization)* والذي اعتمدناه كلفظ مقابل لمعنى العولمة في العربية، إلا أن هنالك من عدَّ العولمة تقابل لفظة (Modularization)** وهي من أصل فرنسي من معنى العالم في اللغة الفرنسية ومعنى الكونية والانتقال من المجال الوطني أو القومي إلى المجال الكوني، وهنالك من عدها مرادف لفكرة الشوملة أو الشمولية العالمية وحكم النموذج الواحد وتقابل لفظة (Totalitarianism)*** .

ب ـ المعنى العام لمفهوم العولمة (معنى المصطلح)

تختلف وتتباين معني العولمة مع مقاصد المتحدثين والباحثين والداعين لها أو مقاومتها ومناهضتها، فهي تارة تأتي بمعنى تحويل الكوكب إلى قرية واحدة تتهاوى فيها الحدود القومية ويعلن فيها نهاية وموت الدولة القومية، ومن جهة أخرى فهي تعرف على أنها اقتصاد المعرفة وماله من انعكاسات في كثير من جوانب الحياة، إذ إن التحولات العلمية والتقنية التي زادت من

---

(66) بلخوجة، محمد الحبيب: **إيجابيات العولمة وسلبياتها**، العولمة والهوية - موضوع السنة الأولى 1997، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط - المغرب، 1997، ص92.

* استخدمه الجابري، محمد عابد: في ندوة «العرب والعولمة»، ص 301 ..

**استخدمه بلقزيز، عبد الإله: في ندوة "العرب والعولمة»، ص 309 ..

*** أورده كأحد الألفاظ المقابلة لترجمة مفهوم العولمة، الحوار المتمدن ـ صحيفة إلكترونية يومية مستقلة،

الاتصال المباشر بين الأفراد والجماعات على الصعيد العالمي أو الكوكبي له تأثيراته السلوكية والثقافية على الوعي الباطني للإنسان[67]. وقد عرف جون توملسون (John Tomlson)* العولمة بأنها : تشير إلى الفعاليات المضطردة المتنامية التي تخص الاتصالات الاندماجية المعقدة بين المجتمعات والثقافات والمؤسسات والأفراد على النطاق العالمي، العولمة هي الحركة الاجتماعية التي تتضمن انكماش البعدين الزماني والمكاني... ما يجعل العالم يبدو صغيراً والى حد ما يحتم هذا على البشر تقارب بعضهم مع بعض [68]. و«شعار العولمة جديد، لكن الظاهرة قديمة، وهي لم تخل في أي مرحلة من تاريخها من نفع ولكن النفع يعود أغلبه إلى مركز بثها وإشعاعها، وأغلب أضرارها تعود على الأطراف ... ولكن من الممكن دائماً أن تحقق أمة من أمم الأطراف نهضة تحولها من طرف سلبي في التعامل الدولي إلى قوة فاعلة وايجابية»[69].

والمعنى العام للمصطلح هو تعميم لنموذج ما على مختلف الأصعدة والجوانب (الاقتصادية والثقافية والسياسية والاجتماعية وغيرها..).

ج ـ المعنى التداولي للعولمة

ما دامت العولمة تعد تعبيراً عن التعميم بالنموذج (الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي أو الثقافي) على المستوى العالمي، وبغض النظر عن ذلك النموذج، فإن هذا المعنى يقودنا إلى عدم إمكانية التحديد والتعريف الواضح وبشكل واحد لا يقبل التغيير أو التطوير، أو التبديل، إذ إن النموذج السائد كتعميم عالمي هو النموذج الأمريكي على مختلف الأصعدة، فهو ما يجري في مجال الاقتصاد والرأسمالية، والاجتماع والليبرالية، وهنالك محاولة

---

(67) شوقي، جلال: **العولمة - المسار والهوية**، رؤية عربية، الدار المصرية اللبنانية،القاهرة- مصر، الطبعة الاولى، 2007، ص 114-115.

* رئيس مركز أبحاث الاتصالات والثقافة العالمية في جامعة ترنت البريطانية.

(68) نقلاً عن العولمة دراسة تحليلية نقدية لـ عبد الله عثمان وعبد الرؤوف محمد، دار الوراق للنشر، 1999، لندن، ص 19.

(69) أمين، جلال: **العولمة والتنمية العربية**، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، 1999، ص190.).

تحذو حذوها في الجانب الثقافي، و«العولمة بالمفهوم المعاصر (الأمركة) ليست مجرد سيطرة وهيمنة والتحكم بالسياسة والاقتصاد فحسب، ولكنها أبعد من ذلك بكثير، فهي تمتد لتطال ثقافات الشعوب والهوية القومية والوطنية، وترمي إلى تعميم أنموذج من السلوك وأنماط أو منظومات من القيم وطرائق العيش والتدبير، ومن ثم فهي تحمل ثقافة (غربية أمريكية) تغزو بها ثقافات مجتمعات أخرى، ولا يخلو ذلك من توجه استعماري جديد يتركز على احتلال العقل والتفكير وجعله يعمل وفق أهداف الغازي ومصالحه. وأكد ذلك الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش، حين قال بعد انتهاء حرب الخليج الثانية : إن القرن القادم سيشهد انتشار القيم الأمريكية وأنماط العيش والسلوك الأمريكي»[70].

يقول توماس فريدمان : إن «نظام العولمة (قائم) على الاندماج القسري الذي جعل من عالم اليوم متداخل المصالح والفرص والأخطار ... ونجد الولايات المتحدة في هذا النظام العالمي الجديد كقوة أحادية وما على سائر الدول إلا أن تتماثل معها بدرجة أو بأخرى»[71]، و«أن الخطط والأطروحات المتتابعة التي يشهدها العالم اليوم من أجل ولادة العولمة، إنما ترتبط عموماً بـ المشروع السياسي الأمريكي الجديد (New American Political Project)»[72]. وما العولمة إلا «محيط من صنع أمريكا، إنها أسلوب الغرب وعملية انتشارها في جوهرها عملية تغريب»[73].

---

(70) جريدة **الأسبوع الأدبي**، العدد رقم 602 الصادر بتاريخ 14/ 3/ 1998 ص 19؛ www.awu-dam. org/ mainindx. htm - 45k

(71) فريدمان، توماس: **العالم في عصر الإرهاب**، ترجمة محمد طعم، الطبعة الأولى، كولونيا - ألمانيا، 2006، ص 11-12.

(72) معلوم، حسين: **التسوية في زمن العولمة -التداعيات المستقبلية لخيار العرب الاستراتيجي، العولمة والتحولات المجتمعية في الوطن العربي**، تحرير عبد الباسط عبد المعطي، مركز البحوث العربية والجمعية العربية لعلم الاجتماع، مكتبة مدبولي، 1999، ص 117.

(73) عبد الله عثمان وعبد الرؤوف محمد: العولمة دراسة تحليلية نقدية، دار الوراق للنشر، 1999، لندن، ص 91.

لكن هذا لا يعني أن المستقبل القريب منه أو البعيد سيبقي الحال على ما هو عليه من تعميم النموذج الأمريكي وعولمته، إذ إنه من المحتمل أن يكون النموذج الكوني أو العالمي هو النموذج الإسلامي أو الصيني (نماذج فكرة العدو والمواجهة مع الغرب عند هانتنغتون)، أو لعلها ستكون يقظة ونهضة تعيد لأوروبا مجدها في تصدر قائمة القوى العالمية. ومع كل ذلك وغيره، تبقى «ظاهرة العولمة في بداية تشكلها، فإنها مرشحة لتطورات أخرى مقبلة»[74] ويمكن أن تفهم العولمة كمشروع تاريخ ليس مغلقاً أو منتهياً وصيرورة مستمرة؛ فهي «مشروع تاريخي مفتوح على كل المنجزات الإنسانية في مختلف المجالات، وفي كل اللحظات التاريخية، تنزع القوى الغالبة والمسيطرة على مسار العولمة، لتوظيف هذه التقنيات الهائلة والإمكانات الضخمة لخدمة أهداف ومشروعات سياسية واقتصادية وثقافية محددة»[75] كما إن «الغرب لا يمتلك الوصفة التي تجيب عن تحديات العولمة وأن التاريخ لم يصل إلى نهايته وأن البشرية لم تعثر على نقطة السكون في النظام الغرب»[76].

وما يستفاد من المعطيات السابقة، هو أن العولمة بالمعنى التداولي الحالي والواقعي، ليست إلا محاولة في تعميم وكوننة النموذج الأمريكي، بأصعدته المختلفة، لذلك نرى الكثير من المفكرين الإسلاميين أو اللاغربيين عموماً، لهم موقف سلبي من العولمة وذلك لأنها تمس القيم والثوابت التي تتأسس عليها الدول والأمم والحضارات.[77]

وأرى أن من يجعل العولمة حتماً مقضياً أو ييسر غايتها ويسهل من

---

(74) اليحياوي، يحيى: **العولمة - أية عولمة؟**، دار أفريقيا الشرق، بيروت - لبنان، 1999، ص 21.

(75) محفوظ، محمد: **العولمة وتحولات العالم**، ص 102.

(76) موللر، هارولد: **تعايش الثقافات - مشروع مضاد لهانتنغتون**، ترجمة إبراهيم أبو هشهش، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 2005، ص 318.

(77) انظر، الجابري، محمد عابد: ندوة العرب والعولمة. و الميلاد: زكي، **نحن والعالم**، وغيرهما.

معناها المعقد ويعبر عنها بأنها «ليست اختياراً، (بل) واقعاً يبدأ بنا وبحياتنا اليومية، في الصباح نستيقظ على جهاز راديو ياباني مجمع بماليزيا، ونتناول القهوة الواردة من كولومبيا، نستقل سيارتنا المصنوعة بفرنسا، وكل الأجهزة المنتجة بمعظم مناطق العالم، العولمة واقع حياتنا اليومية وليست اختياراً»[78]، إن مثل هذا القول وإن صدر عن مدير المنظمة العالمية التجارية، إلا أنه من السذاجة والفهم البسيط القول إن النص السابق استطاع أن يختزل جميع برامج العولمة وأذرعها وعملها في مختلف المجالات والتي لا تتحدد بقضية تبادل تجاري أو منفعة تبادلية اقتصادية، فهذا الضرب من نوع التبادل التجاري لم ينقطع منذ أن بدأت ونشأت التجارة في المجتمعات البشرية؛ فالمسألة ترتفع عند الآخر (اللاأمريكي) إلى مستوى الحس بالخطر والقلق على الهوية والانتماء الحضاري، إذاً، العولمة «أمر يتعلق بالدعوة إلى توسيع النموذج الأمريكي وفسح المجال له ليشمل العالم كله»[79].

2 ـ مواقف من العولمة

أ ـ دعاوى الممازجة والمزاوجة بين العولمة والهوية

رأى بعض المفكرين العرب والمسلمين إن ظاهرة العولمة لا تمس قضية الهوية، ولا تقف العولمة موقفاً سلبياً منها وإنما تدعمها وتشجعها، وسنناقش تلك الأقوال بعد عرضها؛ فقد لا تمثل العولمة، بحسب الاتجاه التفاؤلي، «نقيضاً للهوية، ولن تكون بديلة عنها، والعولمة ... في إطار التنوع الثقافي وازدهار هويات الشعوب، وفي ظل الحوار الراقي الهادف بين الأديان والحضارات، هي الخيار الإنساني المتاح والمفتوح أمام مستقبل البشرية، وهو الأمر الذي سيؤدي بالتتابع وبتراكم التجربة، إلى تعميق الاحترام المتبادل بين الجميع»[80]، ولذلك فإننا ملزمون بأن نتعاطى مع العولمة على أنها مناخاً

---

(78) المصدر نفسه، ص17-18.

(79) الجابري، محمد عابد: **قضايا في الفكر المعاصر**، ص137.

(80) التويجري، عبد العزيز: **الحوار من أجل التعايش**، القاهرة وبيروت، دار الشروق الطبعة الأولى1998،، ص 63.

لانتعاش الهويات؛ فهي «محكوم عليها بأن تتعايش مع الهوية في إطار التنوع الثقافي، من أجل الازدهار الإنساني والسلام العالمي»[81].

كما إن مسألة التعددية الثقافية قد تكون موضوعاً للرعاية والحفظ كما يتصور البعض مع العولمة. إذ «إن التمايز الحضاري والتعدد الثقافي، يبقى ضرورياً في المسيرة الإنسانية ولمشروع العولمة الذي يغذى من جميع الثقافات والحضارات، لذلك فإننا نرى في التعدد الثقافي والحضاري ضرورة قصوى لمشروع العولمة، وأن أية محاولة إلى نفي هذا التعدد تحت دعوى العولمة، هو في حقيقة الأمر إفقار لهذا المشروع وإخراجه من طبيعته الإنسانية والحضارية»[82].

وتعليقنا على القولين يتلخص بتبيين التناقض الحاصل في فهم المصطلح ومعناه، فما أسسنا له كتعريف للعولمة وما يقال حتى بتعريف المفهوم العام كمصطلح مستقل فهو يعطي معنى عالمية الشيء وتعميمه، ومن ثم تعميم النموذج المميز بميزات خاصة، كذلك هذه المميزات خاصة بأصل النموذج ولا تقترب من مميزات الهويات الأخرى أو الثقافات والحضارات المغايرة. وأيضاً لا أجد ما يمكن على أساسه تفسير ربط التنوع بالتوحد، وأقصد التنوع الحضاري والتوحد العولمي في الوقت نفسه، فهذا في أدنى مستويات المعادلات العقلية، مرفوض وغير مقبول، لذلك فنحن نقف موقف من العولمة على أنها في الجانب المقابل للتنوع وثرائه ودعمه، لأنها تسعى إلى فرض نموذج معين بعينه لا غير.

وليس من الصحيح أن يكون مفهوم العولمة بل والظاهرة على ما هي عليها اليوم محكومة بالتعايش مع الهوية كما يرى البعض، بل على العكس فإنها تجسد التقولب والتوحد في إطار نموذج محدد المعالم لا يقبل التنوع والاختلاف، وكذلك فليس من الممكن أن يكون التعدد الثقافي والحضاري

---

(81) المصدر نفسه، ص 71.

(82) محفوظ، محمد: **العولمة وتحولات العالم**، ص 19-20.

ضرورة قصوى لمشروع العولمة كما رأى محمد محفوظ فحسب، بل التسلط والهيمنة والفرض والقوة هو ما يحتاجه مشروع العولمة (وهي موجودة)، وتخالف العولمة مخالفة صريحة كل قوانين وأسس التعددية الحضارية والدينية والثقافية والإنسانية عموماً؛ فجوهر العولمة إنه «على الجميع أن يندمجوا في النظام الجديد بينما جوهر التعددية أن يبقى كل أحد على خصوصيته وهويته وتفرده»[83].

ب ـ الغرب متفرداً وليس عالمياً *

وهنالك مقولة أخرى لها رأي في العولمة أو عالمية الغرب وتعميم نموذجه= أمريكا، بل رهن مستقبل الغرب ببقائه على مستواه المحلي والوطني والقومي، وبذلك يعني بقاءه متفرداً وليس عالمياً، فصاموئيل هانتنغتون في مقالة له ظهرت مؤخراً ولم يسلط عليها الضوء كما كان لصدام الحضارات، عنوان المقالة الجديدة هو الغرب متفرداً وليس عالمياً (The West Unique, Not Universal) جاء فيها: «لقد حان الوقت الذي يجب أن يتخلى الغرب فيه عن وهم الشمولية والكلية ... (كما) ويتوقف مستقبل الغرب إلى حد كبير على وحدة الغرب ... وأن تعزيز تماسك الغرب يعني الحفاظ على الحضارة الغربية في داخل الغرب وتعيين حدود الغرب»[84] وفي هذا النص دلالة واضحة لدعوة إلى التفرد والانعزال والعمل على بناء منظومة الغرب أو الإمبراطورية الغربية التي تبتني لها عرشاً مميزاً عن المجتمعات الأخرى، وآن الأوان لأن تحدد حدود الغرب الجغرافية وأن يتصدى الحلف الأطلسي كممثل أمني ودفاعي للغرب. وعلى من ينضم تحت تسمية الغرب أن يدعم

---

(83) أبو المجد، أحمد كمال: العولمة والهوية ودور الأديان، ندوة «العولمة والهوية»، أكاديمية المملكة المغربية، ص 204.

* عنوان مقالة صاموئيل هانتنغتون، الغرب متفرداً وليس عالمياً THE WEST UNIQUE NOT UNIVERSAL. نشرها مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق في لبنان في سلسلة مقالات معربة رقم 21 د.ت.

(84) المصدر نفسه، ص 18-21.

الحلف الأطلسي وأن يدعم الفكرة الأمريكية الغربية في انعزال وانغلاق الحضارة على أنفسنا = الغرب، وعدم المشاركة أو محاولة التدخل في الشرق أو مع الإسلام وغيره ورفض كل أساليب التعميم والشمولية والتعولم الحاصلة في العالم والمنطلقة من الغرب[85].

3 ـ العولمة ما لها وما عليها (المرفوض والمقبول من العولمة)

هنالك عولمتان واضحتا المعالم و/أو أسلوبان من العولمة يأخذ كل منهما حظه من التأثير في المجال المخصص له، **الأول**، هو العولمة التي تمس المدنية، **والثاني**، هو الذي يمس الحضارة والهوية والانتماء.

أ ـ عولمة المدنية

هي العولمة التي تحتك وتمس قضايا وأشكال مدنية مثل قضايا التطور العلمي وتكنولوجيا المعلومات وثورتها والتغير الكبير في وسائل الاتصال، فكل ذلك له من الأثر الإيجابي ما له. إذ إنه بهذه الصورة يعد من مؤيدات وخطوات العمل وتنفيذ نظرية ومشروع تعارف الحضارات لأنها سهلت الاتصال بين أفراد وشعوب وأمم المعمورة عموماً، وأن هناك اعتقاداً بدأ يتأكد بين الحضارات، هو أن هذه الحضارات لا تعرف بعضها بعضاً كما ينبغي، وتفتقر إلى جسور التواصل في عالم تطورت فيه تقنيات الاتصال وأنظمة المواصلات، التي باتت تربط العالم، وتجعل منه أشبه ما يكون بقرية صغيرة. لهذا يمكن الاستفادة من العولمة في تطوير وتعميم فكرة التعارف بين الحضارات، وتقليص المسافات التي تفصل بينها، وإزالة كافة صور الجهل أو عدم الفهم أو غير ذلك في ما بين هذه الحضارات»[86] ولقد «أضحى التعارف بين الحضارات في الوقت الحاضر أيسر منه في أي وقت مضى بسبب التقدم الكبير في وسائل الاتصال ونقل المعلومات والمعارف[87] وهذا يجد مكانته

---

(85) المصدر نفسه، ص 21-22.

(86) الميلاد، زكي: **الإسلام والمدنية**، ص123.

(87) عبد الجبار، محمد: التعارف بين الحضارات، **تعارف الحضارات**، زكي الميلاد وآخرون، ص178.

الإيجابية من خلال إيصال المعلومة والتواصل معها، وهي بذلك تعد من الإيجابيات الفكرية المعاصرة التي يجب تدعيمها والعمل من أجل أن تأخذ أعلى مستويات عملها وإنتاجيتها وتعميمها، إذ لا يمكن أن تسير بخلاف حاجات الحياة الرئيسة التي هي عبارة عن مسخرات جعلت لخدمة الإنسانية والبشرية وهذا ما لا يمكن الوقوف ضده ورفضه، لكن هناك أمر آخر في عولمة المدنية له أثر سلبي كبير، وهو ما يمس الاقتصاد؛ فالعولمة الاقتصادية هي من أخطر أوجه العولمة ومشاريعها، وما يمارس ويعطى من دور كبير للشركات المتعددة الجنسيات على المستوى الاقتصادي العالمي ليس إلا تطبيقاً لفكرة العولمة ونقل الملكية من الأفراد داخل الدولة والمنضوين تحت مظلة الدولة من دخل وضرائب وفوائد وصادرات وواردات ومسألة المنتوج الوطني؛ ومن ثم دعم الاقتصاد الوطني والقومي للبلد، كل هذا مع العولمة وفكرة الشركات متعددة الجنسيات. إذ يرى محمد عابد الجابري، أن الشركات والمؤسسات المتعددة الجنسية التي تتولى التسيير والتوجيه والقيادة عبر العالم هي التي تحل محل الدول في كل مكان وتمارس دورها[88] وهذه الشركات «لا تساهم إلا بنسبة 7 في المئة في التشغيل العالمي، ولا تؤدي إلا 9 في المئة من مجموع الضرائب العالمية، بينما تحتكر 80 في المئة من التجارة الدولية»[89].

ب ـ عولمة الحضارة والهوية أو الانتماء

وهي العولمة التي تمس قضية الانتماء والهوية الحضارية، وأغلب ما يقال أو يعترض بشأنه هنا على فكرة العولمة هو ما يمكن تناوله تحت عنوان عولمة الحضارة، فـ«الغرب الذي ابتكر مفهوم العولمة، هو الذي حدد لها مضامينها وهويتها ومكوناتها الفكرية والاقتصادية، وهو الذي يقود حركتها في العالم ويروّج لهذا المفهوم، وهذا أحد أهم مصادر التوجس والخوف الذي

---

(88) الجابري، محمد عابد : **قضايا في الفكر المعاصر**، ص 147.

(89) بو طالب، عبد الهادي : لابد من تكامل العولمة والهوية ليكون العالم واحداً ومتعدداً، العولمة والهوية موضوع السنة الأولى 1997، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط - المغرب، ص122.

تظهره الأمم والحضارات تجاه قضية العولمة، لأن الغرب لا يريد إلا أن يرى نفسه وحضارته في هذا العالم، ولازالت نزعة التمركز حول الذات هي التي تشكل عقليته، لأن الغرب لم يحاول أن ينفرد بالحضارة فحسب، وإنما قاوم انبعاث الحضارات الأخرى، وقام بأكبر عملية تدمير للحضارات في العالم»[90]، ففرض النموذج الثقافي والذي يمثل أحد مكنونات الحضارة لا بل فرض نموذجاً حضارياً متكاملاً لا يخلو إلا من شرط الجغرافية والمكان على أنه هو الأوحد وأنه ما يجب أن يؤخذ به، هذا ما لاقى ومازال يلاقي أشد المعارضات من قبل الشعوب والأمم الأخرى والحضارات المغايرة للغرب، ولا سيما أمريكا، لأن «التشبث بالهويات لا يمكن أن يقتلع بين عشية وضحاها من ضمائر الشعوب وفكر الأمم»[91].

فهل العولمة صيغة جديدة لفكرة الهيمنة الغربية على الآخر والحضارة الأخرى؟ وهل هي جزء من المواجهة الحضارية التي يخوضها الغرب ضد هويات الشعوب والحضارات؟

إذا كانت العولمة بهذا الاتجاه فإنها سوف تضعف الاستقرار العالمي من خلال تعارضها مع قانون التنوع الثقافي والحضاري، وهي بهذا المعنى تضرب الهوية الحضارية والثقافية وتعطل أساس التعايش الثقافي بين الشعوب؛ كما إنها بجانبها القسري الشمولي، ستؤدي إلى الفوضى على المستوى العالمي في الفكر والسلوك والآداب والفنون والعلوم.[92]

وعليه يتساءل الكثير من الباحثين إنه :«كيف يتسنى المحافظة على الهوية الثقافية والحضارية في ظل العولمة الباسطة نفوذها اليوم على المجتمع الدولي؟ إن اتجاهات العولمة تسير نحو التأثير السلبي على الهوية والسيادة معاً»[93] وأنه يجب أن نحد من «الآثار السلبية للعولمة في شكلها المتجهم

---

(90) الميلاد زكي : الفكر الإسلامي وقضايا العولمة - كيف نفهم العولمة؟، مجلة **الكلمة**، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، العدد20، 1998 .

(91) المصدر نفسه، ص 132.

(92) التويجري، عبد العزيز : **الحوار من أجل التعايش**، ص69.

الذي لا يقيم اعتباراً للهويات الثقافية والحضارية لشعوب العالم»[94]؛ فالعولمة تهدد وتلحق الأذى بالثقافات والتقاليد والممارسات، أو الهويات المحلية الأصيلة»[95]. ومن خواص العولمة إنها «تحمل أسلوب حياة مادية زاحفة في اختراق عنيف للهويات والثقافات والتحصينات الأخلاقية بغرض المجانسة والمحاكاة في السلوك والتصرفات الشكلية»[96].

وما ظاهرة الدفاع عن الهوية والانتماء الحضاري بل وحتى بداية تنامي التطرف كما ذكرنا آنفاً إلا نتيجة طبيعية للعولمة ومحاولة تعميم النموذج الواحد وفرضه. ويرى السيد ولد أباه أن ظاهرة الاحتماء والتمسك بالهويات الثقافية والحضارية جاءت في مقابل حركة العولمة التي جاءت كصيغة قسرية وجبرية لأنموذج غربي (أمريكي)[97]. وهذا التعدد الحضاري والاختلاف الإنساني بدلاً من أن يكون سبباً في الاختلاف المؤدي إلى الصراع وإقصاء الآخر ونفيه، فإنه يجب أن يكون إقراراً بالاختلاف ومن ثم وعي وفهم لهذا الاختلاف ثم تحويل الآخر ووجوده إلى مكون فاعل وأساس في تشكيل الهوية والتنمية الحضارية لأمة ما[98].

---

(93) التويجري، عبد العزيز بن عثمان : الهوية والعولمة من منظور حق التنوع الثقافي في ضوء فلسفة حوار الأديان والحضارات، العولمة والهوية موضوع السنة الأولى 1997، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط - المغرب، ص166.

(94) المصدر نفسه، ص 168.

(95) جيمس ديفيوسن وجوشا ييتس : **في طليعة العولمة - عالم فرسان العولمة الأمريكية، عولمات كثيرة - التنوع الثقافي في العالم المعاصر، الجزء الرابع،** تحرير بيز آل بيرغر وصاموئيل هانتنغتون، تعريب فاضل جكتر، مكتبة عبيكان، السعودية، الطبعة الأولى،2004، ص503.

(96) البشير محمد : بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية، دراسة في الموازنة، مجلة **المنهاج** - مركز الغدير للدراسات الإسلامية، العدد 23، سنة 2001، ص294 .

(97) ولد أباه، السيد : **اتجاهات العولمة - إشكالات الألفية الجديدة،** المركز الثقافي العربي، بيروت -لبنان، الطبعة الأولى، 2001، ص 102.

(98) النفير، أحميدة: جدل العالمية والخصوصية - قراءة التعددية، مجلة **قضايا إسلامية معاصرة** - مركز دراسات فلسفة الدين - بغداد، العدد31-32 عدد مشترك، ص 6.

ويرى بعض المفكرين الغربيين أن وجوب اللحاق بركب الحداثة الغربية والانضمام إلى سبيل التغريب هو ما يتحتم على الشرق أوسط أو الحضارة الإسلامية والعربية الذوبان في الحضارة العالمية الغربية[99] -بحسب تصورهم- وما فكرة **نهاية التاريخ** إلا تداعياً لمفهوم وظاهرة العولمة فحسب، بل في بعض الأحيان تفهم العولمة على أنها الوجه الآخر لنظرية **نهاية التاريخ**، وذلك بعد أن بينا أن النموذج المعولم هو النموذج الأمريكي وهو ذاته ما توصل إليه فوكوياما في قفل مسيرة التاريخ خارجه وخلق النماذج السياسية أولاً والحضارية ثانياً وعليه، فالاحتذاء والاقتداء(بالنموذج المعلوم) بالغرب = أمريكا، هو الواجب على اللاغرب عموماً.

والعولمة تتخطى حقيقة تنوع العالم من إرادات وانتماءات وثقافات وتطلعات. «ومثل هكذا توحد أو عمل من أجل التوحد لا يعترف بالتنوع، سيؤدي إلى توتر يفجر نزعات التعصب المغلقة»[100] والتي أسميناها بالأصولية ونموذج الفكر الواحد.

ج ـ إشكالية الفكر الواحد ومفهوم العولمة

ما الذي دعا إلى التطرف والأصولية اللاغربية - الإسلامية؟ وما الذي حدا بها من أن تتخذ لها موقفاً عدائياً من الغرب؟ وهل هو انعكاس لأصولية أخرى أم أن العداء هو مكنون في أصل الفكر الإسلامي؟ اعتقد أن الإجابة عن هذه التساؤلات، تكمن في أن مثل هكذا أصوليات هي ليست إلا رد فعل وتجلياً ما ضد أصولية أخرى تحاول أن تفرض نفسها عليه، وهي بذلك تنطلق من مبدأ الفكر الواحد، وما فكرة العولمة إلا استجابة لنموذج الفكر الواحد وآلية لتطبيقه وهي التي أوجدت التطرف وخلقته وطورته والذي جاء كردة فعل

---

(99) لويس، برنارد : **الغرب والشرق الأوسط - سجال وتباين**، ترجمة وتعليق سمير مرقس، دار ميريت للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى 2002، ص 77.

(100) إبراهيم، عبد الله : المجتمعات الإسلامية ورهانات الحداثة والعولمة، مجلة **قضايا إسلامية معاصرة** - مركز دراسات فلسفة الدين - بغداد، العدد31-32 عدد مشترك، ص 257.

أو رفض للنموذج الأصولي - الأمريكي المراد تعميمه وفرضه أو جعله يبدو لزاماً أو فرضاً لا يمكن تجاوزه.

وإن كان النموذج المراد تعميمه تحت مظلة العولمة هو النموذج الأمريكي وهو الحقيقة، فإن النموذج بديمقراطيته وليبراليته ورأسماليته، يستدعي تناقضاً صارخاً، فهو يجعل من أيديولوجية الفكر الواحد المفترض تعميمها تتناقض داخلياً وذاتياً مع مبدأ الديمقراطية الذي يعني إرادة الشعوب واختيارها، كما يربط ذلك تلقائياً مع الحريات الشخصية - الفردية والجماعية- وذلك يعني ما يرتبط بالليبرالية التي تنافي مبدأ النموذج الواحد (العولمة)، ولذلك تداعياته أيضاً على المستوى الاقتصادي. وأن الرأسمالية الأمريكية تستدعي الاقتصاد الحر للشركة والجماعة والأفراد أو التحالفات الدولية وذلك يعارض سياسة الفكر الواحد؛ أما ما ينظر إليه على أنه عولمة من تبادل السلع التجارية وتنوعها من حيث التنشئة والصنع والاستهلاك، هذا لا يعني العولمة وإن ظهر المفهوم مرتبطاً بها. إذ إن مثل هكذا مسائل لا تعدو كونها انتفاعاً متبادلاً وتنوعاً يصب في مصلحة المجتمعات المتعاملة كان منذ فجر تكوين الاجتماع البشري ومازال وسيبقى لأنه حاجة إنسانية مستمرة، وبنظرة فاحصة يتبين ما لهذه المعطيات الآنفة الذكر من أثر في خلق بيئة فكرية (لمفهوم العولمة) متناقضة وغير متزنة.

د ـ معالجات ضرورية لفكرة النموذج الواحد والعولمة

وفي محاولة للحد من ظاهرة نموذج الفكر الواحد المفروض ومحاولة تعميمه التي انطوت العولمة عليه وحاولت تأكيده والعمل من أجله وعملت ذلك من جوانب عدة، فإنه يتوجب الحث على فكرة إغناء التنوع البشري والحضاري والقبول بنماذج مختلفة من الفكر والهوية والتأكيد على دعم اختلاف الانتماء وتنوعه لأجل التقارب. وهذه العبارة تستدعي أن يكون الاختلاف في اللحظة نفسها يتضمن ائتلافاً معيناً. والقصد هو تطبيق نظرية تعارف الحضارات التي تستند إلى النص القرآني الذي ربط بين الأصل الإنساني الواحد، وبين التنوع البشري الواقعي المتعدد وجعله يرتبط

بـ(التعارف) الذي يشكل المنهج له،والوصول به إلى غاية خلق المحبة والسلام والأمن. «ولعل من أكثر الآيات القرآنية التي عبرت عن رؤية الإسلام في هذا المجال قوله تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[101] ؛ (فـ) مفهوم التعارف في هذه الآية ينطبق على المجتمعات الصغيرة والكبيرة، فهو يؤكد على التعارف على المستوى الإنساني العام، وفي هذه النطاق أيضاً يأتي التأكيد على ضرورة الانفتاح والتواصل الثقافي والعلمي والتربوي في النطاق العربي والإسلامي، وتعزيز التضامن الاجتماعي والسياسي: العربي والإسلامي، الحكومي وغير الحكومي، إلى جانب النهوض والتكامل الاقتصادي، وزيادة التبادلات البينية في ظل إجراءات جمركية وتشريعات قانونية ميسرة، وإعطاء الأولوية للاستثمار وحركة الأموال بين هذه الدول في ظل أجواء حقيقية من الثقة، والسعي نحو تأسيس سوق إسلامية مشتركة، ومنظمة اقتصادية إسلامية متحدة؛ أما على المستوى العالمي، فنحن بحاجة إلى تكوين فهم جديد، ومعرفة معمقة للعالم وتحولاته وتغيراته المتعاظمة، لكي نعرف موقعنا في هذا العالم، وكيف نستفيد من منجزاته، وخبراته الحضارية»[102]. وكل تلك الغايات لا تتم إلا بتجاوز الفكر الأصولي الذي مازال يدعو لأن يكون هو فقط من دون الآخر، على مستوى الوجود والحضارة والثقافة، ولا يمكن تجاوز هذه الآثار السلبية للتطرف إلا بالدعوة إلى التسامح (Tolerance)، الذي أساسه قبول الآخر والتعرف عليه والتسامح هو محور تعارف الحضارات لأنه يقوم على مبدأ مراعاة الآخر والاعتراف والاهتمام به، وإلا لما كان دعا إلى التسامح معه.

---

(101) **القرآن الكريم**، سورة الحجرات، الآية رقم 13.

(102) الميلاد، زكي: **الإسلام والمندية**، ص48.

ثالثاً: التسامح: (محور لتعارف الحضارات):
مفهوم التسامح (Tolerance) (المعنى والدلالة)

1 ـ معنى التسامح لغوياً

أصل كلمة التسامح في اللغة العربية يعود إلى جذر أو مادة (سمح)، بمعنى اللين والسهولة. ويأتي في اللغة مرادفاً للتساهل[103]، وأصل النقل والترجمة إلى العربية عن لفظة (Tolerance) يأتي بعنوان التحمل والاحتمال؛ و (Toleration) التي تأتي بمعنى التسامح الديني بالخصوص [104]، ومن الواضح أن هذه العبارة البسيطة الواردة في **المورد**، باتت ناقصة لما تحمله مفردة التسامح من اختلاف بين اللفظين ومعنيهما في اللغتين العربية والإنكليزية؛ فالاختلاف بين الكلمتين يبدأ بالجذور؛ فكلمة (Toleration) مشتقة من الجذر اللاتيني (Tolerare) التي تعني التحمل، بمعنى أن الفكرة الأساسية المتضمنة هنا هي فكرة التحمل، المعاناة، أو التعايش مع شيء لا يحب في الحقيقة وغير مرغوب فيه ومجبر على التعامل معه بإيجابية[105]، بالتناقض والتغاير مع معنى كلمة التسامح في اللغة العربية. إذ إن الجذر العربي لها هو ما يحتوي فكرة المرونة وفكرة ترك الأمور تمر، والتساهل في خلاف من الخلافات، بل والتنازل لشخص من الأشخاص عن رأي أو أحقية أو شيء كتعبير عن التهذيب والأخلاقية الإيجابية في التعامل معه[106].

---

(103) **المعجم الوسيط**، ص447.

(104) **قاموس المورد**، ص 975.

(105) مجموعة باحثين: **التسامح بين شرق وغرب**، سمير الخليل، **التسامح في اللغة العربية**، دار الساقي بيروت، الطبعة الأولى، 1992، ص6.

(106) المصدر نفسه، ص10

2 ـ مفهوم التسامح اصطلاحاً

عُرف التسامح على أنه: «رؤية (أو التصور) متفهمة أو متحررة فكرياً حيال العقائد والممارسات المغايرة أو المضادة، لعقائد الشخص المتسامح وممارساته»[107]. ويورد صليبا عدة معانٍ واصطلاحات للتسامح منها:

«**الأول،** احتمال المرء بلا اعتراض كل اعتداء على حقوقه الدقيقة بالرغم من قدرته على دفعه...

الثاني، أن تترك لكل إنسان حرية التعبير عن أرائه وإن كانت مضادة لأرائك ...

الثالث، أن يحترم المرء آراء غيره لاعتقاده إنها محاولة للتعبير عن جانب من جوانب الحقيقة»[108]

وعُرف على أنه «موقف من يقبل لدى الآخرين وجود طرق تفكير وطرق حياة مختلفة عما لديه هو ... وبذلك يصبح مبدأ التسامح مبدأً توافقياً ويكون الغرض منه ليس الأخذ بالممنوعات ولكن الوصول إلى التوافقات»[109].

في حين أورد لالاند عدة تعريفات لمفهوم التسامح منها :

أ ـ التسامح بمعنى :«استعداد عقلي أو قاعدة سلوكية قوامها ترك حرية التعبير عن الرأي لكل فرد حتى وإن كنا لا نشاطره رأيه»[110].

ب ـ والمعنى الآخر هو : «احترام ودي لآراء الآخر، وذلك باعتبارها مساهمة في الحقيقة الشاملة»[111]. ويأتي هذا المعنى مع الاعتراف بأنه لا

---

(107) مليكان، مصطفى : مفهوم التسامح – إطلالة على الركائز النظرية، كتاب **التسامح وجذور اللاتسامح**، مجموعة مؤلفين، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، 2005، ص 81

(108) صليبا، جميل: **المعجم الفلسفي**، ص271–272.

(109) علبي، عاطف : التسامح والثقافات، مجلة **التسامح**، تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في سلطنة عمان، العدد الخامس، 2004، ص300.

(110) لالاند : **الموسوعة الفلسفية**، ج 3، ص 1460.

(111) المصدر نفسه، ص 1461.

يمتلك أي طرف من أطراف التعامل (الفردي أو الجمعي) الحقيقة المطلقة، وإنما يمكن أن يكون جزءاً منها وهو مع الآخر يعد تكميلياً أو يمتلك جزءاً آخر منها.

والتسامح هو الموقف الإيجابي المتفهم للعقائد والأفكار والذي يسمح بتعايش الرؤى والاتجاهات المختلفة على أساس شرعية الآخر سياسياً ودينياً.[112] وعليه فـ«التسامح هو امتزاج بين الفكر والأخلاق وتعبير عن موقف فكري من جهة، وموقف أخلاقي من جهة أخرى، موقف فكري يحدد طريقة التعامل مع المفاهيم والأفكار المغايرة على مستوى النظر، وموقف أخلاقي يحدد طريقة التعامل مع المفاهيم والأفكار المغايرة على مستوى العمل»[113]. على ذلك فالتسامح يمثل موقفاً «يظهر قوة الضمير وشفافية النزعة الإنسانية وعظمة الروح الأخلاقية، لكن متى يكون للتسامح كل هذه القوة والفاعلية والتجلي؟ يكون ذلك حينما يتحول التسامح إلى موقف إنساني ثابت والتزام أخلاقي راسخ ومصدر للاستلهام، وحينما يكون هناك تضامن من أجل التسامح. لأن الحكمة تتغلب على التعصب والتسامح هو حكمة؛ ولأن المنطق يتغلب على العنف والتسامح هو منطق؛ ولأن الشجاعة تتغلب على التهور والتسامح هو شجاعة؛ ولأن الحرية تتغلب على التكفير والتسامح هي حرية. بهذه الدلالات والمعاني ينبغي أن نفهم التسامح وبهذا الإدراك ينبغي أن نتعامل معه»[114].

(112) الغرباوي، ماجد : **التسامح ومنابع اللاتسامح - فرص التعايش بين الأديان والثقافات**، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد - العراق، مطبعة سرور، الطبعة الأولى، 2006، ص17.

(113) الميلاد، زكي : **الإسلام والإصلاح الثقافي**، دار أطياف للنشر والتوزيع، القطيف- السعودية، سنة 2007م، ص98.

(114) الموقع الإلكتروني للأستاذ زكي الميلاد : http://www.almilad.org

3 ـ المعنى التداولي للتسامح هو السماح المتبادل : التسامح (ليس منة أو هبة)

خلاصة لما سبق يجب أن أعرض بعض الملاحظات بشأن مفهوم التسامح ودلالاته المختلفة، منها:

أ ـ معنى التساهل لا يرادف معنى التسامح (بحسب ما ذكر آنفاً في المعنى اللغوي)؛ فالتساهل بمعنى أن تترك الآخرين لشأنهم من دون الاكتراث لهم أو الاهتمام بهم؛ فهذا الشكل من التعامل هو ضرب من ضروب التملص والتهرب من الآخر[115].

ب ـ كما إن معنى التحمل لا يتوافق مع التسامح أيضاً، لأنه يقيم حدوداً بين الطرفين الذات والآخر، والتسامح يتعامل على أساس أن الإنسان يجب أن يمارس علاقته بالآخر من خلال عدم زعمه أنه يمتلك كل الحقيقة المطلقة أو أن يتوحد بامتلاكها[116]).

وقد يقصد من التحمل ما يرادف امتلاكية الحق بالنسبة إلى الذات والتعامل مع الآخر على أنه لا يمتلكه ولكنه يتحمله بالرغم من ذلك، أما مع التسامح فالأمر مختلف، إذ إنه يقوم على افتراض تعددية امتلاك الحقيقة أو عدم الجزم بامتلاكها بالنسبة إلى طرف على حساب الآخر.

ج ـ يترادف مفهوم التسامح مع الاعتراف بحقوق الآخرين وبهم أولاً[117].

وهذا يوافق في بحثنا ما قلناه عن أسس لنظرية التعارف التي تقتضي لنجاحها الاعتراف بالآخر وحقوقه على المستوى الحضاري. وما يفهم من معنى التسامح هو اللين في تقبل الآخر على جميع مستوياته الوجودية والفكرية والسلوكية، وأسوأ ما يمكن أن يتصور هو أن لا نتسامح في وجود الآخر = الإنسان، وذلك عادة ما يتم عبر الانتماء لدائرة دينية ضيقة الفهم،

---

(115) شبستري، محمد مجتهد : بحث إشكالية التسامح، كتاب **التسامح وجذور اللاتسامح**، مجموعة مؤلفين، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، 2005، ص 81.

(116) المصدر نفسه.

(117) المصدر نفسه،ص 82.

تتخذ من ترسانة التعصب درعاً لها ومن التخلف منهجاً داعماً لها، وهو ما نعتناه في بحثنا بـ الأصولية، التي ترى نفسها أنها تهب من يستحق الوجود وتحمل الفكر وليس غيرها مطلقاً.

ويبتني التسامح على فكرة **تقبل الاختلاف والتعددية**؛ فالتسامح يمثل معيناً للغة التنوع والاختلاف فلا يمكن أن نفهمه «بدون اختلاف... وقبول استئناف النظر الدائم بكل شيء، وعدم الارتماء في منطقة المطلق. التسامح ليس منّة أو هبة يتفضل بها أحد على غيره، إنه حق تنتزعه المجتمعات، حينما تنخرط بفعالية الاختلاف متعدد المستويات والمعاني»[118]. وعلى الأساس نفسه من الاختلاف والتنوع؛ فـ «إننا كبشر لا نمتلك الحقيقة المطلقة وإنما هي موزعة بين البشر، وتحتاج إلى إنصات وتواصل مستمر بينهم، لذلك فالتسامح هو الخيار السليم الذي ينبغي أن يتم التعامل به»[119]. وتكمن فكرة التسامح في قبول «اعتبار الآخر صاحب حق كامل في أن يكون مختلفاً عني؛ فكل عملية تسامح ليست بالضرورة أو لا تقود بالضرورة إلى عملية توافق بيني وبين الآخر، ولكنها تقود إلى الاعتراف بحق الآخر أن يعتقد، وأن يقول، وأن يفعل، ما يوازي أو يلائم هذا الاعتراف»[120].

ويرى جون لوك، أن عدم التسامح ورفضه مع الآخر المختلف والمغاير، هو الذي أفضى إلى الحروب والنزاعات والتسامح [121]. فـ «الحاجة إلى التسامح لأن الاختلاف من طبيعة البشر، ومن مقتضيات العقل، ومن ضرورات

---

(118) إبراهيم، عبد الله: حيرة المجتمعات الإسلامية - في القول بأن التسامح ليس منة أو هبة، مجلة **قضايا إسلامية معاصرة**، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، العدد 27، 2004، ص 22.

(119) محفوظ، محمد : معنى التسامح - **التسامح وأفاق السلم الأهلي**، كتاب **التسامح وجذور اللاتسامح**، مجموعة مؤلفين، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، 2005، ص187.

(120) محمد حسن الأمين، ندوة الآخر شرط وجودي ومعرفي للانا، مجلة **قضايا إسلامية معاصرة**، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، العدد 28-29 مشترك، ص 83.

(121) لوك، جون : **رسالة في التسامح**، ترجمها عن اللاتينية مع تقديم وتعليق عبد الرحمن بدوي، مركز دراسات فلسفة الدين - بغداد، سلسلة: **ثقافة التسامح**، 2006، ص 121.

الاجتماع. قال تعالى:﴿**وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ**﴾[122]. وقوله تعالى:﴿**وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ**﴾[123]. ولأننا نمارس الاختلاف ويمارس علينا، وهو من مشاهد الحياة اليومية، ومع وجود الاختلاف نحتاج إلى التسامح لكي لا يتحول الاختلاف إلى تباعد بين النفوس، ولكي لا يزرع الأحقاد بين الناس، ولكي لا يولد النزاعات بينهم، بل من أجل أن يكون الاختلاف رحمة بين الناس، وليثير لهم دفائن العقول، ويضفي عليهم متعة العيش والحياة»[124] والتعارف أحد المناهج الكفيلة بتنظيم طرق الاختلاف بين الناس والأمم؛ إذ يقتضي هذا المنهج الاعتراف بالاختلاف الواقعي بين البشر الأفراد منهم والجماعات. والعمل على ضرورة ترسيخ فكرة التوافق على العيش معاً بالرغم من الاختلاف[125].

كما **ويرتكز في مقابل العنف**؛ إذ إن «إشاعة أجواء السلم والتسامح والقبول بالآخر وجوداً ورأياً هي السلاح الفعال في القضاء على ظاهرة العنف البشري»[126]. وعليه يجب الانتقال من فكرة الاختلاف الذي يقتضي العنف، من خلال تفعيل مفهوم التسامح بشكل عملي، إلى جعله مشروعاً للتعارف؛ فالاختلاف «ليس سبباً للجفاء والتباعد والتباين في وجهات النظر، لا يلغي الجوامع المشتركة بين بني الإنسان، وتعدد الاجتهادات ليس مدعاة للنبذ والنفي، وإنما كل هذا يؤسس للانخراط في مشروع التعارف والفهم

---

(122) **القرآن الكريم**، سورة هود، الآية رقم 118.

(123) المصدر نفسه، سورة يونس، الآية رقم 99.

(124) الميلاد، زكي : **الإسلام والإصلاح الثقافي**، دار أطياف للنشر والتوزيع، القطيف- السعودية، سنة 2007م، ص101.

(125) السيد، رضوان :التعدد والتسامح والاعتراف - نظرة في الثوابت والفهم والتجربة التأريخية، مجلة=**التسامح**، تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في سلطنة عمان، العدد 12، 2004، ص 13 .

(126) محفوظ، محمد : معنى التسامح - التسامح وآفاق السلم الأهلي، كتاب **التسامح وجذور اللاتسامح**، مجموعة مؤلفين، ص187.

المتبادل»[127].

والآخر بدلاً من أن يكون باختلافه مصدر قلق ومشروعاً للصدام والعنف، يجب أن يتحول من خلال رسم معالم ثقافية جديدة تحمل مشعل التسامح لتنير به درب البشرية، ليسيروا في منهج التعارف الحضاري الذي ماانفك من دعواته إلى الاعتراف بالتعددية الحضارية واحترامها وإعطائها حقها في الوجود والفكر والسلوك.وبحسب المنظومة الفكرية الإسلامية، فإن «الآخر في القرآن ليس مشروع حرب، بل هو مشروع تعارف وفكر ودعوة وسلام وأخوة وتعاون وحسن ظن ودعاء بالخير»[128] وعليه فلا يجوز أن يفهم التسامح الذي جعل له الإسلام أساساً راسخاً لتنظيم العلاقة بين المسلمين وغيرهم أو بينهم أنفسهم، على أنه **نوع من الانفلات واللامسؤولية**، ليس المقصود ذلك، وإنما المقصود هو التسامح الذي لا يلغي الفوارق والاختلافات والخصوصيات الحضارية والثقافية لا سبيل إلى إلغائها ويدعو هذا التنوع من الخصوصيات الحضارية إلى عدم الممانعة من التعارف بين الأمم والشعوب والحضارات[129].

ويرتبط التسامح بفكرة السلم واللاحرب، كما بينا (ضمناً) آنفاً، فـ «التسامح أمر لا غنى عنه للعلاقات السلمية في أي مجتمع، وحينما يتحول التسامح إلى احترام متبادل وهي صفة أكثر إيجابية ... ومن ثم فإن الاحترام المتبادل يشكل أساساً لإقامة مجتمع إنساني تعددي، وهو نوع المجتمعات الذي يمثله الجوار العالمي ذاته، لا يتميز بالاستقرار فحسب، بل باحترام تنوعه الذي يغنيه»[130].

---

(127) المصدر نفسه، ص199.

(128) الشابندر، غالب حسن : **الآخر في القرآن**، سلسلة ثقافة التسامح، مركز دراسات فلسفة الدين - بغداد، 2005، ص 195.

(129) التويجري، عبد العزيز بن عثمان : **الحوار من أجل التعايش**، دار الشروق بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1998، ص 81.

(130)محفوظ، محمد : **معنى التسامح - التسامح وآفاق السلم الأهلي**، كتاب **التسامح**=

ويعترض محمد حسن الأمين، على فكرة **التسامح من طرف واحد،** أو الفاعل المتسامح والمفعول به المتسامح معه. ويعد فكرة التسامح هذه تتضمن «شيئاً من توهين الآخر.. فحينما أتسامح مع الآخر فإنني افتعل موقف السماح منه، لذلك ربما كان تعبير التسامح قاصراً عن أداء الغرض الذي من أجله يستعمل هذا المصطلح .. بين الأنا والآخر، في هذه الزاوية يجب أن نبدأ من هذه النقطة فنقول إن الآخر بوصفه يمتلك كامل الحقوق التي يمتلكها الأنا، فان العلاقة بيننا وبينه ليست علاقة تسامح بقدر ما هي علاقة سماح متبادل»[131].

4 ـ التسامح والمسألة الدينية

كثيراً ما ارتبطت مسألة التسامح بالقضية الدينية، وأول أو أبرز من كتب في هذا المجال هو لوك؛ فقد ارتبطت «مقولة التسامح بالمسألة الدينية من قبل الفيلسوف جون لوك بوصفها الحل العقلاني الوحيد لمشكلة الخلافات التي نشأت داخل المسيحية التي هي الدين الرئيسي في الثقافة الغربية»[132].

«والتسامح في الدين هو احترام حرية التعبير والانفتاح الفكري تجاه الذين يمارسون ديانات وعقائد دينية مختلفة عمّا نمارس»[133].

وعبّر عبد الرحمن بدوي عن فكرة التسامح الديني بتفصيل في مقدمته لرسالة جون لوك في التسامح، إذ قدم عرضاً وتحليلاً لأهم الأفكار في التسامح الديني، فهنالك نوعين من الرؤى الدينية أولها التي ترى الأديان متساوية وإنها ممتلكه للحق على التساوي والمماثلة فهؤلاء يؤكدون على

=**وجذور اللاتسامح،** مجموعة مؤلفين،ص 63-64.

(131) محمد حسن الأمين، ندوة الآخر شرط وجودي ومعرفي للانا، مجلة **قضايا إسلامية معاصرة،** مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، العدد 28-29 مشترك، ص 83.

(132) محفوظ، محمد : **معنى التسامح - التسامح وآفاق السلم الأهلي،** كتاب **التسامح وجذور اللاتسامح،** مجموعة مؤلفين، ص184.

(133) علبي، عاطف: التسامح والثقافات، مجلة **التسامح،** تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في سلطنة عمان، العدد 5، 2004،

التسامح لان كل دين هو حق وحسن، والنظرة الأخرى تقول بنسبية الدين أو النسبية الدينية التي تعتقد بأن كل دين يكشف عن جزء أو جانب من الحق، وهم يؤمنون بفكرة التكامل الديني إذ إن الأديان كلها ضرورية من أجل تحصيل الحق بأكمله.[134]

5 ـ الحاجة إلى التسامح

وتنبع الحاجة إلى التسامح من عدة مبررات و ضرورات تدعو إلى أن يكون التسامح أداة ومنهجاً للسلوكيات الإنسانية عموماً وما يهمنا رفعه إلى المستوى الحضاري والتعامل بين الأمم والحضارات (تعارف الحضارات)، وإن كان البعض من أمثال علي حرب حاول ساعياً الفصل بين فكرة التسامح والاعتراف بالآخر (الذي هو جزء من منهجية التعارف الحضاري) إذ يقول: «أن نتسامح معناه... أن نتنازل للآخر عن حق ليس له، أو أن نتساهل معه عن خطأ ارتكبه، بحسب ما نعتقد»[135] كما ويرى بأنه يجب العمل على إعادة صياغة المفاهيم الخاصة بالتعامل مع الآخر والتخلي «عن مفهوم التسامح الذي يصلح كهدنة بين توترين أو صدامين أو فتنتين، لمصلحة مفهوم الاعتراف الذي ينفتح على التعددية الثقافية والدينية، كما يتغذى من قيم العصر التواصلية والتداولية»[136]، ويبين نص علي حرب السابق فكرة الترابط بين منهجية التعارف والاعتراف بفكرة التواصل مع الآخر، إلا أن النص فيه نقاش من ناحية رفض الترابط بين التسامح والاعتراف أو الفصل بينهما وجعل كل منهما يعمل على مشروع يختلف عن الآخر، علماً أن أغلب إذا لم تكن كل التعاريف التي سردناها في البحث تشير إلى أن التسامح يتضمن رؤية إلى

---

(134) لوك، جون: **رسالة في التسامح**، ترجمها عن اللاتينية مع تقديم وتعليق عبد الرحمن بدوي، مركز دراسات فلسفة الدين - بغداد، سلسلة ثقافة التسامح، 2006، ص7 من مقدمة عبد الرحمن بدوي.

(135) حرب، علي: **الإنسان الأدنى - أمراض الدين وأعطال الحداثة**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 2005، ص105.

(136) المصدر نفسه، ص 106.

الآخر مبتنية على الاعتراف به، وإلا لما فكر في أن يتسامح معه ولا داعي للتسامح من دون مقدمة الاعتراف بالآخر؛ فالمفهومين يعملان المهمة نفسها وينسجان الدرب نفسه لغرض تشكيل نسق معرفي تعاملي مع الآخر يبتني على تقبله والاعتراف به والتسامح والسماح باختلافه وتنوع المتعاملين، المتقابلين منهم أو المتوازيين.

ومن أسباب ودواعي «الحاجة إلى التسامح (لوجود) الخطأ (الذي) يصدر من الجميع، ولأن البشر ليسوا منزهين عن الخطأ، ولأن كل واحد من البشر وجد نفسه في موقف يطلب فيه التسامح، وقد يلح في طلبه أحياناً لأنه صدر منه خطأ، ويكفي لهذه المواقف أن نتعلم منها حاجتنا إلى التسامح، وحاجة الجميع إليه»[137].

ونحن نحتاج إلى التسامح لمعالجات كثيرة منها الحاجة إلى «التسامح لكي لا يكون **التعصب بديلاً**، ولكي لا يكون قمع الرأي **وهيمنة الرأي الواحد ممكناً**، ولكي لا يكون العنف سبيلاً، ولكي **لا يكون التكفير خياراً**، فقد اشتهر بين المسلمين كما يقول الشيخ محمد عبده في كتابه **الإسلام دين العلم والمدنية**، وعرف من قواعد أحكام دينهم أنه إذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مائة وجه ويحتمل الإيمان من وجه واحد حمل على الإيمان ولا يجوز حمله على الكفر، والقاعدة أن التعصب لا يواجه بالتعصب وإنما بالتسامح، والكراهية لا تواجه بالكراهية وإنما بالتسامح، والتكفير لا يواجه بالتكفير وإنما بالتسامح، والعنف لا يواجه بالعنف وإنما بالتسامح. ولا ينبغي أن يفهم التسامح بوصفه موقف الضعيف أو ينم عن ضعف، ولا هو موقف الامتنان أو التعالي بإبداء الصفح والعفو من موقع الترفع على الآخرين، ولا هو موقف التردد والاضطراب واللاحسم، وإنما هو الموقف الذي يظهر قوة الضمير، وشفافية النزعة الإنسانية، وعظمة الروح الأخلاقية»[138].

إذاً، علينا أن نقوم «بمراجعة جذرية لطروحات الغلو والتطرف داخل

---

(137) الميلاد، زكي: **الإسلام والإصلاح الثقافي**، ص101.

(138)المصدر نفسه.

الخطاب الإسلامي التي لا تنهض على قاعدة التسامح»[139]. كما يتوجب الدعوة إلى «جديد ديني ينهض على قاعدة التسامح والتنوير والتواصل مع الآخر»[140]. وعلينا أن نراهن على مشروع ما بعد الأصولية، الذي ينهض كذلك على قاعدة التسامح؛ فالمشروع الأصولي فشل فشلاً ذريعاً في حل المشكلات الاجتماعية الداخلية والخارجية وما يدعم هذا المشروع (ما بعد الأصولية) هو ظهور وبروز تيار إسلامي عقلاني (متسامح) في العالم الإسلامي والعربي، من شأنه أن يكون رداً حضارياً على موجة الأصولية التي أغرقت العالم بالعنف.[141]

وهذا (أي التسامح) يرتبط مؤكداً بفكرة **تعارف الحضارات** من جانب إن المعرفة والتعارف الحضاري يقتضيان التسامح من جانبين:

أولهما؛ التناسي والتغاضي والتسامح عن التاريخ الدامي للعلاقة بين بعض الحضارات ولاسيما الغربية والإسلامية.

وثانيهما؛ التأسيس لفكرة قبول الآخر المختلف في إطار التسامح واللين واللاعنف في التعامل معه على أساس رفض الصراع كلغة تعاملية من خلال ترويج وإلغاء أسلوب التعصب والنموذج الفكري المطلق الواحد الحق المنزل الذي لا غبار عليه ولا خلل يشوبه، وذلك عبر منهج تعارف الحضارات الذي يتضمن من طرف قبول الآخر ومعرفته ومن طرف آخر الاعتراف به والسعي إلى شراكته في الوجود والفكر وإثراء ما يمتاز به، إضافة إلى مميزات كينونتنا وهويتنا وبذلك إغناء للتنوع الحضاري والبشري عموماً، وحينها يتوجب علينا تفعيل التسامح في أسلوب التعامل، فتكون نقطتي أو محوريّ التسامح في قراءة الماضي واستشراف المستقبل، من خلال البدء من حاضرنا لتبني رؤية ونظرة التعارف والاعتراف بالآخر الحضاري لتصحيح المسارات المبتنية على **المتخيل** عن الآخر وللتنبؤ بما هو أفضل من خلال التأسيس له من حاضرنا.

---

(139) السيد، رضوان : التعدد والتسامح والاعتراف - نظرة في الثوابت والفهم والتجربة التأريخية، مجلة **التسامح**، تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في سلطنة عمان، العدد 12، 2004، ص147.

(140) المصدر نفسه.

(141) المصدر نفسه.

خـــاتمـة

في خاتمة هذا الكتاب لابد من القول إننا ناقشنا مسألة مهمة من المسائل الفكرية المعاصرة والتي ترتبط بماهية العلاقة بين الحضارات ونماذج من النظريات المطروحة في هذا المجال بعد التأسيس لأدوات البحث من مفهوم الحضارة، وارتباط فلسفة الحضارة بالدراسات المستقبلية، واعتماد حقل المستقبليات في العمل من أجل طرح مشروع حضاري إصلاحي اتضحت معالمه مع النظرية قيد البحث **تعارف الحضارات**؛ إذ انتمت إلى الأطروحات المعالجة والإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر من خلال ما حاولت عرضه والتركيز عليه من قضايا الأصولية ورفض الآخر وعولمة الهوية ومسألة التعامل الحضاري، التي طرحت في مجال فلسفة الحضارة، التي ابتدأت من نظرية **صدام الحضارات** لـ صاموئيل هانتنغتون و**حوار الحضارات** لـ روجيه غارودي.

ومن ثم الكلام حول نظرية ثالثة موازية ظهرت بإطار فكري إسلامي اقترنت مع زكي الميلاد، ودعّمت من قبل العديد من الكتاب والباحثين العرب والمسلمين، والتي جاءت كمعالجة واستجابة؛ معالجة لـ حوار الحضارات وطرح بديل في نظريات التعامل مع الآخر الحضاري ولاسيما **الصدام بين الحضارات**، واستجابة للتحديات الثقافية؛ كتداعيات التحول الحضاري مع النظام العالمي الجديد وتبني فكرة الحضارة كنموذج للتعريف والهوية التي حدت بالفكر الإسلامي إلى إنتاج نظرية تحاكي المتطلبات الفكرية المعاصرة في مجال فلسفة الحضارة وتنطلق من أسس إسلامية فكانت نظرية **تعارف الحضارات**.

ومن خلال منهجية البحث في التحليل والنقد والمقارنة للنظرية الجديدة التي قدمناها في هذا البحث جاءت النتائج كما يلي:

1ـ تحديد كل من مفهوم الحضارة والثقافة والمدنية والتميز بين كل منها:
أ ـ **الحضارة**؛ هي أوسع مستويات الهوية والانتماء الديني والثقافي والاجتماعي والجغرافي.
ب ـ **الثقافة**؛ هي ما يملكه الفرد أو المجتمع من معارف وفنون وآداب.
ج ـ **المدنية**؛ هي مستوى العمران والاقتصاد الذي يمثل الحضارة أو البلد أو حتى أي مجتمع صغير يمتلك هذه العوامل، إضافة إلى التطور الحاصل في تكنولوجيا المعلومات وثورتها.
2 ـ يمكننا القول إن نظريات التعامل الحضاري جاءت تارة واصفة للواقع العلاقاتي بين الحضارات أو تفسيرية له، أما مع نظرية تعارف الحضارات، فإن النظرية ارتفعت إلى أن تكون نظرية إنشائية واستشرافية للمستقبل المعتمد على الإصلاحات في الواقع الإسلامي والعربي ومدى انعكاس فكرة التواصل مع الآخر الذي لا يمكن أن يلغى لأنه مختلف، بل يجب التوافق والاتفاق معه ومعاملته على انه مكمل للأنا والذات لا مقابل أو عدو لها.
3 ـ تعد فكرة تعارف الحضارات من الأفكار الإسلامية الأصيلة والتي ارتبطت بالأستاذ زكي الميلاد، والذي صاغ ونحت مفهوم يعد اليوم من أبرز مفاهيم المنظومة الفكرية الإسلامية في التعامل مع الآخر على مستواه الأممي والحضاري.
4 ـ فكرة التعارف الحضاري هي قبول التنوع الحضاري وتأسيس سلوكية جديدة في التعامل بين الحضارات، تقوم على معرفة الآخر وما لديه والاعتراف به على اختلافه واحترام ذلك الاختلاف والعمل على الإفادة من عملية المعرفة تلك في سبيل كسر حواجز الجهل المتبادل الذي كان مصدراً للنزاعات في أغلب التعاملات الحضارية. كما تهدف النظرية إلى خلق نسق إسلامي يهدف إلى تغيير كل المتخيل (الإسلامي أو الغربي).
5 ـ إن تعارف الحضارات هو إنتاج فكري تواصلي، يتضح تارة على أنه أحد أساليب التواصل الهابرماسي، أو أحد أهداف ووسائل الحوار الحضاري، ومع هذا وذاك يبقى هو منهج موازي لنظريات التعامل لحضاري الأخرى والذي اكتملت صياغة آلياته التعاملية وأدواته المعرفية بداية واكتمالاً مع

«زكي الميلاد» وبعض الباحثين العرب والمسلمين الذين تضمن البحث بعض أفكارهم.

6ـ إن العولمة من أهم المحاور التي ترتبط بشكل أو بآخر بوجود التنوع الحضاري أو ببوتقته وتوحيده والعولمة التي تتعامل مع قضايا المدنية من عمران أو اتصالات، أو الثورة الحاصلة في المعلومات، هي ليست مرفوضة ولا تقف موقفاً مضاداً من نظرية التعارف الحضاري، أما العولمة التي تعمل في مجال الحضارة والانتماء والهوية الحضارية والثقافية، فيجب أن نتخذ موقفاً حازماً منها لأنها تعتمد منهجية الفكر الواحد والأنموذج المتفرد الذي يعارض ما تعتمده فكرة تعارف الحضارات من إغناء التنوع الهوياتي والحضاري.

7ـ إن التسامح هو محور من المحاور الأساس لفكرة «تعارف الحضارات»؛ إذ إنه هو الكفيل بإنهاء فكرة التعصب والواحدية الأصولية التي تريد قولبة وعولمة الفكر ونفي كل أشكال التنوع والتغاير والتي يثريها التسامح من خلال فكرة «القبول بالآخر» المختلف واحترامه والعمل على إيجاد سبل للشراكة الوجودية والفكرية والسلوكية معه.

ومن خلال رؤية نقدية وتحليلية لأفكار(الصراع، الحوار، التعارف)؛ نسجل ملاحظات عدة تصلح كقراءة مبسطة وموجزة وفي الوقت نفسه فاحصة لآليات الخطاب فيها، وتتلخص بالتالي:

أ ـ إن الاعتبار (بالنسبة إلى فكرتيّ الحوار والتعارف الحضاري) القاضي بتصوير الطرفين المتعاملين منطويين تحت مسمى الحضارة مصادرة مستوردة ومستقاة من فكرة صدام الحضارات والتي يثار حولها التساؤل نفسه؟ إذ إن الحضارات لا تكون محوراً في إدارة الصراع بقدر ما هي وصف لهوية أو كينونة لمجتمع ما، والأحرى هو نقل العلاقة من محور الحضارة إلى محور أقل شأناً أو أوضح يمكن أن يتجلى بفكرة الدولة أو التحالفات الإقليمية أو النخب والأحزاب السياسية والدينية، ما من شأنه أن يوضح آلية العمل وتشخيص خطواتها وأهدافها ومكامن الخلل فيها.

ب ـ إن هنالك عنصراً مهماً في النظريات الثلاث، وهو إنها كلها وضعت للتنبؤ والاستشراف لمستقبل العلاقة بين الطرفين (الغرب والشرق)، وما كانت الحوادث

التاريخية المسردة إلا شذرات للاستشهاد على إمكانية حصول النظرية استقراءً للحدوث التاريخي لها بل وبعض منها كان يمثل دعوة وطموحاً وليس تنبؤاً (كالتعارف والحوار).

ج ـ إن فكرة التعامل تتراوح تارة بين دينين (الإسلام والمسيحية)، أو حضارتين (الغربية والإسلامية والعربية)، أو مكانين لهما كيانهما الثقافي (الغرب والشرق)، هذا الارتباك في حصر آلية التعامل وهيأته جعل الصور المقدمة لتفسير العلاقة أو استشراف مستقبلها تقدم بعدة أساليب؛ فتارة تجد الرفض الديني للآخر قائماً، وتارة أخرى يعمل التمييز الحضاري كما في رؤية فيكتور هيغو تجاه الشرق أو العرب، بأنهم يمثلون البربرية، وأن الغرب هو الحضارة وأنه حامل مشعل التنوير للشرق والعرب والمسلمين، وتارة أخرى نرى أن التمييز الجغرافي المرتبط بتصنيف الطرفين بصفتين بارزتين هما (السحر والخرافة والروحيات) للشرق و(العقلانية والبرهانية والحداثة) للغرب، كل هذا الارتباك في تشخيص ماهية العلاقة وبين من ؟ وما هي هوية الطرفين؟ جعل النتيجة المتوخاة من البحث في ماهية مستقبلها تحصيل حاصل في الغموض والإبهام والارتباك.

د ـ إن أفضل الدعوات لحل العلاقة بين الطرفين اللذين نتصورهما(بشتى الهويات) سواء على الصعيد الحضاري أو الديني أو الجغرافي، هي الدعوة إلى التعايش السلمي والتعارف بين الطرفين والحوار بينهما، وسواء كانت كردة فعل على دعوة أو تنبؤ الصراع، أو جاءت كضرورة حضارية كما مع غارودي، أو رؤية إبداعية كما يرى الميلاد في التعارف، فإنه يحتاج إلى الكثير من النقد الذاتي ومعالجة المشاكل الداخلية على المستوى الشرقي (الإسلامي - العربي) وعلى مراجعة آلية الخطاب والرؤية الاستعلائية على المستوى الغربي، وكلا الأمرين في غاية الصعوبة لما للمشكلتين من تجذر وبناء تراكمي داخل المنظومتين الفكريتين، والعمل على هدم ما لدى الغرب أو بناء ما لدى الشرق إن لم يكن مستحيلاً فهو من الصعب جداً أن يجد حيزه على المستوى الواقعي لا الفكري، وهذه الصعوبة أو الاستحالة تحدو بنا إلى فكرة العقم والقصور الذهني الثقافي تجاه المشاكل السياسية والاجتماعية والثقافية والحضارية التي تخص هذا الهم العلاقاتي، وإن صحت، فإن الدعوات إلى الكثير مما يتعلق بعلاج أو بحث هذه الثنائية

المحمومة لا يخرج عن عده هواء في شبك أو ممارسة لا تتجاوز معنى الميتافيزيقيا عند الوضعية المنطقية لأنها لا تعدو أن تكون كلاماً فارغاً.

وعليه يبقى التساؤل قائماً حول شكل العلاقة وآليتها ومستقبلها؟ والتساؤل الآخر هو عن شرعية هذا السؤال (حول شكل العلاقة وآليتها)؟ إذا تبين أنه لا معنى عملي ينتج منه، بسبب ارتباك الهويات المتعاملة وهوية تلك العلاقة أيضاً، وآلية ذلك التعامل، إذ إن الأطراف ضمن العلاقة تدور في فلك المصلحة والمصلحة تقتضي تارة الصراع وأخرى من الأجدر بالذات (كشرقيين) أن نطالب ونتمسك بالحوار أو ندعو إلى التعارف، وكل ذلك أفسره بمعنى المصلحة (الصراع مصلحة والحوار والتعارف مصلحة)، فهي تراوح بين ما للقوي من مصالح وما للضعيف من مكتسبات مقترنة بضعفه ومصلحته.

الدكتـور علي عبود المحمداوي

مدرس الفلسفة في كلية الآداب جامعة بغداد.

من مؤلفاته:

١- الفكر الشيعي المعاصر.. رؤية في التجديد والإبداع الفلسفي
٢- مقاربات في الديمقراطية والمجتمع المدني (مشترك)
٣- الإصلاح الديني والسياسي (مشترك)
٤- الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات الى فلسفة التواصل.

هذا الكتاب

يحاول هذا الكتاب أن يقدم قراءة جديدة لفكرة وواقع العلاقة بين الهوية الحضارية الغربية والشرقية أو الاسلام والغرب أو الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، وبمختلف تلك التسميات فيما بينها، إذ نسعى إلى تبيان أهم ملامح تلك العلاقة واليتها وما هي النظريات التي طرحت لتصفها أو تستشرف مستقبلها، وما هية الخطاب الذي يحكم الهويات المتكونة بعناوينها الآنفة الذكر، وكيف كان لفكرة الحضارة المركز أو المحور لتفسير تلك العلاقة، ويمكن تعليل ذلك بأسباب منها: أغراض حداثة الدراسات المنظوية تحت هذا العنوان بالإضافة إلى ما تمثله لفظ الحضارة - كما نرى - من تمثيل لهوية شعوب ومجتمعات ممكن أن يتم التعامل من خلالها مع الآخر، وحاولنا جاهدين أن نبين أهم مرتكزات النظريات المطروحة في قراءة وتفسير واستشراف العلاقة بين الحضارات.



ISBN 978-9931-9025-5-3

ابن النديم للنشر والتوزيع
وهران 51 - شارع نهار بلعيد قويدر
ص.ب: 357 السانيا زرباني محمد
تلفاكس: 88 - 97 - 35 41 213+
موبايل: 89 39 71 550 213+
E.mail:cd.nadim@yahoo.fr

دار الروافد الثقافية - ناشرون
هاتف: 204180 (96171)
ص.ب: 6058 - 113 الحمراء
بيروت - لبنان
email: rw.culture@yahoo.com